

كتاب المونس

في

أخبار إفريقية وتونس

تأليف

الفقيه النبيل العلامة أبي عبد الله الشيخ

محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني

المعروف

بأبي دينار

رحمهما الله تعالى

طبعة أولى

في مطبعة الدولة التونسية بصاحبتها المحيية

١٩٨٦



كتاب المودس



أخر المجلدات المودسية

١٢٨٦

www.alkottob.com

كتاب المونس

في

اخبار افريقية وتونس

تأليف

الفقيه النبيل العلامة أبي عبد الله الشيخ

محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني

المعروف

بأبي دينار

وجهما الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة أولى

بمطبعة

في مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمدية

١٢٨٦ سنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله الذي لا يبدأ احد في كتاب إلا باسمه ليصل الى التمام *
لا يدون ديوانا إلا ويشحنه بالثناء عليه بما له على العباد من الفضل
الانعام * ولا يورخ تاريخا إلا ليعلم من عجائب مخلوقاته وشرائب مصنوعاته
ما تعجز عنه العقول وتقتصر عنه الافهام * الملك الذي بيده مقادير الامور
مدى الدهور والاقوام * الذي اخترع العالم بحكمته وأبرزه للوجود بقدرته
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاکرام * احده جد سن اقر بربوبيته واعترف
بوحديته من غير شك ولا ايهام * واشكركه شكر من وهبه جزلا من فضله
فطلب منه المزيد بالشكر لقوله أشكروني ازيدكم من الخير والانعام * وانهد
ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له المتفرد بالتصرف في ملكه وملكوته
بالعدل والاکرام * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جاء بالصدق
وقطع دعوة الملاحدين بلائمة من كلام العزيز العلام * وهاجر من اعز البقاع الى
اعز البقاع فاقام الدين واطهر شرائع الاسلام * ويوم هجرته صار تاريخا لمن
تمسك بشريعتهم بين الانام * صلى الله عليه وسلم صلاة عطرة يتصوم من
نشرها مسك الختام * وعلى اله الطاهرين الطيبين الذين انى عليهم الملك
العلام * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
من جميع الالنام * وعلى اصحابه الذين فتحوا مسارق الارض ومغاريب

وهدموا صوامع الشرك وقتلوا عباد الاصنام * واعلنوا بكلمة التوحيد فالتار
الهدى وانقطع الباطل وارتفع الخصاص * صلاة وسلاما ادخرهما ليوم العوض
والزحام * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه تكون لي نجاة من النار ومشوية بالفوز
في دار السلام * ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم
الدين السادة الفضلاء الاعلام * ما ترنم طير على ايكه ورقمت على منابر الاصابع
خطباء الاقلام * وبعده فيقول العبد الفقير الى رحمة الملك الغفار * محمد بن
ابي القاسم الرعيبي القيرواني المشهور بابن ابي دينار * عامله الله بلطفه *
واسبل عليه ستائر حلمه وعطفه * بهمه وكرمه * امين * قال بعض اهل العلم
ان في علم التاريخ عبرة لمن يعتبر * وتذكرة لمن يتذكر * لانه ينبي عن صنع
الله في القرون الخالية * وكيف تصرف قدرته بارادته في الامم الماضية *
وحكمته تعالى جلوية في مخلوقاته بعدله واحسانه بحسب ارادته على
مر الدهور والازمان * وهو سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن
عن شأن * وقيل تعالى فل سيروا في الارض على احد اقوال المفسرين هو
النظر في كتب السير * والتطلع على اخبار الماضيين من البشر * فمن اعين
النظر في اخبار الماضيين راي ما يعجب منه العجب * وان تأمل سير الملوك
سرح طرفه بهرارة الزمان في مروج الذهب * وان شنف سمعه باخبار
الزمان * اغتمه ازهار حدائقها عن فلائد المرجان * وعلم ان الدر المشرق *
في اخبار اهل المشرق * وان استغرب فالعرب * عن احوال اهل المغرب *
فان اختصر فالختصر في اخبار البشر * والحديث شجون * والعشق جنون *
والجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولهذا كثرت كتب السير
في غالب المعمور من الارض الا ان كل امته يستمد بعضها من بعض * والبلاد
متفاوتة على قدر مراتبها * والحقول مختلفت فيما تجتمع من عجائبها وخرائبها *
الا ان مدينتنا الحضراء العلية * وعروس البلاد الافريقية * تونس حرسها
الله تعالى لم يتقيد لجمع اخبارها مصنف * واذا تأمل المشامل الى معناها
وترتيبها وجدتها احق بالتصنيف من غيرها اذا كان المتأمل منصفا لا

معتسف * لانها عروس بلاد المغرب ونزهة الاقليم الافريقي ودار الخلفاء
من بني ابي حنص * وهي اشهر من نار على علم وخبرها روتة الثقة بالنقل
والنص * وتمت محاسنها وان كانت غير نافعة بالدولة العثمانية * وعظم
صيتها بين حبايها لما نشرت عليها الاعلام الخاقانية * إلا انه تقدم لابن
الهيثاني مجموع لطيف اخبر فيه عن احوال القوم * وانفق من بضائع بني
ابي حنص ما تيسر له ولكنه غالى في السوم * وما ذاك إلا لانه لم ينظر الى
حليته تنرس في هذا الزمان * ولم ينظر الى معناها ومعناها الذي لم شان
واي شان * ولو ادرك زماننا لطغى بقلبه والقي العصا * ولو شاهد حسنها
في حلل الهناء لقال هذا مما لا يعد ولا يحصى * ولما تمت محاسنها اصابتها
سهم من نظر المعيان * فلم تخطا ريمته حتى راينا مصارع العشاق في حرب
الاخوين ومقاتل الفرسان * وكانت قبل اليم في ذروة الشرف * واحلها في
نعيم مقيم في الرعة والترف * الى ان قدر الله علينا بخطوب واي خطوب *
وقابلها الزمان بعد التبسم بوجه قطوب * فتكدرت احوال اهل البارد *
واصبح كل انسان يقول نفسي نفسي ولا يسأل احد عن احد * وقد كنت
اتمنى ان اجد من فيه نباهة ليجمع ما حدث في زماننا من الوقائع العجيبة *
ويضيفه الى ما جمعه ابن السماع في تلك المدة البعيدة الى هذه المدة القريبة *
وكم تشوقت الى هذا الجمع بنفسي * وملت اليه بحسي وحدسي * الى ان قدر
الله علي بفرقة الاحباب وموت الاولاد * ودعيت بما تقطع منه كيدي وكبد
غيري من اهل البلاد * فكان هذا هو الباعث لي في هذا التقييد * واستشرت
مامونا في مشورته فرسم لي برايم الرشيد * فجمعت ما كان متفرقا بالرواية
والسند * وجعلته نظام تبريد اشتعال الكبد بموت الولد * وجعلت اتسلى به
من حزني * لاني في غمرات امتلا القلب منها وقال قطبي * ورحم الله ابن الوردي
حيث قال - لي مهجة في النازعات وعبرة : في المرسلات وفكرة في هل اف -
والا فكيف لي ان اكون من فرسان هذا الميدان * ولست من ابناء
الخصراء على الحقيقة حتى يحصل لي هذا الشان * ورحم الله الاخلف حيث

قال - فسد الزمان فسدت غير مسود : ومن الشقاء الفردي بالسودد - ولكن
لبي العذر وقد نطقت على موائد الكرام وأساء في مغفورة عند العلماء من اهل
المحضرة وان كنت معدودا من العوام * وإلا فكيف لي ان أضرب بقداحي
بين القوم وأفوز بهم * ام كيف يكون لذلي بين العقلاء نصيب او قسم *
وانا خائن في ضياع الجهالة * وسارح في مروج اللهو والبطالة * فصرت
كحاطب ليل او جامع سيل * وطلع صباح الشيب فبدت آية النهار بصرة
فمحت آية الليل * وفقد الشباب والاحباب * اعظم المصائب * قال بعضهم -

شيئان لو بكت الدماء طيهما ينسي حتى تؤذنا بذهاب

لم يبلغ العشار من حقيهم - فقد الشباب وفرقة الاحباب

وها انا استهدفت للرامي * وبرزت مرامي * وقدمت ما اوردت ابن الشماخ
ليكون البناء على اساس * واجمع الى كلامه ما انقله عن غيره وما روينه عن غير
واحد من الناس * واذا ذكرت شيئا مما ثبت عنده * اذيل عليه بنكت
من كلام الغير وكل احد ينفق ما عنده * وابذل جهدي بقدر الطاقة صى
ان يحصل لي نصيب * واجتهد فيما اردتم ان شاء الله وما كل مجتهد
مصيب * فان ظفرت بشيء مما رتمه وبلغت المنا * كنت ابن ظفر على
الحقيقة ونظمت في سلك نجباء الابنا * ومن الله استمد الاعانة والطول *
لاني عاجز ولا قوة لي ولا حول * واسأل التوفيق في القول والعمل * والنجاة
من الخطأ والزلل * ان شاء الله تعالى * وسميته * المنوس في اخبار
افريقية وتونس * * ورتبته على سبعة ابواب بعدد ابوابها وخاتمته *

الباب الاول في التعريف بتونس : الباب الثاني في التعريف بافريقية :
الباب الثالث كيف فتحتها الجيوش الاسلامية : الباب الرابع كيف
استولت عليها الخلفاء العبيديين : الباب الخامس في الامراء الصنهاجية :
الباب السادس في الدولة الحفصية : الباب السابع في الدولة
العثمانية : والخاتمة تتضمن احداثا ظهرت في الديار التونسية . ومآثر
تفتخر بها بين جيرانها الافريقية . وما تميزت به في البلاد المغربية *

الباب الاول

في التعريف بتونس

قال ابن السماع مدينة تونس هي اسلامية احدثت بعد الثمانين من
 الهجرة * وكان ابو جعفر المنصور العباسي اذا قدم عليه رسول صاحب
 القبروان يقول له ما فعلت احدى القيروانيين يعني تونس تعظيما لها *
 وهي اليوم قاعدة البلاد الافريقية وام بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء
 الحفصيين ومهاجر اهل الاقطار من الاندلس والمغرب وغيرها * فكثرت حلقها
 واتسع بشورها ورضب الناس في سكانها وحدثوا بها المباني والكورم وبينها
 وبين قرطاجنة عشرة اميال * وبين تونس ومرساها بحيرة يقال انها كانت
 كثيرة الجنات والمياه والزرع طيبته الفواكه فغضب عليها ماء البحر * قلت
 عرف بها صاحب الجغرافية حيث قال ومدينة تونس في الجزء الثاني من
 الاقليم الثالث * ومدينة تونس في ذاتها قديمة اسمها في التواريخ ترشيش
 ولما افتتحها المسلمون وحدثوا البناء بها سموها تونس * ومدينة تونس في
 جرن خارج من البحر وهي على بحيرة مسخرة وعرضها اكثر من طولها وذلك
 ان طولها ستة اميال وعرضها ثمانية اميال ولها فم يتصل بالبحر وهو المسمى
 فم الوادي * وذلك ان هذه البحيرة لم تكن قبل وانما حفر في البر حفر
 انتهى به الى مدينة تونس ومن فم هذه البحيرة الى مدينة قرطاجنة ثلثة
 اميال ونصف * قلت الذي ذكره صاحب الجغرافية انها قديمة
 لا شك فيه لقول غيره وذكر سبب فتحها وكذلك حفر البحيرة يدل انه
 كان في زمن الاسلام لان قبل الاسلام كانت قرطاجنة حائلة بينها وبين
 البحر والبحر بعيد عنها جدا وانما احدث البحر بعد خراب قرطاجنة *
 وما ذكره ابن السماع انها كانت بسنتين ومزارع تشهد له الابار التي في
 وسطها وربما وقع فيها صيادو السمك احيانا ويتجنبون مواضعها ولهم بها
 خبرة * قسسال ابن السماع ومدينة تونس سور يدور بها وان دورها

اربعته وعشرون الف ذراع * فمسست ولم يذكر الباني لسورها حيث كانت عنده اسلامية والحاري على السنة اهلها ان بناءه كان على يد الشيخ سيدي محرز والشيخ المذكور كان في اول المائة الرابعة إلا ان يكون الشيخ جدده بعد الحنة التي وقعت عليها من ابي يزيد الحارجي وذلك في سنة ست عشرة وثلاثمائة لانه نهب افرقيقة ومدينة تونس ونهب منها نحو اثني عشر الف خابية زيتا غير الاموال والعبيد والامتعة والدواب والنساء والاطفال وغير ذلك وسياتي خبر ابي يزيد بعد ان شاء الله تعالى وكذلك القصة لم يذكر بناءها * وقال عند ذكر المولى عبد الواحد انه سكن بقصبتها عند حلوله بتونس وهذا يدل على ان قصبتها متقدمة عن زمن بني ابي حفص * قلت ولعلها من بناء بني الاغلب كما سياتي والعمال كانوا يسكنون بنا وابناء خراسان كانوا بهما لما خرجوا من طاعة بني باديس * والغالب على ظني انها القصة القديمة واما هذه فهي بناء بني ابي حفص كما سياتي ان شاء الله تعالى * قال ابن الشماخ وجامع تونس مليح الصنعة حسن الموضع مظل على البحر بناء عبيد الله بن الحبحاب ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة وانفذ اليها البحر * قلت عبيد الله بن الحبحاب كان عاملا لهشام بن عبد الملك بن مروان على مصر وارسله الى افرقيقة سنة عشر ومائة فلما وصل القيروان اخرج المستنير من السجن وارسله الى تونس واليا عليها ولعله لم يدخل الى تونس وتقدمه البكري حيث قال ومدينة تونس دورها اربعة وعشرون الف ذراع وذكر بناء عبيد الله بن الحبحاب * قال ومدينة تونس اسمها في الاوائل ترشيش ويقال لبحرها بحر رانس ومرساها مرسى رانس وان حسان بن النعمان افتتحها وذكر غيره ان زهير بن قيس البلوي افتتحها * قلت وقع التناقض بين قوله من بناء بني امية وبين قوله افتتحها حسان وقول غيره افتتحها زهير وزهير كان سنة سبع وستين وحسان سنة سبع وسبعين والبناء سنة ثمانين إلا ان يكون الفتح اولاً ثم استقر بها قدم المسلمين واسطوطنوها

واخذوا بها المنازل والديار وكان نزولهم بها في سنة ثمانين فلذلك نسبت الى بني امية ولم يكن قبل ذلك ينزلها احد من المسلمين وابن السماع ادري ببلدة * وقسال البكري وبمدينة تونس بحيرة دورها اربعة وعشرون ميلا وهي في جبل يعرف بجبل ام عمرو وفي بحيرتها جزيرة مقدار ميلين تسمى شكلي تنبت الكنخ وبها آثار قصر حارب * قسالت في زماننا هذا بها قصر مشيد والذي حكاه البكري وغيره عمر بعد ذلك في حدود الاربعين والتسعمائة على ايدي الصامري وبنوا فيه حصارا منيعا الى ان اخذه من ايديهم العسكر العناني وسياتي ان شاء الله تعالى وحرب وما تبقى منه الا آثاره ووجدت في زمان الحاج مصطفى داي بعد السبعين والالف وهو الى يومنا هذا غير عامر * قسال ابن السماع وتونس دار فقه وعلم وعلى عشرة اميال منها غربا وادي مجردة ويقال ان من شرب منه قسا قلبه . وسيت تونس لان المسلمين لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بازاء صومعة ترشيش ويتانسون بزاهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم * قسالت ذكر غيره ان العرب كانوا يسمعون اصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيمتانسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس * وقسال ابن الشباط وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع الزيتونة * وذكر غيره انهم لما نزلوا بازاء صومعة تونس الراهب الذي نسبت اليه الصومعة فقالوا صومعة تونس اطعمهم ديش المخططة فصار عادة لاهل البلد في راس كل سنة حتى كاد ان يكون عندهم من الواجب وانهم راوا مكانا محرقا عنده بالشرك فسالوا الراهب عن سببه فاخبرهم انه يرى في بعض الليالي نورا ساطعا من تلك البقعة قال - فعلت ان سيكون لها شان فصنتها من الثدرات وبول الكلاب - فصلوا في تلك البقعة وهي موضع الحراب واتخذوا هناك مصلاهم * قسالت ان صح هذا فالشرف سابق لهذه البقعة بحيث صلى بها الصدر الاول من المسلمين والفصلاء من المتأخرين وام بالناس فيها عدة اعلام ونجباء كرام وهي بقعة

مباركة يستجاب فيها الدعاء الى يومنا هذا والله الحمد * وقال البكري
يدور بتونس خندق حصين ولها خمسة ابواب * وقال ابن الشباط
لها في زماننا عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصبه *
قلت وفي زماننا لها سبعة ابواب ولم يبق في القصبه الا باب غدر وهو
مغلق في هذا الوقت * وذكر غير واحد ان لها خمسة أسماء . ترشيش .
وتونس وقيل تانس . والحضراء . والحضراء . والدرجة العليا * فترشيش
اسمها في القديم . وتونس حادث لها واشتقاقه من التانيس . والحضراء لانها
حضرة السلاطين من بني حفص . والحضراء لكثرة زيتونها . والزيتون لا يزال اخضر
طول الزمان وهو الشجرة المباركة . اولان خيراتها كثيرة عن غيرها وسعة ارزاقها
وقد يقال لمن هم في سعة من الرزق خضر المربع فلذلك عبر عنها بالحضراء .
والدرجة العليا قيل لان بها الجامع الاظم وقيل لارتفاعها عن غيرها من البلدان
وارتفاع صيبتها في كل اوان * ولعمد اخبرني من اتق به ان السلطان احمد
صاحب مراکش لما ارسل جيشه صحبة محمود باشا مملوكه الى بلد السودان
وفتحها الى تنبكت واخذ على اهلها البيعة لاستاذة وكان بها اذ ذاك
الاستاذ العالم العلامة الشيخ ابو العباس احمد عرف بابا وجه الله سال
الناس لمن بايعوا فاجابوه بسطان مراکش فقال لست اعلم في اقليم الغرب
سلطانا الا صاحب مدينة تونس حرسها الله تعالى * انظر ايها المتامل كيف
ثبت عند هذا العلامة خبر تونس وسلطانها مع قرب بلادة من مراکش
وبعدها عن تونس والشيخ احمد صاحب اطلاع وهو من اكابر علماء وقتهم
وما ذاك الا لفخامة ذكرها وعلو قدرها زادها الله علوا * ولنرجع الى قول
ابن الشباط قال وجامع تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر المجلس فيه الى
جبع جواره ويرقى الى الجامع من جهة المشرق على اثني عشرة درجة * قلت
ابن الشباط محقق فيما ينقله ولم يذكر من الباني لهذا الجامع الا ما ذكره
غيره وهو ان عبيد الله بن الحجاب هو الباني له كما مر * انفا ولعل عبيد الله
هو الذي اسمه * وذكر ابن ناجي ان زيادة الله بن الاغلب بنا جامع

الزيتونة وسور تونس وقصدها فهي من بناء بني الاغلب * قلت
ولعل البناء الضخم هو من بناء الاغالبة ويشهد لذلك ما هو مكتوب في
القبلة التي فوق الحراب اسم امير المؤمنين المستعين بالله العباسي سنة
خمس مائتين وزيد فيه على بنائه كالأول كما زيد فيه في أيام بي حنص
والله اعلم * وقسال ابن الشباط وبتونس اسواق كثيرة ومماجر عجيبة
وفنادق كبيرة ربيعة وبها خمسة عشر جاما * قلت في وقتنا هذا
بها اربعون جاما * قال وعصادات ابواب دورها كلها رخام بديع وهي دار
علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة * ويصنع بتونس عاية الماء
من الخرف شديد البياض في نهايته الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير
في سائر الاقطار * ومدينة تونس من اشرف مداين افريقية واخصها ثمره
وانفسها فاكثر وبها من اجناس الحوت الذي لا يكون مثله في غيرها *
قلت رحم الله ابن الشباط وغيره لو شاهدوا ما في هذا الوقت من خيراتها
وكثرة بساتينها وجنائتها لاعجزهم الوصف وراوا من الفواكه ما ليس له حد ولا
طرف وشهادة الله انه يوجد فيها ما لا يوجد في غيرها كثرة وحسنا بحيث
لا يدخل تحت حصر واذا افتخر المصريون بدصرهم فلنا لهم هذه اخت مصر
وناهيك ان في فصل الخريف يدخل اليها كل يوم ازيد من الف حمل من
العنب هذا خلاف ما يباع مع العنب من تين وبتليخ وغيرها من الفواكه
الرطبة واليابسة * ولقد اخبرني بعض خدمة المحتسب في سنة احدى وستين
الف انه حصر ما يبيع للخمرات من العنب فكان مقداره ستين الف
حمل خلاف ما يبيع في اسواقها وقس على هذا القدر وفيه كفاية واما الخرف
فهو اقل شيء في النختر وهم اهل المحصرة اعلى من ذلك * وقسال صاحب
اقتباس الانوار وتونس من بلاد افريقية بينها وبين القيروان اربع مراحل
وهي مما بناه بنو امية والمدينة القديمة الرومية اسمها قرطاجنة وينسب الى
تونس جماعة من العلماء منهم ابو الحسن علي بن زياد التونسي سمع من مالك
الوطا وثقته عليه وثقته به سحنون وعاش بعد مالك نحو من خمس سنين

وقبره بداره داخل باب المنارة * وقسمال ابن الشماع ومنهم الشيخ الامام العابد سيدي محرز بن خلف وقبره بداره داخل باب السويقة ، وبقبلي مدينة تونس جبل يعرف بجبل التوبة لا يثبت شيئا وهو المسمى بجبل الجلاز وفي اعلاه قصر مبني مشرف على البحر * قلست القصر الذي ذكره هو مقام الشيخ العارف بالله سيدي امي الحسن الشاذلي نفعنا الله ببركاته والعجب كيف غفل عن التعريف بالمقام مع ان الشاذلي متقدم على ابن الشماع بزمن او لعل المقام لم يشتهر الا من بعده * قال وشرقي القصر غار منتهي الباب يسمى بالمعشوق وبالقرب منه عين جارية * قلست لم يبق له اثر الا ان يكون المغارة التي تنسب للشاذلي ايضا في زماننا هذا والغار الذي ادركناه قبل اليوم تحت الجبل وبه عين ماء يقال لها الحمام وخوب واليوم في موقعه ماجل وهو على الطريق على شاطئ البحيرة * قال وجامع تونس يرقى اليه من ناحية المشرق على اثنتي عشرة درجة وقد تقدم هذا النقل عن غيره بزيادة ايضاح * وقسمال ابن الشباط وحاسن تونس ومبانيها في عصره مما يقصر عنه الوصف وانشد لبعض الشعراء يمدحها

فتونس تونس من جاءها * وتذكرك حصرة حيث سار

فلو حل عنها لارض العراق * لحن اليها حنين الحسوار

يحن اليها ويشاقها اشواق الفرزدق فقد النوار

والنوار امرأة الفرزدق الشاعر المشهور ولم فيها عدة قصائد في حبه اياها * وذكر البلاذري ان زهير بن قيس افنتها * وقسمال البكري افنتها حسان بن النعمان وقاتل النصارى بفحصها فاذاذموا له وسالوه ان لا يدخل عليهم ويضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحملونه واصحابه فاجابهم الى ذلك وكانت لهم سفن فاحتملوا فيها اموالهم واهليهم ليلا واسلموا المدينة فدخلها حسان فحرق وخرب وبني فيها مسجدا وخلف فيها طائفة من المؤمنين قال واشارت الروم من البحر على من بقي فيها من المسلمين فقتلوا وسبوا وغنموا ولم يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم ووصل الخبر الى حسان فرحل الى

تونس وارسل اربعين رجلا من اشرف العرب الى عبد الملك بن مروان
 وكتب اليه بما نال المسلمون من البلاد فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه الامر
 وكان اذ ذلك التابعون متوافرين وفيهم اثنان من الصحابة انس بن مالك وزيد
 ابن ثابت فقالا للمسلمين من رابط يوما برادس فلم الجنته وقالوا لعبد الملك
 ادركت هذه البلاد وانصر اهلها ليكون لك ثوابها فانها من البلاد المقدسة
 فكتب عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو وال على مصر ان يوجه لثونس
 الف قبضي باهله وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا
 الى ترشيش وهي تونس وكتب الى حسان بن النعمان يامر ان يبني
 لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى غاخر الدهر وان يصنع بها
 المراكب ويغير منها على سواحل الروم . فوصل القبط الى حسان وهو مقيم
 بتونس فخرج البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجعل فيها المراكب
 الكثيرة وامر القبط بحمايتها * قال ابن الشباط وقد تقدم ان عبيد الله بن
 الحجاج هو الذي بنى دار الصناعة فلعل من روى ذلك يريد ان عبيد الله
 جددتها وزادها تحصينا فلم تنزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد
 الروم ويتشرون فيهم النكاية والاذايت * وذكر البكري ان حسان هو الذي
 خرق البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة * وقال غيره ان الوليد
 ابن عبد الملك بن مروان لما علم ان الروم اشاروا على ثونس وبلغ ذلك من
 المسلمين كل مبلغ وان علماء المشرق كتبوا الى اهل افريقية من رابط لنا يوما
 برادس هججنا عند هجته وعظم قدر رادس عند العلماء وزاد فضلها وان حسان
 بعث الى الوليد يعلم باذايت الروم كتب الوليد الى عمه عبد العزيز بن
 مروان وهو وال على مصر وافريقية ان يوجه الف قبضي والف قبطية
 ويحملهم الى بلاد افريقية وامره ان يخرق البحر الى تونس * وذكر غيرها
 ان الذي خرق البحر الى تونس هو موسى بن نصير وجعل دار الصناعة
 بتونس وجر البحر اثني عشر ميلا حتى اقمه دار الصناعة فصارت ميناء
 المراكب وامر بصناعة مائة مركب وغزا بها بلاد الروم وعقد لولده عبيد الله

عليها وامره بالانصراف الى صقلية وكانت اول غزوة غزيت في بحر افريقية
فسار عبد الله الى صقلية فافتتح فيها واصاب ما لا تدرى قيمته ثم انصرف
قافلا سالما وكانت تسمى غزوة الاشراف وعقد بعد ولده لبعض اصحابه على
مراكب اخر فوصل سرقوسة وملكها والله اعلم بحقيقة ذلك * وحاصل
الامر ان تونس ليست محتاجة الى تعريف وذكرها طبق الوجود فهي كما
قيل في المثل طابق الاسم المسمى لانها تونس الغريب وقلنا يوجد غريب
دخلها الا وصلت له بها علاقة ولا يفارقها الا وهو متكسر عليها وسن قطن
بها حنت عليه وحن لها ان فارقها وعزت عليه * وذكرها غير واحد من
العلماء واثني عليها بحسان كثيرة لا تعد ولا تحصى * وزعم المحدثا بذكرها
في المسجد الحرام والمسجد الاقصى - وكيف يصح في الاذهان شيء : اذا احتاج
النهار الى دليل - وهي حرسها الله واسطة البلاد الافريقية كما ان افريقية
واسطة البلاد العربية فهي بمنزلة الراس من الجسد بل بمنزلة العين من
الرأس واذا ثبت ما قلتم ونقرر ما نقلتم فالذي صح عندي انها قديمة من
بناء الاوائل والذي ذكر فتحها هو اقرب من غيره وان حسان هو الذي
فتحها وبنى بها مسجدا وصيد الله بن المحجوب زاد في سخامته كما ان
زيادة الله بن الاغلب زاد فيه وضحمه وكملت سخامته في ايام بني حفص
كما سيأتي بعد ان شاء الله تعالى * وحسان بن النعمان هو الذي فتح
قرطاجنة وقطع عنهم القناة المجلوب عليها الماء وفتح تونس واتخذ بها
مسجدا وهو الجامع الاظم وسمي بجامع الزيتونة كما مر في اول الكتاب *
وتونس لا شك انها قديمة البناء وكانت معاصرة لقرطاجنة * واسمها ترشيش
وقيل هذا الاسم علم لها من قديم الزمان الذي هو تونس * وسسالت
بعض النصارى ممن لهم علم بالتاريخ فقال اسمها تونس في كتبنا وهذا الاسم
باللسان الاعزبي معنى تقدم واوقني على كتاب منده في التاريخ وكتبنا
الدينتين فيه مصورتان تونس وقرطاجنة والحناينة ووادي بجردة وتونس اصغر
جمعا من قرطاجنة وسالتم عن تاريخيهما فقال ازيد عن النبي عام * والنصارى

لهم اهتمام بهذا العلم والبلاد كانت لهم وصاحب الدار ادرى بالذي فيها ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى * واما سن قال بناها بنو امية في حدود الثمانين والذي بنى الجامع ودار الصناعة عبيد الله بن المحجوب سنة اربع عشرة ومائة فبعيد اذ كيف يمكن ان يقال مكثوا نيف وثلاثين سنة بغير مسجد وهؤلاء القوم كانوا في صدر الاسلام إلا ان يكون تاسيس المسجد في الاول والبناء الضخم في الآخر وبهذا يرتفع الاشكال بحول الله * واما السور فمن بناء بني الاغلب والتعبته ايضا وكانت شمال افريقية سكنها القبروان واول من سكن تونس من العمال الاعالمة * قال ابن ناجي رحمه الله واتخذ بنو الاغلب تونس لمتنزهاتهم وبنوا الجامع الاعظم * فليست ومات بتونس عبد الله بن اجد بن ابراهيم بن الاغلب سنة ست بعد التسعين والمائتين مقتولا قتلهم بعض خدمته بانقاضي من ابنته زيادة الله واستغل بالملك بعك * وبالجملته فان مدينة تونس لها حظ وافر * وحسن باهر * حازت قصبات السبق في البلاد الغربية * وعظم شأنها بين جيرانها وحبائنها الافريقية * ولا سيما في هذه الدولة التركية * والسلطنة الحاقانية * خلد الله ايامها * وسير بالعدل احكامها * تميزت بجمع المحاسن * وصفا منها كل اسن * واتسعت عماراتها * وكثرت خيراتها * وعمرت فيها الاسواق والدور * وبنيت فيها المنازة والتصور * وظهر فيها كل حسن غريب * وهاجر اليها البعيد والقريب * وطابق الاسم المسمى كما يقال تونس الغريب * إلا انها في هذا الزمان اصبحت بالحن * وقسم بها سوق الخوف من بعد كلامن من شدة الفتن * عسى الله ان يجعل بعد عسر يسرا * واهلها والله الحمد لهم اخلاق رضية ونفوس اية * وعقل ثاقب * وراي صايب * وعلو شان * وحدة اذهان * وعلماؤها مميزون عن سن سواهم بالذكاء والنباهة حتى ان الواحد منهم اذا لازم الاشتغال يحصل له في سنة ما لا يحصل لغيره في عدة سنين * ورزقها الله تعالى سرا تميزت به بين البلدان * واعظم سرها جامعها الاعظم كانه بين المساجد مسجد سليمان * وذكرها العبداني في رحلته والتي على اهلها خيرا * وذكر

علماءها بما هم أهلها ولما ذكر مصر قال سماعك بالمعدي وستن كابر في النقل
فليظن الأصل * وكان العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن مصطفى الأزهرى
نزىل تونس رحمه الله لما استوطن هناك الديار التونسية وثانسان بها وحضر
عند أهلها وامراقها يقول لو سئلت عن ثلاث لاجبت بلا ولو قطع راسي
لو قيل لي هل رأيت اعلم من الشيخ ابراهيم اللثاني لقلت لا . ولو قيل لي
هل رأيت اسر من جامع الزيتونة لقلت لا . والسؤال الثالث ياتي في محله
ان شاء الله تعالى * ولقد غالى بعض العلماء في مدح تونس وحريتها حتى قال
من لم يتزوج بتونسية ليس بحصن وفي هذا القدر كفاية * لمن له خبرة ودراية *
ولو تتبعنا محاسنها لظال بنا الكلام وخرجنا عن الشرط * ولما مد القلم لسانه
في هذا المحل حكينا عليه بالثظ * ونسعى ان نصل الى ما هو اهم * وننتقل
من الخصوصية الى ما هو اهم * وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم *

الباب الثاني

في التعريف بافريقية

افريقية من بلاد المغرب وعند اهل العلم ان اطلق اسم افريقية فانما
يعنون به بلد القيروان واما اهل السير فيجعلونه اقليما مستقلا وله حدود ولهم
اختلاف في افريقية اوسط بلاد المغرب وخير الامور اوسطها * وقيل انما
سميت بافريقية لانها فرقت بين المشرق والمغرب ولا يفرق بين الاثنين
إلا احسنهما * وقيل سميت افريقية باسم أهلها وهم الافارقة والافارقة من
ولد فاروق بن مصرايم وقال آخرون الافارقة من ذرية قوط بن حام بن نوح
عليه السلام سموا باسم البلاد * وقيل ان افريقش بن ابرهة بن ذي القرنين
لما غزا بلاد المغرب ودوخ البلاد بنى مدينة سميت باسمه فقاتلوا افريقية
وسموا أهلها الافارقة ذكره المقرئ * وقيل اسمه افريقش بن قيس بن صفى

المحيري افتتحها وقتل ملكها وأسمه جرجير فسميت به. ويومئذ قال لاهلهما
ما أكثر بربرتكم فسموا بربر قاله ابن خلكان * وقيل كان اسمه افريقس
بالسين المهملة فعربتها العرب بالشين المعجمة * ونقسل ابن الشباط عن
بعضهم انه كان يقول اسمها ابريقية من البريق لان سماءها خال من السحب
قلست وهذا القول بعيد لان افريقية كثيرة السحب حتى قال
بعضهم ان القيروان لا تخلو من السحب في غالب السنة ويعبر عن فحص
القيروان بمزاق لان السحب تتمزق منه حتى قال بعضهم تنشا السحابة
بالقيروان وتطر بصقلية وغالب بلاد افريقية كثيرة البرد والامطار وغالب
الاوراق لا تخلو من السحب * وسمعت بعض الفقهاء يقول معنى قوله
تعالى - اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض المجرز - يعني الارض المخرشفة على
أحد التأويل ولا يوجد في غالب المعمور أكثر خرشفاً من افريقية والله
علم * وافرريقية اقليم عظيم جمع المحاسن الجميلة * والفوائد الجليسة *
والمدن العظيمة * والمزارع الكريمة * والمياه العذبة * والفواكه اليابسة
والرطوبة * والمباني المنيفة * والمعادن الشريفة * والمسارح المعدة للصرع *
والانار البديعة للزرع * وجميع ما يحتاج اليه * وتقبل النفوس عليه *
وجعلوا حدود المغرب من سيب بحر النيل بالشرق الى ساحل البحر المحيط
من ناحية المغرب * وحد افرريقية بالطول من برقة الى طنجة وصرعها من
البحر الشامي الى الرمال التي اول بلاد السودان قاله غير واحد * قلست
في زماننا هذا لا يعبر بافرريقية الا من واد الطين الى بلد باجة * وقال
ابن الشباط واصناف افرريقية اشهر من ان تذكر * او يخاف طيها من ان
تجحد وتتكبر * ولم يزل يها على مر الزمان من العلماء والكتاب * وذوي البراعة
في المعارف والاداب * من تزدان باوصافه لاقطار * وتشرق بانوار كلامه
الاسطار * وذكر احاديث شريفة في فضل المغرب وفضل افرريقية * وتقدمه
ابن الدباغ في ذلك واورد احاديث وردت في فضل المنستير ورادس * وقال
ابن تاجي لا شك ان الاحاديث التي في المنستير ورادس موضوعة * وها انا

أورد من تلك الأحاديث ما ثبت صحته على وجه التبرك * ذكر ابن الشباط
قسال في كتاب مسلم حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا هشام عن داوود
ابن أبي هند عن أبي عثمان عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم - لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة *
وفي كتاب الطبقات في علماء إفريقية حدثني فرات بن محمد قسسال
حدثنا عبد الله بن أبي حسان الجهني عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي
عبد الرحمن الحجابي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
- لياتين الناس من امتي من إفريقية يوم القيامة وجوههم أفضل نورا من نور
القمر ليلة البدر * وذكروا عدة أحاديث وردت في إفريقية وأن المنستير
باب من أبواب الجنة * ولا شك أن لها فضلا وشانا والله أعلم * وحكى
بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه قال كانت إفريقية
من طنجنة إلى طرابلس ظلا واحدا وقرى متصلة عامرة فاخربت جميع ذلك
الكاهنة وذلك لما هزمت حسان بن النعمان الغساني بعد ما فتح قرطاجنة
وتونس وهزم البربر هزيمة شنيعة وفروا أمامه إلى برقة ورجع إلى القيروان
فسأل هل بقي أحد ممن لم شوكة قوية من البربر فقبل له امرأة ساحرة
يقال لها الكاهنة وهي بجبل أوراس في عدد عظيم * فسار إليها والنقى
معها فاقتلوا أشد قتال فقتل من العرب خلق كثير وانهمز حسان واتبعه
الكاهنة حتى خرج من عمل قابس وأسرت من أصحابه ثمانين رجلا وذلك
في خلافة عبد الملك بن مروان * وكتب حسان إلى عبد الملك يخبره
بما لقي المسلمون فوافاه الجواب يأمره بالمقام حيث أدركه كتاب أمير المؤمنين
فادركه وهو في عمل برقة فاقام هنالك خمسة أعوام بموضع يقال له قصور
حسان وبه سمي إلى الآن * ومسلكت الكاهنة إفريقية خمس سنين منذ
انصرف حسان منها وقالت للبربر أن العرب يطلبون من إفريقية الهدائن
والذهب والنصه ونحن إنما نطلب منها المزراع ولا نرى لكم إلا خراب
إفريقية حتى يياسوا منها وأسلت قومها إلى كل ناحية لتقطع الشجر والزيتون

فخربت البلاد بأسرها وهدمت الحصون وكانت كلها قرى متصلة * وفي
تواريخ النصارى انه كان ملك افريقية وهو صاحب قرطاجنة مائة الف
جن بين حصن ومدينة يحكم عليها وانه لما غزا الى رومة المدائن اخذ
من كل بلدة رجلاً ودينارا وسار اليها على ناحية المغرب على بحر الزقاق من
ناحية لانديسيت وافرنجت واناخ على رومة وحاصرها حصاراً شديداً وبعث
صاحب رومة عسكرياً في البحر الى قرطاجنة واناخ عليها ووقع القتال بينهم
على وادي بجدة وكان بينهم قتال شديد وكان الحيازة من اهل قرطاجنة ثمانين
الف الف رجل فغند ذلك رحل صاحب قرطاجنة عن رومة ورجع الى
بلاده ومن ذلك الوقت بقيت الافارقة في لانديسيت وملكوها مئين من
السنين والله اعلم * وقال المشونى لم يدخل افريقية نبي قط واول
من دخلها بالايمان حواري عيسى عليه السلام * قلت الحواري الذي
دخلها اسمه متى العشار وقتل بقرطاجنة وهو اول من كتب الانجيل بلسان
العبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين * وقال غيره بل دخلها نبي الله
خالد بن سنان العسبي وكان في زمن الفتنة ولكن لم يدخلها بدعوة وهو
مدفون في المغرب في بلد بسكرة وانكر بعض الفقهاء ذلك وصححه آخرون
والشيخ التواتي ممن اثبت انه هو * ورايت بخط والدي رحمة الله عليه
قال حضرت الشيخ المذكور وهو متوجه لزيارة نبي الله خالد بن سنان
العسبي وله كتاب صنفه الشيخ وثبت عنده صحته وهو في تلك البلاد
يسمونه خالد النبي ويزورونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم *
ومن مدن افريقية - برقة - وطرابلس - وغدامس - وفزان - واوجلة -
وردان - وكوار - وقنصة - وقسطيلية - وقابس - وجربة - وتيهرت -
وباجة - والاريس - وشقنارية - وصبرة - وسيطلة - وباغاية - وليس -
واذنة - ودرعة - وبجانة - وسوسة - وبنزرت - وزغوان - وجلول -
وقرطاجنة - وتونس - وكل هذه وقع عليها الفتح * وانما كانت دار الملك
اولاً في قديم الزمان بقرطاجنة لما كانت بيد الافريقيين الى ان

دخلت عليهم البربر من بلاد المشرق بعد ما قتل ملكهم جالوث وتفوقوا في
البلاد فأنجاز أكثرهم الى أفريقيا والمغرب واستوطنوا البلاد سبلها ووعرها الى
ن ظهر فيهم دين النصرانية فتغلبت الروم على سواحل البلاد وصارت له
سن لهم ذمة * وكانت قرطاجنة اعظم مدن المغرب وهي قديمة البناء قال
بعضهم انها بنيت في زمن داود عليه السلام وان بين بنائها وبناء رومة
اثنين وسبعين سنة ولم يذكر ما السابق منهما * قلست هذا بعيد
جدا إلا ان يكون بناءها الثاني او الثالث لقول احد المفسرين ان الذي
كان ياخذ كل سفينة غصبا هو صاحب قرطاجنة * وموسى كان قبل داود
عليهما السلام بزمن طويل * وذكر ان مجمع البحرين برادس والجدار
بالمحمدية وهي طنبة واهل تلسان أيضا يسمون بلدهم بالجدار له الان
والله اعلم * ويشهد لقدمها ما روت الثقة عن عبد الرحمن بن زياد بن
انعم قال كنت وانا غلام مع عدي بقرطاجنة تمشي في اثارها ونعتبر بعجائبها
فاذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية - انا عبد الله بن لاواسي رسول رسول الله
صالح * وفي رواية بعضهم - شعيب بعثني الى اهل هذه القرية ادعهم الى
الله تعالى اتيتهم صحنى فقتلوني ظلما حسيبهم الله * وذكر بعض المؤرخين
ان موسى بن نصير لما فتح الاندلسية ذكر له بها شيخ كبير فدعا به
فاذا الشيخ وقعت حاجباه على عينيه فقال له اخبرني كم اتى عليك من
السنين قال خمسمائة عام فسأله عن اشياء فاجابه له ان قال له اين
بلدك قال قرطاجنة قال له كم عمرت بها قال ثلثمائة عام وبهذه البلاد
ماتي عام فسأله عن خبر بناء قرطاجنة فقال بقية من قوم عاد الذين
اهلكهم الله بالريح العقيم فعمروها ما شاء الله ثم خربت وبقيت الف سنة
خرابا حتى اتى النمرود بن لاوذ بن النمرود الجبار فبناها على البناء الاول
ثم احتاج الى الماء العذب فبعث له ابيه وكان ابوه بالشام والعراق وعنه
على السند والهند فارسل اليه ابوه المهندسين والفلعة فهندسوا له الماء حتى
اوصلوه الى المدينة ومكثوا يرتادون الماء اربعين سنة * ولما حفرها

اساسه وجدوا حجرا مكتوبا عليه بالخط الاول سبب خراب هذه المدينة
اذا ظهر فيها الملح فينما نحن ذات يوم عند غدير بدار الصناعة بقرطاجنة
اذ نحن بالملح منعقد على الحجر فعند ذلك رحلت الى هنا ونحن كان على مثل
راي في ذلك ، وسالنا عن عمر الملك فقال عمر سبعمائة عام والله اعلم *
وهذه الحناية من اجوبة الدنيا واذا افتخر المصريون بالاهرام تفخر
اهل افريقية بهذه الحناية على مصر لان اصل الماء منبعث من بين جنغار
والبرم اسمها الحميدية وهي وراء زغوان بمسافة بعيدة وجلبوا ماء زغوان معها
وكما وجدوا في طريقهم ماء جلبوه من اليمين والشمال عدة فراسخ وكانت
من اولها الى اخرها محفوفة بالبساتين والامياء جاريت بينهما * وفي توارينج
النصارى ان طول مسافة الحناية من منبعها الى المدينة ستون ميلا على
الاستقامة ويتعرجها وعطفاها ثلثمائة ميل ونيف وثلثون ميلا وانها كملت
في ثلثمائة سنة واربع مائة * قلست لا يستغرب طول هذه المدة
لان هذا البناء من اغرب الابنية واذا كان طولها ثلثمائة ميل ونيف وثلثين
ميلا فلا بعد ان يكون البناء في كل سنة ميلا مع هذا الاتقان الذي
بها وطول اعمار التوم ونحن شاهدنا حكم بعقله بصحة ذلك * وعند
النصارى كان بقرطاجنة ثلثة اسوار دائرة بها والبحر يضرب في سورها وهي من
اعجب بلاد الله وكان تكسيرها اربعة عشر الف ذراع وهي من اعظم بلاد
افريقية * وقال البكري لو دخلها الداخل ايام عمرة لراى كل يوم
اجوبة وبها قصر يعرف بالمعلقة مفرقا في العلو فيه طبقات كثيرة مطل على
البحر * قلت لم يبق مما ذكر إلا هذا الاسم وبقيت خرائب بها يسمونها
المعلقة الى الان * قال وبها قصر يسمى الطباطر فيه دار الملعب وقصر
يتقال له ترمس فيه سوارى من رخام مفرطة في الطول يتربع على راس
السارية عشرة رجال وبينهم سفرة وسبعة مواجيل تعرف بمواجيل الشياطين
فيها ماء لا يدري من اين دخلها * قلت المواجيل موجودة ليومنا
هذا * قلست وداخل المدينة مينا تدخلها السفن بشرحها وهي اليوم

ملاحظة عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابي سليمان * فاسست الملاحظة التي ذكرها وبرج ابي سليمان هي الآن البلد التي عمرها لاندلس وبرج ابي سليمان بها معروف وملاحظة اخرى قريته من اوهم المرسى والله اعلم ايها كانت * قسسسال وبها قصران من رخام يعرفان بالاختين فيهما ماء مجلوب من قبل الجوف لا يعرف من اين منبعه * فاست هو والله اعلم الماء الذي عليه ابار سكرة مجلوب من الجوف من تحت الجبل الذي خلف جعفر وفيه ايضا ماء مجلوب من تحت الملاحظة التي بها لانهم وجدوا ارض سكرة كثيرة المياه والغالب عليها الرمل فحسروا الماء بتحكيم البناء العظيم وجعلوه متصلا ببعضه ببعض واداروا بالبناء كالمختلطة لجمع الماء فيها وانحصارة ولها منفذ الى نحو قرطاجنة * واخبرني بعض من اطلع عليها انه راي المنفذ الجاري وراى بعض بنيانها من ناحية الجوف والذي من ناحية قمرت من تحت الملاحظة * ويقول من لا خبرة له ان هذا الماء بقصد بسائين سكرة وهذا شيء لا يني بعضه فمن سكرة اضعاف مرات وانما هذا من عمل الملوك لامر مهم * وكبذلك الحناية لما احبب بعضها المولى المنصر الحفصي وجلب الماء عليها الى بسائينه بابي فهر ويعبر منه اليوم بالبطوم عجز عن بنائها بالحجر وجعل اقواسها طابية وهي اقواس يسيرة وجلب الماء الى البركة التي هنالك وهي باقية الى الان هذا مع ضخامة ملكه وعلو سلطته وارتفاع صيته لم يستطع اصلاح بعض ما فسد منها ولا قدر على ردها كما كانت اول مرة * وبقية الحناية واثارها باقية الى يومنا وهي تدل على امر عجب * واما اثار المدينة فلم يبق منها الا بقية خراب يعبر عنها بالمعلقة فيها اماكن كان يستقر بها الماء * واثار المدينة يراها من يركب البحر وبقية البنيان ظاهرة من تحت الماء وهي ممتدة في البحر بين القبله والمشرق * ولا شك ان البحر الذي في حلق الوادي اليوم لم يكن قبل هذا الوقت وانما حدث بعد ما خربت قرطاجنة * واذا كانت المعلقة قصرا من قصورها وبرج ابي سليمان متصل

فيها ومحسوب منها بل كما قالوا انه من البناء الذي في وسطها تكون مساحتها
ازيد من اثني عشر ميلا والله اعلم * ومسمعت من يذكر ان باب جهنم من
بعض ابوابها وهي متصلة الى الجبل الذي بازاء بلد سليمان المسماة به
في زمننا هذا * وفي سليمان المذكورة قصر ابي سليمان السابق ذكره
وبه داموس لم يعلم احد منتهى طرفه * فسبحان المتصرف في البلاد
والعباد * وسبحان من ايد دين الاسلام وعصايمه بالنصر على اهل العناد *
وتمزيقهم في كل ااد * وفتح الله تعالى هذه المملكة العظيمة على يد حسان
ابن النعمان * في خلافة عبد الملك بن مروان * في سنة تسع وسبعين من
الهجرة ودخل الى افريقية في جيش لم يدخل بمنله احد قبله ومقداره اربعون
الفا * ولسما نزل على قرطاجنة وبها خلق عظيم التقى الفريقان والتحم
الحرب وقتل حسان شجعانهم وابطالهم فاجتمع رايهم على الهرب وكانت لهم
مراكب معدة فارتحل الملك ومن قدر معه ليلا * فسمتهم من هرب
الى لاندلس ومنهم من هرب الى جزيرة صقلية * ولسما علم اهل بواديهما
يهربون الملك تحصنوا بها فقاتلهم حسان وحاصرهم الى ان دخلها بالسيف
وارسل الى من حولها وامرهم بهدمها وكسر القناة المجلوب عليها الماء وذلك
من قبل ان ينفذ البحر الى تونس وانما حدث من بعد ولله عاقبة الامور *
وانما اطلت الكلكم عليها لانها بديعة الاثار قريية من هذه الدار واثارها
تنبى عن اخبارها والله يعلم وانتم لا تعلمون *

الباب الثالث

في فتح جيوش المسلمين افريقية وذكر كل امير دخل اليها في زمن الصحابة
وفي زمن التابعين وفي زمن الخلفاء ومن بعدهم الى ان
يتهي بنا الغرض ان شاء الله تعالى

اصسلم ان الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم فتح في ايامهم جل
بلاد المشرق ولما فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية بعث عقبه

ابن نافع له برقة وزويلة وما جاورهما من البلاد فصارت تحت ذمته
الاسلام وسار عمرو بن العاص فعزها مدينة طرابلس وفتحها وافتتح جبال نفوسة
وكانوا على دين النصرانية كل هذا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه في سنة ثلث وعشرين * وفي اقامته عمرو بن العاص على طرابلس
بعث بشر بن اوطاة ففتح ودان وجبال نفوسة ولم يتجاوز عمرو بن العاص
الى اقليم افريقية ورجع الى مصر قافلا رضي الله تعالى عنه *

الخبر عن قدوم عبد الله بن ابي سرح

وفي خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه اقر كل
عامل كان لامير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان لا يعزل احدا الا عن شكاية
فاقر عمرو بن العاص على مصر وكان عبد الله بن سعد بن ابي سرح من
جند مصر * فسامره عثمان على الجند وسرحه الى افريقية وكان اخا عثمان
من الرضاة وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع
ابن الحصبين فساروا حتى وصلوا افريقية واوغلوا فيها ونازل قابس في طريقه
ورحل منها وبث سراياها في افريقية وكان معهم من الجند عشرون الفا
الى ان وصلوا سيظلة * وكسان الملك اذ ذاك جرجير وهو اعظم ملك
بافريقية * وقيل انه كان عاملا لهرقل وطلع طاعة هرقل واستقل
بالملك وضرب الدينار باسمه اي باسم جرجير وكان سلطانا من برقة الى
طنجة ودار ملكه سيظلة وكانت بين عبد الله بن ابي سرح وبين جرجير
مراسلات فابى جرجير عنها وتاهب للحرب وجعل ابنته على ديدبان مال
واقسم بدينه لا يقتل احد امير العرب الا زوجه ابنته * وبلغ الخبر الى
عبد الله بن ابي سرح فاقسم بالذي جاء به محمد لا يقتل احد جرجير الا
نقله ابنته * والتحم القتال وكان عسكر جرجير مائة الف وعشرين الفا *
فناصر الله المسلمين وقتل جرجير قتله عبد الله بن الزبير واخذ ابنته
جرجير * وقستل المسلمون المشركين وهزمهم الى ان دخلوا مدينتهم *
فسنزل عليها المسلمون وحاصروهم بها وفتحها الله عليهم وذلك في سنة سبع

وعشرين وأصابوا فيها ما لا يحصى من ذهب وفضة وبعث بالفتح إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وكان رسوله ابن الزبير فيقال انه بلغ المدينة في خمسة وعشرين يوماً وبعث عبد الله بن أبي سرح سرايا فبلعت الجبله قصور قفصة فذلت الروم بأفريقية والتجا أكثرهم إلى الحصون وداخلهم الرعب وبعثوا إلى عبد الله يطلبون الصلح وبذلوا له ثلثمائة قنطار من الذهب وأن يرجع من حيث جاء * فاجابهم عبد الله له ذلك وصالحهم وقبض المسل ثم انصرف عن أفريقية بعد اقامة سنته وشهرين وكر راجعاً إلى مصر بعد ما اذعنك له بلاد أفريقية كلها وقسم الغنائم على الجند * وقسسيل انه بعث عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من فورهما ذلك إلى الأفرنجية والاندلسية فاتياها من قبل البحر وفتحوا ما شاء الله * وقسسيل لما رجع عبد الله إلى مصر استعمل على صلته عبد الله ابن نافع بن عبد القيس وهذا قول من قال ان لاندلس كان فتحها في زمن عثمان وأكثر الناس من المورخين يقولون في زمن الوليد بن عبد الملك وهو الصحيح او لعل الفتح مرتان قاله غير واحد والله اعلم *

الخبر عن قدوم معاوية بن حديج إلى أفريقية

وفيه خلاف بين المورخين

قسيل انه فرأ أفريقية في سنة اربع وثلثين قبل مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه وله ثلث غزوات الاولى سنة اربع وثلثين والثانية سنة اربعين والثالثة في خلافة معاوية ولم يذكر احد من المورخين ما كان في خلافة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ولا ولده الحسن إلا ان معاوية بن حديج كان سنة خمسين وكان معاوية بن ابي سفيان اذ ذاك خليفة سنة اربعين كان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه والله اعلم * وفي سنة خمس واربعين في زمن معاوية بن ابي سفيان ارسل معاوية بن حديج إلى أفريقية في عشرة آلاف مقاتل وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان ويحيى بن

فقال له اصحابه: وعلى من تسلّم يا ولي الله فقال على قوم يونس ولولا البحر
لا ربّتم اياهم * ثم قال - اللهم انك تعلم اني انما اطلب السبب الذي طلبه
وليك ذو القرنين الا يعبد إلا الله - ثم كثر راجعا وتخلّى الناس عن طريقه
خوفا من جيوشه وقد دوح البلاد وليس بافريقية تن يخالفه * ووصل
الى مدينة طينة وكان ملكهم كسيلت فنقدت جيوش عقبة وبقي في نفر
يسير من اصحابه الى ان بلغ زعمودا وبادس فغلقوا ابوابهم دونهم وشتموه من
اعلى اسوارهم ودعاهم الى الله فلم يجيبوا وبعثوا الى كسيلت وكان مكن اسلم
على يد ابي المهاجر لما فتح تلمسان * ثم صار في عسكر عقبة فاستخف به
عقبة وكان ذبح فلما لاصحابه فامر كسيلت بسلاح شاة فقال كسيلت ايتها
الامير هولاء غلمانى فابى عليه فقام مضطربا وجعل يسلم الشاة ويسبح يده
على ذقنه والعرب تسخر منه فمر بهم رجل من العرب فقال ان البربري
يتوعدكم * وقال ابو المهاجر لعقبة ان الرجل قريب عهد بالاسلام
فلا تهنه فلم يلتفت اليه عقبة * ولما ارسل له الروم امكنته الفرصة
فقال ابو المهاجر لعقبة عاجله قبل ان يجتمع اليه امره فزحف اليه عقبة
ففر امامه ووافاه بمقبرة من تهودة فنزل عقبة وصلى ركعتين واطلق ابا
المهاجر وقال له عقبة الحق بالمسلمين فقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة فقال
ابو المهاجر وانا اغتنمها ايضا فكسرا اعماد سيوفهما وتن معهما من المسلمين
والتحم القتال بينهم فتكاثر العدو فقتل عقبة وابو المهاجر وتن كان معهما
ولم يفلت إلا القليل * واجتمع الى كسيلت جميع اهل المغرب من الروم
والبربر واشتعلت افريقية نارا وزحف كسيلت الى القيروان فلما سمع زهير
حرض الناس على لغائمه فامتنعوا منه واقبل كسيلت الى القيروان بعساكر
البربر فخرج اهل القيروان عاريين منه ولم يبق بالقيروان إلا الذراري
والضعفاء فبعثوا الى كسيلت وطلبوا منه الامان فدخل كسيلت القيروان
وفر زهير بمن معه الى برقة واقام بها الى ان مات يزيد بن معاوية بن
ابي سفيان، والله اعلم بالصواب.

الملك بن مروان * فلما اشتد سلطانهم سالوه ان ينظر في احوال افريقيته وتخليصها من يد كسيلته فقال ما ارى لها الا زهيرا لدينهم وورعهم وهو اعرف الناس بسيرة عقبة فبعث له زهير وامده بالجيش والاموال وارسله الى افريقيته * فلما تراءفت عليه الجموع اقبل الى افريقيته في جيش عظيم وذلك في سنة سبع وستين وقيل تسع وستين من الهجرة والله اعلم بحقيقته ذلك *

الخبر عن اماره زهير بن قيس البسولي

ولما قدم زهير الى افريقيته وسمع به كسيلته رحل عن القيروان ونزل على ايس وقيل ممس * ولما بلغ زهيرا خبره لم يدخل الى القيروان واقام على بابها ثلاثا وارتحل رابع يوم حتى اشرف على كسيلته فنزل الناس وباتوا على مصافهم ولما اصبح صلى بالناس ثم زحف بهم والتهم الحرب فقتل من البربر خلق كثير وفر كسيلته وقفل الى ممس ومضى المسلمون في طلب البربر يقتلونهم كيف شاءوا ورجع زهير الى القيروان فخافه جميع من بافريقيته وتحصنوا بمعاقلم ولم تقم لهم شوكة بعد ذلك وفتح تونس على احد اقوال بعض المورخين كما سبق * وقيل ان حسان بن النعمان افنتحها وقد مر في اول الكتاب * وقيل ان زهيرا كانت ولايته من قبل عبد العزيز بن مروان وبعث العزيز على مصر من قبل عبد الملك اخيه ثم ان زهيرا راي بافريقيته ملكا عظيما فكره الاقامة بها لرفاهيته عيشها وقال انما جئت للجهاد واخاف ان تميل بي الدنيا وكان من الراهدين العابدين فمكر قافلا الى المشرق فلما انتهى الى برقة امره العسكر بالمسير على الطريق واخذ هو في صابرة قليلة على طريق البحر فوجد اقواما من النصراني اخذوا جلته من المسلمين اسارى فاستغاث به المسلمون فوقع فيهم بكن معه فاستشهد رجته الله عليه وسن معه * ولما انتهى الخبر الى عبد الملك بن مروان عظم غايه ذلك وكانت مصيبتهم به

عزل مصيبة عقبة رجهما الله * واستغاث المسلمون لعبد الملك وسأله ان ينظر في امر افريقية فانفق رايه على حسان بن النعمان الغساني وكان بمصر في عسكر عظيم عدة لما يحدث * وفتحت في ايام زهير بن قيس باجة وشقبارية وهي اليوم تسمى الكاف والاربع وهي قرية قريبة منها ومدينة تونس وقرطاجنة على الاختلاف في هذين البلدين والله اعلم *

الخبر عن ولاية حسان بن النعمان الغساني

فكتب اليه عبد الملك يامره بالتوجه الى افريقية واطلق يده على اموال مصر يعطي منها ما شاء لمن يرد عليه من الناس فوصل افريقية في اربعين الفا ولم يدخل افريقية اعظم منه قبله وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل في سنة ست وسبعين وقيل تسع وسبعين * فسلمها بلغ القيروان سال عن اعظم ملك بافريقية ف قيل له صاحب قرطاجنة * وكانت مدينة عظيمة تضرب اتواج البحر سورها وبينها وبين تونس اثني عشر ميلا وبين تونس والقيروان مائة ميل وقد سبق التعريف بها ولصكن جئت بها هنا لاقسام الفائدة * واعجب ما بقرطاجنة دار الملعب ويسمونه الطياهر وقد بنيت افواسا على سواري وعليها مثلها * وصور في حيطانها جميع الحيوان واصحاب الصنائع * وفيه صور الرياح فصورة الصبا وجه مستبشر وصورة الدبور وجه عبوس * ورخصام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقية على نقله لم يمكنهم ذلك لكبرته * قلست لم يبق بها في زماننا من الرخام شيء * وضبط ابن الشباط قرطاجنة بفتح القاف وسكون الراء المهملة وبعدها طاء مهملة وفتح الجيم وتشديد النون وناك هروثة وقيل بكسر الجيم * وقسال سمعت سن يقول قرطاجنة بفتح الجيم وكانت دار الملك بافريقية * فبسعت اليها الخيل وضايق بها وقطع القناة التي جلب عليها الماء وكان البحر لم يخرق له تونس وانما خرق بعد ذلك * وهدم المدينة وشتت اهلها واستقام امره * ثم ان حسانا بلغه ان النصاري تجمعوا له وساعدتهم البرابرة * فسار اليهم وهزمهم الى برقة ورجع الى القيروان فاستقام بها

وسال «ل بقي احد اذا قتل خذفت البربر والنصارى فقيل له امرأة يقال
لها الكاهنة وهي بجبل اوراس تخافها النصارى والبربر فتوجه الة لثأنها
وعلمت الكاهنة بامرأة فقدمت اليه في عسكر عظيم من البربر والروم * فالتقى
الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا ففر حسان منهزما وقتل من العرب خلق كبير
واسرت من اصحاب حسان ثمانين رجلا وانبعث حسانا حتى خرج من
عمل قابس ونزل في بركة بمكان يعرف به الى اليوم يقال له قصور حسان
وقد سبق في اول الكتاب بما فيه كفاية ومكث هنالك خمسة اعوام الة
ان جاءه كتاب عبد الملك بن مروان وامده عبد الملك بلال والرجال وكر
واجعا الة افرقيية * فلما سمعت به الكاهنة بعثت الة عمال افرقيية
كلها وقطعت اشجارها وخربت بسائنها علما بان العرب لا يطالبون إلا المدن
واذا اخليت المدن لم يكن لهم ارب في افرقيية واسم الكاهنة دامية بنت
يتناق وهي من مظالم البربر الذين ملكوا افرقيية وكما سبق في اول الكتاب
انها كانت ظلا واحدا من طرابلس الة طنجة * وكانت الكاهنة اطلقت
سن اسرته من العرب إلا واحدا اسمه خالد فأخت بينه وبين ولديها
وقالت لهم اني متولدة وكانها تنظر الة رأسها يركض به الة ناحية المشرق
ثم امرت ابنيها وخالدا ان يمشوا الة حسان ويستامنوه فتوجهوا الة حسان
واعلموه بالخبر * ثم تقدم حسان حتى التقى بها واقتلا قتالا عظيما حتى
ظن الناس انه الفنا * فانهزمت الكاهنة وتبعها حسان وقتلها بمكان يعرف
ببئر الكاهنة وقيل في طبرقة وبعث براسها الة عبد الملك * وثمذ لولدي
الكاهنة على انى عشر الفا من البربر الذين اسلبوا وبعضهم الة المغرب
يجاهدون في سبيل الله ولم يبق له بافرقيية منازع فرجع الة القيروان
وقد دانت له البلاد وذلك في سنة اربع وثمانين وكتب الخراج على
النصارى وعلى سن تمسك بدين النصارى من البربر وتقدم ان زهيرا اخت
تونس نقله ابن الشباط عن البلاذري وعن البكري ان حسانا افتتحها *
قال ابن الشباط واعل الشيخ كان مرتين والله اعلم * وسبق في اول

أبي الحكم بن العاص وعدة أشراف من قريش ففتح مدينته سوسه وكان
أرسل إليها عبد الله بن الزبير وقائل النصاري الذين بها وظهرت منه شجاعة
قوية على باب سوسه بحيث أنه صلى صلاة العصر والعدو قريب منه ولم
يكتسب به ورجع إلى معاوية بن حديج وأرسل ابن حديج عبد الملك
ابن مروان إلى جلولا فحاصرها أياما وقتل من أهلها عددا كثيرا وفتحت
عنوة وسبوا الذريته وأصابوا معنما كثيرا وقسم معاوية الشيء بين المسلمين والله
أعلم هل كانت في سنة أربع وثلاثين أو خمس وأربعين وبين جلولا والقيروان
أربعة وضيرون ميلا وبقرب جلولا متنزة لبني عبيد يعرف بسرذانية ليس
بأفريقية أجل منه وكانت كثيرة الثمار وأكثر رباحينها الياسمين والورد وبها
قصب السكر * قسسال ابن ناجي كان يدخل إلى القيروان أربعون
جلا وردا جلوليا في اليوم ويوردها يتسرب المثل * وأرسل معاوية بن حديج
جيسا في البحر في مائتي مركب إلى صقلية ففتحوها وسبوا وغنموا وأقاموا شهرا
وأنصرفوا بغنائم كثيرة * وبسعت معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي
سفيان * وفي سنة إحدى وأربعين فتح بنزرت وكان معه عبد الملك بن
مروان فشد عن الجيش فمر بامرأة من العجم فخرته وأكرمته فشكر لها
ذلك ولما ولي الخلافة كتب إليه عامله بأفريقية أن يحسن لها ولاهل
بيتها * وبنزرت قديمة البناء وهي أجل بلاد على ساحل البحر * قلت
وسمعت سن يقول معنى قوله تعالى - وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي -
هي بنزرت * وسمعت سن يقول في قوله عز وجل - وسئلهم عن القرية
التي كانت حاضرة البحر - هي بنزرت * وسمعت سن يقول كان
للحاكم بها يهوديا في الزمن السابق ولما ضعف أمرهم وصاروا تحت الذمة
عاملهم المسلمون الذين تملكوهم بأن جعلوا سوقهم يوم السبت فكأثر لهم من
ما سبق من إذاهم حتى لا يتصرفوا معهم في معاشهم يوم السبت والله أعلم
بحقيقته ذلك * وبسعت معاوية بن حديج رويح بن ثابت الأنصاري
إلى جربة ففتحها وهي جزيرة في البحر تقرب من قابس وبينها وبين

البر بجاز وفيها بساتين كثيرة وزيتون كثير * وقيل ان رويح بن ثابت كان عاملا لمعاوية بن حديج على طرابلس سنة ست وأربعين فغزا افرقيية من طرابلس سنة سبع وأربعين وفتح جربة والله اعلم * ورجع معاوية بن حديج الى مصر فلما وصل حصر عزاه معاوية بن ابي سفيان عن افرقيية واقرة على مصر ووجه معاوية عقبة بن نافع النهري الى افرقيية في عشرة آلاف من المسلمين وقاتل سن بها من النصارى والبربر حتى افناهم واتخذ قيروانا للعسكر وهي القيروان التي في زماننا هذا * وسبب بناؤها منكور في غير هذا المكان مبسوط بزيادة بيان واخط بها الجامع الاعظم وصلى فيه * وكان عقبة رضي الله تعالى عنه مستجاب الدعوة * وقيل ان غزوته هلك كانت سنة اثنين وأربعين والله اعلم * وفي سنة احدى وخسين عزل معاوية بن ابي سفيان عقبة عن افرقيية وولى مسلمة بن مخلد على مصر وافرقيية *

الخبر عن ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري

فلسما وصل الى مصر بعث مولى له اسمه دينار ويكنى بابي المهاجر الى افرقيية فلما وصل اليها حكرة ان ينزل في بلد اختطه عقبة فبعد عن القيروان وبني مدينته واخلى القيروان وامر الناس بعمارة تلك واسمها يكروان فلما سمع عقبة بذلك حنق عليه ودعا الله تعالى ان يمكنه من ابي المهاجر فاستجاب الله دعاءه وسيأتي بعد * وفي ولاية ابي المهاجر فتحت جزيرة شريك * قسيت جزيرة شريك هي الجزيرة المعلومه في زماننا هذا التي بها جام الانف وبنها الاندلس مثل سليمان وتركوي وغيرهما واليها ينسب باب الجزيرة في يومنا والله اعلم * وجزيرة شريك كانت عامرة في ذلك الوقت وبها مدن وقصور كثيرة وخيرات ومزارع حسنة وهي بين مدينته سوسة ومدينته تونس * وسميت جزيرة شريك نسبة الى شريك العسبي الذي كان واليا عليها وبعث اليها ابو المهاجر حنش بن عبد الله الصنعاني فافتحمها وغشم منها وقتل اهلها وسبى سبيا عظيما * ورجسه عقبة الى

المشرق فشكى له معاوية ما فعله ابو المهاجر به فوجه بالرجوع الى
 عمليه * ونسوفي معاوية رضي الله تعالى عنه واستخلف ولده يزيد بعده
 فولي عقبته بن نافع افرنجية في سنة الثنتين وستين من قبل يزيد بن معاوية
 فسار عقبته حنفا على ابي المهاجر * فلما بلغ افرنجية اوثقه بالحديد وامر
 بتخريب مدينته التي بناها واعاد الناس الى القيروان ودمروها واجمع عقبته
 على الغزو في سبيل الله * واستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان
 ومضى في عسكر عظيم حتى نزل مدينته باغايته وهي قرية من جبل
 اوراس والجبل مطل عليها وكان قد لجأ اليها جمع من البربر والنصارى
 فقاتلهم عقبته قتالا شديدا وهزم الروم والبربر وغنم منهم خيلا لم يروا احسن
 منها * ولجأ جلهم الى الحصن وارتحل عنهم الى مدينته ليس هي اذ ذلك
 من اعظم مدائن الروم فقاتلهم اشد قتال وهزمهم الى باب الحصن * وليس
 قرية من بلد قسطنطينة وبينهما مرحلتان واكثر اشجارها التين والعنب
 والخوخ والجوز * فاستخت في ايام عقبته غدامس ايضا ولكن في ولايته
 الاولى سنة اثنتين واربعين قتل وسبي وبلغ في غزوته الى بلد السودان وعامة
 بلاد البربر وفتح فزان وفتح ودان وقفصة وقسطنطينة فتحتا ثانيا لانها فتحت
 قبله وارتدوا فاعادهم بغزوته هذه حتى اذعنوا له * وكذلك نغطة وتقيس
 وتابس والحامة * ولما غزا فزان خرج اليه ملكهم فصالحه على ثلثمائة
 عبد وستين ميدا * وغزا قصور حكوار وفرض على اهلها ثلثمائة عبد وستين
 عبد وهنالك ادركه هواصحابه العطش فصلى ركعتين وسأل الله سبحانه
 وتعالى الماء فجعل فرسه يجث برجليه حتى طلع الماء وهو الذي يقال له
 تين الفرس الى زماننا هذا * وصايق على اهل كوار ورحل منهم واخذهم بغتة
 بعد ما رحل عنهم واطمانوا قاباح ما في مدينتهم وسبي نساءهم وذرايرهم ثم
 نصرف الى زويلة ثم رجع الى معسكره فاقام فيه مدة اشهر وسار بعد
 الملك الى قفصة وقسطنطينة * وذكروا ان باني سور قفصة غلام النمرود *
 سم توجه الى المغرب ففتح مدينته سبتة ومدينته طنجة * وسبستة

مدينة على بحر الزقاق من ناحية المغرب وكان صاحبها اليان وهو الذي اعان طارق بن زياد على دخول بلاد الاندلس * وهي مدينة قديمة من بناء الاول وهي في زماننا في يد اعداء الدين اعادها الله للاسلام * فصالحه صاحبها واقرة على بلاده وسار الى طنجة ففتحها وقتل رجالها وسبي سن فيها وهي طنجة البيضاء وكانت دار ملك للملوك المغرب * وقيل انه كان ملك من ملوكها في عسكرة ثلاثون فيلا وهي اخر حدود افريقية في المغرب وبينها وبين القيروان الف ميل وهي اليوم في يد الكفرة اعادها الله تعالى للاسلام وما ذلك الا من اصل الفتن التي كانت بين ملوك المغرب الاشراف الذين كانوا بمدينة مراكش حرسها الله وملكوا العرايش والعمورة والبريجتة ووهران وحدة اماكن بالمغرب اعادها الله تعالى للاسلام وذلك بعد الف من الهجرة * ووصل عقبته الى السوس الادنى والسوس الاقصى ومن طنجة الى تاجرا مدينة السوس الادنى عشرون يوما وليس في بلادهم شجر ولا نخل ولا زيتون وقلدهم القمح والشعير والاشناب ولباسهم الصوف * ومن تاجرا الى طرفلة مدينة السوس الاقصى مسيرة شهرين * وليس وراء طرفلة انيس في المغرب الى متهي بحر الرمل * ومن طرفلة الى غانة ثلثة اشهر والله اعلم * فسال وقائل عقبته اهل السوس وسبي منهم سبيا كثيرا وفتح مدينة يغلي وسبي منها سبيا لم ير مثله حسنا * وكانت الجارية منه تباع بالف واكثر من ذلك اي الدنانير * وفتح درعة وهي مدينة عظيمة لها وادي يجري بالماء وعليه اسواق بعدد ايام الجمعة كل يوم سوق وربما كان سوقان في اليوم الواحد في اماكن متفرقة وذلك لكثرة اهلها وطول عمارتها * وفتح مدينة نفيس وكانت حصينة واليهما التجا كثير من البربر والنصارى فحاصروهما فحاصروهما فحاصروهما حتى فتحها واصاب غنائم كثيرة * ووصل الى درعة من بلاد السوس الاقصى ودخل الى بلاد لمتونة في الصحراء وفر الناس امامه لا يقوم بين يديه احد ولا يعارضه الى ان بلغ الى البحر المحيط - قال فادخل فيه قواتهم فرسه وقال - وعليكم السلام -

الكتاب ان حسانا هو الذي خرق البحر الى تونس وانه بعث الى عبد الملك بن مروان يخبره بحال تونس حتى بعث له الثبظ كما مر وانفا ومهد قواعد افريقية الى ان نزل بموسى بن نصير واللله اعلم *

الخبر عن اماره موسى بن نصير القرشي

من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ما عزل عنها حسانا وقيل انه استعفى منها وان الوليد اراده الى افريقية فامتنع منها وحلف عنها فكتب الوليد الى عمه عبد العزيز ان يبعث موسى بن نصير الى افريقية وفتح افريقية عن عمه عبد العزيز وارسل اليها موسى بن نصير فقدم لافريقية سنة ثمان وثمانين فوجد البلاد خالية لاختلاف ايدي البربر عليها ولمسا سمعوا به فروا امامه الى المغرب فبعثهم يقتل ويسبي ولا يداخعه احد حتى بلغ السوس الاذني فاستامن البربر فامتهم وولى عليهم واليا واستعمل على بلاد طنججة طارق بن زياد مولاه وتوكل معه سبعة عشر الف فارس من العرب والبربر ثم رجع الى افريقية ففتح بجائته * وقيل كان فتحها على يد بسر بن ارطاة استعمله موسى بن نصير وبعث بخمسة الى الوليد وفتح زغوان وكان بها عدة قري وبها من البربر عالم عظيم فغزاها موسى بن نصير وقل جمعهم وسبي منهم سبيا عظيما فبلغ سبيهم عشرة آلاف وهو اول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير وغزا هوارة وزناتة وصنهاجة * وقيل ان موسى كانت اول ولايته من قبل عبد الملك بن مروان سنة ثمان وسبعين ولم يزل الى ايام الوليد بن عبد الملك فتوالت عليه فتوحات موسى ابن نصير فحظت منزلته عند الوليد * وقيل ان موسى هو الذي خرق البحر الى تونس وبنى دار الصناعة وصنع بها مائة مركب وغزا صقلية * وبعث ولده مروان الى السوس الاقصى في خمسة آلاف فارس فغنم منه ما لا يبلغ الحصر * قيل ان السبي بلغ اربعين الفا * وبلغ موسى الى ما لا يبلغه غيره الى البحر المحيط ورأى عجائب يتصور عنها الوصف وهي مدونة في غير هذا الموضع يطول شرحها لمن تتبعها ورأى عالم برة غيره * وبعث الى

الاندلس طريفا مولاه ولقبه ابو زرعة في سنة احدى وتسعين وبلغ الى جزيرة
طريف وبه سميت الى الان * وفي سنة اثنتين وتسعين بعث مولاه طارقا
الى الاندلس وكان عامله على طنجة واعانه على الدخول اليها اليان صاحب
طنجة وقيل صاحب سبتة وقيل اليان وصل الى القيروان مستنجدا بموسى
ابن نصير لامر حدث عنده من قبل دريق ملك الاندلس وهون على موسى
فتح بلاد الاندلس وان موسى كتب الى طارق يامره بالسير الى الاندلس *
وكانت دار الملك بها مدينة طليطلة وركب طارق في البحر ونزل في
جبل الطار هكذا اسمه في زماننا هذا وانما اسمه جبل طارق لانه سمي
به واعانه اليان صاحب الجزيرة المختصرا من عمل طنجة وشرحه يطول
ذكر ذلك صاحب كتاب المغرب وفي الاكتفاء لابن الكردبوس والطبري
وصاحب المختصر وغير واحد من اهل السير والعمدة عليهم * ولما حل طارق
بجبل طارق وسمع به دريق ملك الاندلس حشد جيشه وجمع جوعه
واقى الى طارق فالتقى معه وكانت ايام القتال بينهم ثمانية ايام فهزم
الله الكافرين ومنح النصر للمسلمين * وكان مع طارق اثني عشر الفا
وعسكر الروم شي عظيم واصحاب المسلمون من السبي ما لا حد له من
الذهب والفضة والجوهر حتى ان الرجل منهم اذا ضلعت دابته وجد في
حافرها مسارا من ذهب او فضة او حصيات من جوهر وهذا شيء لم يسمع
بمثله * وفتح اشبيلية وقرمونة وشذونة ومورور واستجة وقرطبة وطليطلة
وباجة وماردة وسرقسطة واكثر بلاد الاندلس * ولما سمع موسى بن
نصير بهذا الفتح احب ان يكون شريكا معه فاستخلف ابنه عبد الله على
افريقية وشخص بنفسه وذلك في سنة ثلث وتسعين وكان في عشرة آلاف
فارس * فسار على غير الطريق التي سلك عليها طارق وفتح في طريقه
عدة مدن اخر * وغزا موسى من طليطلة الى الجلائقة فطلبوا الامان من
موسى وسار على سرقسطة مسيرة عشرين يوما وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة
شهر * وكانت اقامته بالاندلس عشرين شهرا وخرج عن الاندلس

وقدم الى الوليد كتابا يقول فيه - يا امير المؤمنين انه المحشور وليس
بالفتح - واقبل بمائة عجلة وثلاثين عجلة مهلوة بالذهب والفضة واللؤلؤ
وعدا ذلك لا يعلم قيمتها الا الله ومن ابنساء الملوك والاسرى ما يقرب من
ثمانين الف اسير والمائدة التي كانت لسليمان بن داوود عليه السلام واتى
افريقية سنة اربع وتسعين واستخلف ولك عبد الله على افريقية وعلى
لانديس ولك عبد العزيز * واقسبل يجر الدنيا خلفه ووصل الى مصر
سنة خمس وتسعين ورحل الى الشام فوجد الوليد في شكايته التي ملكت
فيها * وبعث اليه سليمان اخوه يأموره ان لا يدخل في ايام الوليد
لانه كان ولي العهد فخالفه موسى ودخل دمشق والوليد في مرضه فلما
ولي سليمان الخلافة حلف على موسى بن نصير ومصادرة بمائتي الف دينار *
وحج سليمان ومعه موسى فمات في تلك السنة بعد ما طلب في مصادرته
في احياء العرب وقاسى كرها حتى ان خادمه هم بالهروب عنه لما قلق
منه فلما راي موسى ذلك دعا الله ان يقبضه فاصبح ميتا رجسته الله
تعالى عليه وكان محجاب الدعوة فسبحان المعز المذل بعد ما ملك ما لم
يملكه غيره وحاز نصف المعمور من الدنيا لم يمت حتى احتاج الى السؤال
في اقرب مدة ومات في مصادرته رجسته الله عليه * وانما اطلت الكلام
هنا لان غالب اهل بلدنا ليس لهم اهتمام بالاخبار فاذا نظر احد في هذه
الاوراق علم ان افريقية لها صيت في كل زمان * وان هذه البلاد كلها
فتحت على يد عمال افريقية * وكانت دار لامارة بالقيروان * ومنها
فتحت صقلية ايضا في اخر المائة الثالثة كما سيأتي ان شاء الله تعالى *
وموسى بن نصير هذا من التابعين يروي عن تميم الداري رضي الله تعالى
عنه * وكان عاقلا كريما شجاعا لم يهزم له جيش قط ذكره ابن خلكان
واننى عليه بزيادة ثناء * ونقل عن الليث بن سعد انه قال بلغ الخمس
ستين الف واس في غزوة افريقية على يد موسى بن نصير وانه وجهه ولك
عبد الله فاته بمائة الف رأس من السبايا ووجهه ولك مروان الى ناحية اخرى

فأثاه بمثلها * وقسمال الصديقي لم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير في
الاسلام واستصحب عند قدومه الى الوليد سبعة وعشرين تاجا مكللة بالدر
والياقوت تيجان ملوك الاندلس اليونانيين ومن الرقيق ثلاثون الف رأس
وقيل ان الوليد بن عبد الملك هو الذي نقم عليه واقامه في الشمس
يوما كاملا حتى خر مغشيا عليه * والاصح انه صادره سليمان بن عبد الملك
وحج معه في سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين ومات في الطريق بوادي
القرى والله اعلم ذكره السعودي وابن خلكان وغالب المؤرخين باسبغ
من هذا * وكانت ولايته بافريقية ست عشرة سنة ومات ولم من
العمر ثلث وسبعون سنة * وتسسسا ولي سليمان بن عبد الملك الخليفة
سنة ست وتسعين عزل عبد العزيز بن موسى بن نصير عن الاندلس *
وقيل عبد العزيز هذا كان اخا موسى بن نصير * وبسعت اليها الشيخ
ابن مالك * وكانت ولايته عبد العزيز على الاندلس سنة * وبسعت
على افريقية عبد الله بن كرز واقام بافريقية الى ايام امير المؤمنين عمر بن
عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وصعد الله بن كرز هذا هو القاتل كنت
عامل افريقية في ايام عمر بن عبد العزيز فشكرت اليه الهوام والغراب
التي بافريقية فكتب الي وما على احدكم اذا امسى ان يقول - وما لنا
الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما ءاذيتمونا وعلى الله فليتوكل
المتوكلون - قسدت وعلى رأس المائة الاولى دانث لم جمع افريقية من
برقة الى السوس الاقصى ولم نقم بعد قائمته للنصارى والبربر الذين بها *
فمنهم من دخل في الاسلام ومنهم من ضربت عليه الجزية * وكانت
بها عدة قرى عامرة بالكفر الى بعد المائة الرابعة * وكانت الاساقفة
ثاني من الاسكندرية من قبل البشرك الذي بها الى نصارى افريقية
والان ظهر الله تعالى هك البلاد من دنس الشرك ولله الحمد * وكانت
الولاية في الرتن لاول سكانهم القيروان ويعثون بعمالهم الى اقصى المغرب *
وفي ايام عمر بن عبد العزيز عزل عبد الله بن كرز الذي كان عاملا

اسليمان بن عبد الملك وبعث الے الاندلس حذيفته بن الاخوص *
وبعث لافريقيته محمد بن زيد الانصاري فاقام بها الے ولاية يزيد بن عبد
الملك بن مروان * فعزلهم يزيد بن عبد الملك بن مروان وبعث الے
افريقيته يزيد بن ابي مسلم الذي حكان وزير الحجاج بن يوسف الثقفي
وكان سجنه سليمان بن عبد الملك بن مروان وبثي في السجن ايام سليمان
وايام عمر بن عبد العزيز فلما استخلف يزيد بن عبد الملك اطلقه من السجن
وبعثه الے افريقيته واليا عليها فلما قدم افريقيته واجتمع بمحمد بن يزيد
الانصاري قال له يزيد الحمد لله الذي مكنتي منك والله لو حائل القضاء
بني وبينك لسبقته اليك * وقيل كان بيك عنقود عن العنب وانه قال
والله لو سبقني ملك الموت عن اكل هذا العنقود لسبقته اليك واجر حقيقك
وحطه في النطع فينما هم في الحيازة اذ اقيمت صلاة المغرب فقام يزيد ليصلي
بالناس فلما سجد طعنهم رجل فقتله وأشار الے محمد بن يزيد ان سره في
امن الله قال محمد فسرت وانا متعجب عن صنع الله ذكره ابن خلدان باسبط
من هذا * وذكره صاحب الفرج بعد الشدة * وقيل سبب قتل يزيد
ابن ابي مسلم انه اراد ان يسير في الناس بسيرة الحجاج فندسوا عليه من
قتله * وقيل ان الذي قتله من الخوارج * وقيل ان اهل افريقيته
كتبوا الے امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك - انا لم نخضع لك طاعتوا نما
عاطلك سار فينا بالجوهر فقتلناه - فرد عليهم محمد بن يزيد الانصاري وصرفه
ببشر بن صفوان الكلبي * وبعث الے الاندلس عقبته بن الحجاج واقام
بشر بن صفوان الكلبي بافريقيته الى سنة خمس ومائة * فقتل من افريقيته
بهديته عظيمة الے يزيد بن عبد الملك فبلغه في الطريق وفاة يزيد فاقبل
بهديته الے هشام بن عبد الملك فودة الے صلته بافريقيته فلم يزل بها الے
ان مات في سنة تسع ومائة * واستخلف بشر على افريقيته ابن قرط
الكلبي فعاش بها * ولما بلغ خبره الے هشام عزله وولى مكانه عبدة بن
عبد الرحمن القيسي وذلك في صفر سنة خمس ومائة فلما قدم عبدة الے

افريقية بعث المستنير بن الحارث غزياً الى صقلية فاصابتهم ريح فاغرقتهم
وسلم المركب الذي به المستنير والقمه الريح الى طرابلس * فكتب
عبدة الى عامله بطرابلس يامره باسك المستنير وان يشد وثاقه ويرسله
اليه ففعل به ذلك وارسله الى القيروان فلما وصل الى صيدة جلك وطيف
به في القيروان والقاه في السجن * وانما انتقم من المستنير لانه اقام بارض
الروم حتى دخل الشتاء واشتدت عليه امواج البحر حتى طبخت المراكب
ولم ينزل حبوسا الى ولاية عبدة الله بن الحجاب فاطلقه ابن الحجاب
وبعشه الى تونس كما مر في اول الكتاب وسياتي بقيته خيرة ان شاء الله *
فصلت وهذا ينافي ما تقدم من ان عبدة الله بن الحجاب هو الذي
بنى دار الصناعة بتونس - ودار الصناعة عبارة عن المكان الذي ينشأ به
المراكب لان المراكب غزت من بحر تونس من قبل ان يتولى عليها ابن
الحجاب بزمن طويل - ويوجد قول من قال ان الذي بنى دار الصناعة
هو حسان بن النعمان او من قال ان موسى بن نصير هو اول من غزا في
بحر تونس او غيره * وابن الشماع صح عنك ان الباني لدار الصناعة عبدة
الله بن الحجاب والعقل والنقل يشهدان بخلاف ذلك والله اعلم وسياتي
بمزيد ايضاح * واسم يزل عبدة بن عبد الرحمن القيسي الى سنة عشر ومائة
فقفل الى المشرق يقدم على هشام بن افرريقية ومعه هدايا كثيرة * وكان في
ما قدم به من العبيد والاماء والحواري الخيرة سبعمائة جارية وغير ذلك
من الخصيان والحيل والدواب والوانبي من الفضة والذهب فقدم على هشام
بهداياه واستغفاه فاعفاه * وكان خلف على افريقية عقبته بن قدامة التميمي

الخبر عن ولاية ابن الحجاب

فكتب هشام الى عبدة الله بن الحجاب وكان عامله على مصر فامره
بالمسير الى افريقية وولاه ايماعها وذلك في ربيع الاخير سنة عشر ومائة
فاستخلفه على مصر وقدم الى افريقية فاستخرج المستنير من السجن
وولاه تونس * وبسعت حبيب بن ابي عبدة بن عقبته بن نافع الى

السوس وارض السودان فغتم مغنما لم ير مثله واصاب ذهبا كثيرا وكان في ما
اصاب جارتان من جنس تسميه البربر اجان ليس لكل واحدة منهن إلا
ثدي واحد * ووجه خالد بن ابي حبيب الفهري الى البربر بطنجة
ومعه وجوه اهل افريقية من قريش ومن الانصار فقتل خالد ومن معه ولم
ينج منهم احد فسميت غزوة الاشراف وقتل عبيد الله بن الحجاب الى هشام
في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة ذكره صاحب كتاب الاكتفاء ابن
الكرديسي * ونقل ابن الشباط ابن عبيد الله بن الحجاب ارسل حبيب
ابن ابي عبيدة في البحر غازيا الى صقلية في سنة اثنى عشر وعشرين ومائة
فظفر ظفرا لم ير مثله ونزل على سرقوسة وهي اعظم مدنهم بصقلية فقاتلهم
وقاتلوه حتى ضرب بايها بالسيف فاثرفيه فهاجته النصراري فاذعنوا بآدم
الجزية فاخذها منهم ورجع سائلا الى عبيد الله بن الحجاب * وكان ابن
الحجاب رئيسا نبيلًا وأميرًا جليلًا وكاتبًا بليغًا حافظًا لا يلم العرب وهو الذي
بنى الجامع بتونس ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة كما تقدم كذا نقل
ابن الشباط وذكر عن غيره ابن ولایتہ كانت سنة ست عشرة ومائة وقتل
الى المشرق في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة والله اعلم *

الخبر عن ولاية كلثوم بن عياض القيسي

قال صاحب الاكتفاء في جمادى الثانية من سنة ثلث وعشرين ومائة وجه هشام
ابن عبد الملك كلثوم بن عياض القيسي الى افريقية فلما قدمها غزا الى طنجة
فقتل البربر هنالك ولم يذكر وفاته وإنما ذكر ذلك اجالا لا تفصيلا ولم اطاع
على خبره في غيره واهل صاحب تاريخ القيروان ذكره باسط عن هذا وانبي
مشوق الى رويته هذا التاريخ ولم اتصل به واهل ما ذكرته في هذا
المجموع هو موجود في تاريخ القيروان بزيادة ايضاح وما جعلت هذا القدر
اليسير الا من غيره ولي العذر فيما جعلته من نشئت البال وتراخي المحن
والاهوال ومن ضيق الوقت وكثرة المقامات وقلته للاطلاع وقصر الباع وقلته
لمساعد وكثرة الناقد والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله *

الخبر عن ولاية حنظلة بن صفوان

قال بن الكردبوس ولما سمع هشام بن عبد الملك بوفاة كلثوم بن عياض ارسل الى افريقية حنظلة بن صفوان في صفر سنة اربع وعشرين ومائة فاقام بها الى ايام مروان بن محمد * وفي ايام هشام بن عبد الملك عزل عقبة بن الحجاج عن الاندلس وولى مكانه الحسام بن صرار الكلبي فاقام واليا بالاندلس تسعة اعوام وهو الذي جوز اليها من اهل الشام عشرة آلاف رجل وهزم بهم ابن يفرن الزناتي اذ كان قام بها عليه فظفر به وصلبه وصلب عن يمينه كلبا وعن يساره خنزيرا وخلفه قردا وامامه دبا واسكن اهل دمشق البيرة واهل فلسطين شذونة واهل الاردن وشقة واهل قنسرين حيان واهل مصر باجة واهل حص اشيلية وبهم سميت اشيلية حص ومات بها في ايام هشام فولى عوضه الهيثم بن الكلبي وما ذكرت هك النبذة إلا لابين ان الاندلس كانت من تحت ايدي ولاية افريقية ومنها فتحت والمزية لافريقية عما سواها من بلاد المغرب وكل بلد بالمغرب كانت تحت ايدي البلاد لافريقية ولم تنزل الولاية تنردد اليها من ايام الفتح من قبل الخلفاء الامويين الى ايام هشام بن عبد الملك * ولما توفي هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاخر وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر وعشرة ايام قام بالامر بعك الوليد بن يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات هشام فيه * وكان يحب اللهو والصيد واطهر الملاهي وانهمك في شرب الخمر وجاهر بالكبائر وعم الجور في ايامه حتى كاد يقال فيه جبار بني امية ومثالبه مذكورة في غير ما موضع وقام عليه يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم فبعث اليه الوليد جيشا فقتل يحيى في تلك الحروب وجي براسه الى الوليد وصلبت جثة زيد ولم يزل يصلوبا الى ايام ابي مسلم * والوليد هو الذي قرأ في المصحف قوله تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - فنصبه غرضا للشباب وجعل يقول تهددني بجبار عسسينيد فها انا ذاك جبار عسسينيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مرقني الوليد
فلم تطل أيامه حتى عاجله القدر وقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد
فلم يترك له عينا ولا اثرا وقطع رأسه وحمله إلى دمشق وكانت خلافته
سنة وشهرين وقام بالأمر بعد الوليد المذكور ابن عمه يزيد *
الخبر عن خلافة يزيد بن الوليد
ابن عبد الملك بن مروان

بسبوع بعد موت ابن عمه الوليد في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين
ومائة ويسمى يزيد الناقص * وقام عليه مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم غضبا لما فعله يزيد بالوليد * ولما دخل دمشق فر يزيد فظفر
به مروان بن محمد فقتله وصلبه وكانت خلافته ستة أشهر * وقام
بالأمر بعك أخوه إبراهيم *

الخبر عن خلافة إبراهيم بن الوليد
ابن عبد الملك بن مروان

بسبوع في اليوم الذي مات فيه أخوه يزيد فلم تطل أيامه ولم يكن
له في دولته أقبال فكانوا تارة يسمونه بسامير المؤمنين وتارة بالأمر فقط
وقام عليه مروان بن محمد وسار إليه في سبعين ألفا * وبعث إبراهيم إليه
سليمان بن هشام في مائة ألف فاقبلوا بغوطة دمشق فظهر عليهم مروان
وقتل منهم خلقا كثيرا ودخل دمشق * وخلع إبراهيم نفسه وكانت
خلافته شهرين وبعد شهرين من خلع قتل مروان بن محمد واستقل
بالأمر بعك *

الخبر عن خلافة مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم ابن أخي عبد الملك بن مروان

بسبوع في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ولقبه مروان الحمار ومروان
الجعدي * ولما ولي الخلافة نبش قبر الوليد وأخرجهم وصلبه وعزل عبد
الملك بن قطن عن لاندلس وقدم عليهما ثوابته بن نعيم الأنصاري فقام

واليا بالاندلس أربع سنين لى ان ظهرت الدولة العباسية فبقي الامر بالاندلس سدى وانفق رأيهم على ان يقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري فاقام واليا عشر سنين لى ان دخل اليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان كما سيأتي ان شاء الله * ولست نرجع لى ذكر مروان الجعدي * وفي أيام خلافته خالفت عليه حصن ففتحها وهدم سورها ولم يزل في تشتيت من امره واضطراب النواحي وهو في ذلك يقيم الحج لى سنة ثلثين ومائة وقام ابو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس سنة تسع وعشرين ومائة * وكانت حروب كثيرة بينهم وفر مروان بن محمد وتبعه جيش بني العباس لى قرية من قرى الصعيد يقال لها - ابو صير - سنة اثنتين وثلثين ومائة * وكانت خلافته خمس سنين وعشرة اشهر وبه انقرضت دولة بني امية من المشرق وظهرت دولة بني العباس * وكانت أيام بني امية الف شهر * ولما دانت لبني العباس بلاد المشرق قتلوا من وجدوة من بني امية إلا من استخفى منهم أو من كان دخل لى بلاد المغرب * وممن الذين دخلوا المغرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم دخل بلاد الاندلس سنة تسع وثلثين ومائة فوجد احوال الاندلس غير مجتمعة ولم تصل اليهم ولاية من قبل الخليفة والناس فرق بين هاشم وامية فاجتمع لى عبد الرحمن كل من كانت في باطنه حرارة او موجدة عن يوسف بن عمر الفهري فانصاف لى عبد الرحمن وقاسى بها عبد الرحمن خطوبسا * ولسم بها وقائع مشهورة لى ان دانت له البلاد * وقام الفهري وهزمه وقتله وملك مدينته قرطبة ودانت له البلاد وبقي ملكا ثلثا وثلثين سنة وتداولتها بنوه من بعد ولم يخطب احد منهم لبني العباس ولم يدخل تحت طاعتهم لى أيام عبد الرحمن الذي تلقب بالناصر لدين الله وتسمى بامير المؤمنين - لما ظهرت بنو عبيدة في افرنجية وتسموا بامراء المؤمنين تسمى عبد الرحمن بامير المؤمنين * وقسيسيل ان من تقدمه من اباائه

كان يخطب لبني العباس وعبد الرحمن هذا الذي تلقب بالناصر هو ابن
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المحكم بن هشام بن عبد
الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي توفي
سنة خمسين وثلاثمائة * وكانت امارته خمسين سنة ونصف سنة وعمره
ثلاث وسبعون سنة * ولمسا مضت من امارته سبع وعشرون سنة ورأى
ضعف الخلافة بالعراق وظهور العلويين بافريقية تسمى بامير المؤمنين *
وتولى بعد ابنه المحكم وتلقب بالمستنصر وتوفي سنة ست وستين
وكانت امارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة
أشهر * وعهد له ولك هشام وعمره عشرة أعوام وتلقب بالمويد وهو الذي
حجبه محمد بن عبد الله بن ابي عامر الملقب بالمنصور واستحكم على امر
المويد هشام وامال اليه الجند ولم يبق للمويد إلا الخطبة والسكة فدانت له
ملوك الشرك وانزلهم من صياصيمهم وحكم على ملوكهم وجعلهم عمالا له ودخلوا
في طاعته * وكان حازما عاقلا واكثر الغزوات في بلاد الكفرة حتى اذلهم
الله على يده وجعلهم ينقلون التراب من اقصى بلادهم الى قرطبة وبني به
الجامع وفعل بهم ما لم يفعل غيرهم ممن تقدمه وكان يقال في حقه انجب
مولود ولد في الاسلام * ونقل ما في خزائن بيت المال وجعله تحت يده
وكان خراج لانديس حصر في زمن عبد الرحمن الناصر فبلغ خمسة آلاف
الدينار فكان يجعل ثلثه في بيت المال والثلث للجند والثلث الباقي
لبنائهم وصلاتهم للشعراء والعلماء وغير ذلك * ومسا اطلت في هذا الفصل
إلا تكون لانديسية اصل افتتاحها من هذه البلاد ومننت بناء الحكاية ليصل
بعضها ببعض وربما لم يخل هذا الموضوع من فائدة وان كانت في غير هذا
أبسط من هذا ويعلم الواقف على هذه النبذة ان افريقية لها الشرف
السابق بين بلاد المغرب لان لانديسية فتحت منها في زمن الجاهلية وفي
زمن الاسلام وكذلك الصقلية فتحت منها * وكانت عمالها من تحت
عمال افريقية معين من الأعوام * وكانت دار ملك بني الأغالبة القيروان

ثم قامت بها بنو عبيد الفواطم ثم تملكث عليها ملوك صنهاجة * وكان لهم صخامة ملك وهم عمال للفواطم عندما رحلوا إلى بلاد المشرق * وكان حكم بني الأغلِبِ وسن كان قبلهم من الأمراء وسن كان بعدهم من صنهاجة إلى حد السوس من بلاد المغرب إلا ما خرج عن أيدي بني الأغلِبِ عند تمكن لإدارة من بلاد المغرب * وكان أولهم ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذلك بعد السبعين والمائة في أيام المهدي أمير المؤمنين العباسي وادريس بن ادريس هذا هو الذي بنى مدينة فاس * وبسبب أخبارهم نذرتي بعد أن شاء الله تعالى عند ذكر الخلفاء الذين كانوا بالمغرب وملوك لموتهم وبني عبد المؤمن الذين يقال لهم دولة الموحدين لكي يرتبط النظام بدولته بني حفص وسن بعدهم إن شاء الله من الأمراء الذين كان استيلاؤهم بتونس وكيف تنقل الأمر من حال إلى حال والله هو المتصرف في البلاد والعبد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * ولما آل بنا الغرض إلى هنا نذكر لأن سن دخل أفريقيا من أمراء بني العباس ونسرد أسماءهم على الولاة من غير اطناب إلا ما تمس الحاجة بنا إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل *

ذكر الولاة من قبل العباسية

ولما كان قيام بني العباس بالشرق وتشتت جمع بني امية وكثرت الفتن بافريقية واشتغل بنو العباس بتمهيد البلاد في المشرق وهاجت فتن الخوارج بالمغرب قام ابو الخطاب راس الخوارج بافريقية وكثر ضررهم واشتدت شوكتهم فارسل ابو جعفر المنصور محمد بن الأشعث بن عقبه الخزازي سنة اربع واربعين * وقسم ال ابن نبانة الذي بعث محمد بن الأشعث أمير المؤمنين عبد الله السفاح سنة ثلث وثلثين ومائة والثول لأول اصح * فحارب الخوارج وقتل ابا الخطاب وشرذم الصفرية وبدددهم وبني سور القيروان من الطوب ستمه عشر اذرع وذلك في ربيع لأول من السنة المذكورة وكمل في رجب الفرد لأصب

سنة ست واربعين وهو اول قائد للسودة * والسودة كناية لبي العباس لان شعارهم السواد وكانوا يلبسون السواد وكانت اعلامهم سودا وخاتمهم سودا لانهم خرجوا طالبين لدم الحسين وزيد رضي الله تعالى عنهما فجمعوا شعارهم السواد * فمنهم عمر بن حفص من ولد قبيصة بن ابي صفرة اخو الهلب بن ابي صفرة المشهور لباهة ذكوره وثقبه هزار مرد معناه الف رجل بالفارسية لغة فارس وما لقب بهذا إلا لشجاعته كان يقوم مقام الف فارس في الحرب * وكان بطلا شجاعا اولاه المنصور امير المؤمنين واسمه عبد الله المنصور آخر امير المؤمنين عبد الله السفاح ولي الخلافة سنة ست والثلاثين ومائة وكنيته ابو جعفر وكان مقدما لعمر بن حفص ولاية ولايات منها البصرة والسند وغيرهما وسيره الى افريقية سنة احدى وخمسين ومائة ومعه خمسة الف فارس واجتمع اليه وجوه اهل القيروان فواصلهم واحسن اليهم واقام الامور المستقيمة ثلث سنين واشهرها ثم سار الى الزاب وبنى مدينة طينته وذلك بعد ان ورد عليه كتاب المنصور وقتلته الخوارج بافريقية * ومنهم الامير يزيد بن حاتم بن ابي قبيصة بن الهلب بن ابي صفرة دخل افريقية سنة خمس وخمسين ومائة من قبل المنصور وكان معه خمسون الفا من العسكر فقتل الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص المتقدم ذكوره ومهد البلاد ودانت له العصاة ودخل القيروان لعشر بقين من جادى الاخيرة من السنة المذكورة وثقب امر القيروان وجعل كل صناعة في مكانها وكان جوادا مشهورا * وحسكى طم سحنون انه كان يقول والله الذي لا اله الا هو ما هبت شيئا قط كهيبة رجل واحد يزعم اني ظلمته وانا اعلم انه لا راحم له الا الله يقول بيني وبينك الله * وهادم جامع القيروان ما عدا الحراب وبناه واشترى العمود الاخضر بمال جزيل * وكان جوادا سوريا يعد من الكرماء * ولما رحل عن العراق كان في صحبته يزيد السلمي عامل مصر فكان يزيد بن حاتم ينفق على الجيشين من عنك وهذا غاية الكرم * وقصصك جاءت من الشه راء فاحسن اليهم وقصصك

سروان بن ابي حفصمة الشاعر فانشك هذين البيتين -
اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نوملسه
فلا نحن نخشى ان يخيب رجأونا لديك ولكن اهنالبر عاجلسه
فسامر للمجد بطايعهم وقال من احبني يعطي هذا الشاعر درهما
فحصل له خمسون الف درهم وزاده من عنك حسين الفا فرجع الشاعر
بمائة الف درهم في بيتين * قلت انظر ايها المتامل الى نفاذ سرق
الادب في ذلك العصر وقلته نفاذه في زماننا هذا حتى ان الشاعر في هذا
الزمان ربما جهد جهلك في مدح انسان ويود ان يحصل له من الممدوح
السماع فضلا عن المجائزة فلا يحصل على شيء وكفى بمن يبخل بسعد والامر
لله وكانت ولاية يزيد خمس عشرة سنة ومات بالقيروان سنة سبعين
واسستخلف ذلك من بعك فعزله امير المؤمنين هارون الرشيد باخيه
روح بن حاتم رحم الله تعالى الجميع * والامير روح بن حاتم بن
قبصة بن الهلب بن ابي صفرة الازدي اخو يزيد بن حاتم المقدم
ذكرة كان عالي الهمة ولي الولايات الكبار الخمسة من الخانقاه - السجاح
- والمنصور - والمهدي - والهادي - والرشيد - ودخل افرقيته سنة
احدى وسبعين بعد موت اخيه يزيد واقام بها اربع سنين * وممن
الاتفاق الغريب انه كان واليا على السند واخوه يزيد على المغرب فلما مات
اخوه يزيد كان الناس يقولون ما ابعد قبري هذين الاخوين احدهما
بافريقية والاخر بالسند فاتفق ان الرشيد عزله عن ولاية السند وبعثه الى
افريقية فمات بها في شهر رمضان سنة اربع وسبعين وماتت ودفن مع اخيه
في قبر واحد ولله عاقبة الامور * وفي ايامه ظهرت دولة الادارسة بالمغرب
وبسويح الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن
ابي طالب بمدينة ويلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين
وسبعين وماتت واستفحل امره بتلك البلاد وسياتي بقية من خبره ان
شاء الله تعالى * ومنهم الامير هرثمة بن اعين الهاشمي ولاء امير

المومنين هارون الرشيد افريقية سنة تسع وسبعين وقدم الى افريقية يوم
الخميس لثلاث خلون من ربيع الاخير من السنة المذكورة واقام بها الى
سنة ثمانين * وفيها ساءت بني بلد المنستير قاله ابن خلكان * ونقل ابن
الشباط انه بنى النصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن
قادم * وبني سور مدينة طرابلس وامن الناس في ايامه * وقفل الى
المشرق في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة بعد ما كتب الى الرشيد
يستغفبه عن الولاية لما رآه من الخلف فاعفاه الرشيد * وكتب اليه
بالقدوم الى المشرق وعاش الى ايام امير المومنين المأمون وكان يعتمد عليه
في الامور العظام * وفي سنة مائتين حقد عليه وجبسه ثم ارسل اليه من
قتله في السجن رحمه الله * وكان من اكبر قراد المأمون ممن عاصد
طاهر الحسين في محاربة الامين * ومنهم ابراهيم بن لاغلب كان
سنة اربع وثمانين ومائة من قبل هارون الرشيد وقيل خمس وثمانين وهو
الذي بنى مدينة القصر على ثلثة اميال من القيروان * وهدم دار الامارة
التي كانت بالقيروان قبلي الجامع وانتقل الى القصر وجعله دار الامارة
وعمرت بازائه مدينة القصر وصار بها اسواق وجامعات وفنادق وجامع
وذلك في سنة اربع وثمانين ومائة ومات سنة خمس وثمانين ومائة *
ومنهم زيادة الله بن ابراهيم بن لاغلب استقل بالامر في سنة احدى
ومائتين واقام في الولاية الى سنة ثلث وعشرين ومائتين * وقسم عليه
منصور الطنبذي وحاصره اثني عشرة سنة ونسبه اهل القيروان الى الجور
وهذا امر انتصر على الطنبذي وهزمه * وكان الطنبذي قام مع جماعة
من الجند وملك مدينة القيروان وافريقية وكانت بينهما واقعات وفيها خسر
الامر انهزم منصور الطنبذي وفتح الله عز وجل لزيادة الله وعاد اليه ملك
افريقية وهو الذي سور مدينة القيروان وحضر الجامع بها وانفق عليه
سنة وثمانين الف دينار بعد ما هدمه ما حدا الحمراب ايضا وبني سور
مدينة سوسة * وفي ايامه بعث الى صقلية اسد بن الفرات وكنان

قاضيہ بالقيروان ومعہ من الجيش نحو عشرة آلاف فركب البحر من سوسة
 وسار إلى صقلية والتقى بصاحبها بلاطه * ويقال انه سكن في
 مائة ألف وخمسين الفا فهزم الله الكافرين وضم المسلمون اموالهم وهددوا
 شملهم واستفتحوا من صقلية مواضع كثيرة * وتوفي اسد بن الفرات وهو
 محاصر لسرقوسة في ربيع الاخير سنة ثلث عشرة ومائتين ودفن هالك
 وسكنها المسلمون واستوطنوها ما شاء الله وتداولت عليها الولاة من قبل
 القيروانيين وكان محمد بن عبد الله بن الاغلب واليا على صقلية سنة ثمان عشرة
 ومائتين ومات سنة سبع وثلاثين وفتح فيها فتوحات عظيمة وكان مقامه
 في بليوم لم يخرج منها وانما يبعث سرايا ومدة امارته تسع عشرة سنة
 له ان اخذها منهم العدو وذلك بعد الاربعين وخمسائة وسباني بقية
 خبرهم فيما بعد ان شاء الله * وتوفي زيادة الله سنة ثلث وعشرين
 ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم ابو عقاب واسمه الاغلب بن ابراهيم
 ابن الاغلب اخو زيادة الله المتقدم ذكره وتوفي ابو عقاب سنة ست
 وعشرين ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم ابو العباس احمد بن ابراهيم
 وكان في زمانه سحنون بن سعيد وفي ايامه منع سحنون اهل الاهواء
 من المسجد الجامع وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويتظاهرون بمذاهبهم مثل
 الاباضية والصفرية والمعتزلة فمنعهم سحنون من الاجتماع * وكان عامله
 بصقلية ابن عمه محمد بن عبد الله بن الاغلب المتقدم ذكره ومات بها
 سنة سبع وثلاثين ومائة * وتولى بعك العباس بن الفضل بن يعقوب بن
 فزارة وسباني بعد ان شاء الله تعالى * ومنهم محمد بن ابراهيم بن
 محمد بن الاغلب وكان في سنة اربعين ومائتين * وفي ايامه عصي اهل
 تونس عليه فغار عليهم وسبى منهم خلقا كثيرا * وله واقعة مشهورة مع الامام
 سحنون في رد المسبيات ومنع بعض امرائه من التصرف فيهن واستخرجهن
 من دارة * وبسمعت لامير محمد الك سحنون في ردهن فاقسم لا
 يردهن ما دام قاضيها إلا ان يرفع يده عن القضا فتكى منه رحم الله الجميع

وسيفه ايامه فتح العباس بن الفضل بن يعقوب بن قرارة مدينة بانة من صقلية وبنى بها مسجدا وصلّى فيه الجمعة وهي دار الملك عندهم وكان الملك قبل ذلك يسكن سرقوسة وتوفي بها سنة سبع وأربعين ومائتين وتولى بعك ولك عبد الله بن العباس اميرا على الجزيرة * ومنهم ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام بالامر بعد ابيه ومات في سنة تسع وأربعين ومائتين * ومنهم زيادة الله بن محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام بالامر بعد اخيه وكانت ولايته عاما وستة اشهر وتوفي سنة احدى وخمسين ومائتين * ومنهم اسمعيل بن اخيه ابو عبد الله محمد بن احمد ابن محمد بن ابراهيم بن الاغلب تولى بعد عمه زيادة الله سنة احدى وخمسين ومائتين في جادى الاولى وكانت امارته عشر سنين وخمس اشهر ومات سنة احدى وستين ومائتين * وكان عامه على صقلية خفاجة بن سفيان ارسله من افرقيية فغزا فيها عدة غزوات وفتح فتوحات عظيمة ولم يزل بها الى ان اغتاله رجل من عسكرة فقتله وفر الى العدو واقام الناس ابنه محمد بن خفاجة وارسل اليه الامير محمد فاقره على عمله ولم يزل الى سنة سبع وخمسين ومائتين فقتله خدمه الخصيان واستعمل بعك الامير محمد لاغلي على الجزيرة احمد بن يعقوب * ومنهم اسمعيل بن محمد بن احمد سنة احدى وستين ومائتين * ومنهم اسمعيل بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام بالامر بعد ابيه وهو الذي بنى ماجدل القيروان وجامع تونس وله واقعة مشهورة * ومنهم الامير ابراهيم بن احمد بن محمد الذي بنى مدينة رقادة وانتقل اليها وابندا بناها سنة ثلث وستين ومائتين فكملة سنة اربع وستين وسكنها واتخذها دارا للكل * وكان يكثر الاقامة بتونس وكان ذا فطنة عظيمة وصاحب معروف وطالت مدته وكانت ولايته سنة احدى وستين ومائتين وبعث الى صقلية الحسن بن العباس عاملا عليها فبعث الحسن سرايا وفتح عدة اماكن مشهورة ودانت له البلاد وصلح حالها في ايامه وانتقل من افرقيية الى صقلية بعد ما

استخلف ولده ابا العباس احمد وجاهد في الله حق جهادة * وفتح
الفتوحات العظيمة وتوفي بالدرب وحل الى الثيرون سنة تسع وثمانين
وماقتين وتصدق بجميع ماله رحمة الله تعالى عليه * وحكمت امارته
ثمانين وشرين سنة * وفي ايامه ظهر ابو عبد الله الشيعي بارض كسامته
يدعو الى آل البيت وسباني بقيته خيرة * ومنه سسم الامير ابو العباس
احمد بن ابراهيم بن احمد المتقدم ذكره استخلفه ابوه عن افرقية عدد مسيرة
الى صقلية واقام بها بعد وفاة والده الى ان توفي سنة ثمان وثمانين
ومائتين وقام بالامر بعده ولد عبد الله بن احمد * ومنه سسم الامير عبد الله
ابن احمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد وكان حسن السيرة كثير العدل صاحب
معرفة واحسان انتقل اليه الامر بعد ابيه سنة ثمان وثمانين وحكمت
اقامته بتونس وقيل سنة تسع وثمانين وعات بتونس سنة خمس وتسعين
مقتولا قتله ثلثة من الصقالبة بانفاق من ابنه زيادة الله لانه سجنه من
شرب الخمر فانلق معهم على قتل ابيه فقتلوه واحضروا راسه بين يدي
زيادة الله ولدك وهو سيف السجن فلما تولى زيادة الله امر بقتلهم فقتلوا وهو
الذي كان امر بذلك * ومنه سسم الامير زيادة الله بن عبد الله بن احمد
استقل بالامر بعد ابيه ولما لم الامر انعكف على لذاته ولازم المضحكين
واهدل احوال الرعية والمملكة وقتل من اعمامه واهل بيته من قدر عليه
وفي ايامه استفحل امر ابي عبد الله الشيعي القايم بدعوة الفاطميين
بالمغرب * وارسل زيادة الله عسكريا مع ابن عمه ابراهيم وقدره اربعون الفا
فهزمهم ابو عبد الله الشيعي * ولما رأى زيادة الله هزيمة عسكريه
وضعه عن مقاومته جمع ما قدر عليه من الاموال وخرج عن ملكه فارا الى
المشرق وذلك في خلافة المعتذر بالله العباسي فوصل الى مصر وبها النوشي
عاملا عليها * فكتب الى المعتذر يخبره بزيادة الله ثم سار زيادة الله الى
ان بلغ الرقة فوافاه كتاب امير المؤمنين بالعود الى بلاده لقتال الشيعي
ويامر عامل مصر ان يملك بما يحتاج اليه من المال والرجال * فوجه الى

مصر فعاظمه العامل بها وزيادة الله في انشاء ذلك منعكف على لذاته
واستماع الملاهي وشرب الخمر فلما طائل مقامه تفرق جمعه وفرت عنه اصحابه
وتناجحت به الامراض فتوجه الى بيت المقدس لتصد الاقامة بها فمات
بالرملت ودفن بها ولم يبق بالمغرب من بني الاغلب احد * وكسنت
مدة ملكهم مائة واثنين عشرة سنة تقريبا * فسبحان من لا يزول ملكه ولا
يفنى دوامه وتتصرف في العباد احكامه يفعل في ملكه ما يشاء وهو على كل
شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *

السبب الرابع في ذكر الدولة العبيدية

وابتداء امرهم والثائم لاصلاح دولتهم

فارلهم ابو عبد الله الشيعي واسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء
من اهل صنعاء وقيل من اهل الكوفة اخذ اسرار الدعوة عن ابن حوشب
وارسله الى المغرب فقدم الى مكة ايام الحج واجتمع بجماعة من المغاربة من
اهل كنانة وكان عندهم طرف من ذكر مال البيت فجلس اليهم وتحدث معهم
وذكر لهم فضائل اهل البيت فانسوا به واعجبهم ومالوا اليه وسالوه عن قصص
فاظهر لهم انه يريد مصر لتصد التعليم فاستصحبوه معهم الى مصر * ولما ان
رحيلهم اخذ يديهم وقد عز عليهم فراقهم فسالوه انصحبتم معهم الى بلادهم اذ
كان قصص التعليم والثواب فاجابهم لما طلبوه وقفل معهم الى المغرب ولم يظهر
لهم عراة وفي انشاء ذلك يسالهم من خبر بلادهم وصنائيرهم الى ان احاط بها
خبرة * ولما وصلوا الى بلادهم تنافسوا فيه وعند من تكون اقامته الى ان
كادت ان تكون بينهم فتنة * فعند ذلك سالهم عن فحج الاخبار ولم يكن
سالهم منه قبل ذلك فعجبوا منه وقال اذا جئناه ناتي كل قبيلة منكم في مكانها
فرضوا بذلك وكان اسمه عندهم ابا عبد الله المشرقي وقدم المغرب منتصف
ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين واثنا الابربر من كل مكان وذلك في زمن ابراهيم
بن احمد الاخابي * فلما سمع به استصغر امرة واحقره * ثم صدى ابو عبد
الله الى تيهرت فملكها واثنته وفود الابربر من كل فحج ولا زال في زيادة من امرة

لے ایام زیادة اللہ الاحول فبعث الیہ عدة الوفی فجزمہم ابو عبد اللہ ولما
رأی زیادة اللہ اب عبد اللہ یتزاید امرہ فر باعلہ ومالہ لے المشرقی کما تقدم
ولما اتصل الخبر بابی عبد اللہ ان زیادة اللہ هرب وکان اذ ذاک سیف ببلد
سببہ رحل منها وقدم بین یدیہ عربیة بن یوسف بن ابی خنزیر فی
الف فارس فأرسلہم لے رقادة وامرہم ان لا یتعرضوا لاحد بکروہ * فلما
سمع اهل القیروان بذلک خرجوا الی ابی عبد اللہ وهنؤہ بالفتح ودخل رقادة
یوم السبت اول رجب سنۃ ثلث وتسعین ومائتین * ولما حضرته
الجمعة کتب کتابا لمخطیب رقادة ومخطیب القیروان بما یقولان * ونقش
علی السکتہ من وجہہ - بلغت حجة اللہ - وعلی الوجه الاخر - تغرقت اعداء
اللہ - ولما استقام لہ الامر ومهد البلاد واجتمع باخیه ابی العباس استخلفہ
وخرج من رقادة فی اول رمضان من سنة ست وتسعین وتوجد الی سجلماسة
فانتزله المغرب وخافته زناتة وقبائل العرب والبربر المخالفون لہ فطلبوا منه
امانا * ولما قرب سجلماسة سمع بہ الیسع بن مدرار وكان عاملا لبني الاثلب
وکان زیادة اللہ کاتبہ یخبرہ بخبر المهدي وهو اذ ذاک فی بلك فبعث لے
المهدي وسالہ عن حالہ فانسکر وکان وصل لے بلادہ فی زی التجسار
فتجاوز عنہ ولما بلغه الخبر عن ابی عبد اللہ الشيعي امسک المهدي وسجنہ
فلما سمع ابو عبد اللہ بانماکہ للمهدي کاتب الیسع وتلف الیہ فلم
یغن عنہ شیئا وخرج الیہ الیسع فماتلہ ساعة من نهار وانہزم فدخّل ابو
عبد اللہ البلد واستخرج المهدي وذلك من السجن وقرب الیہما مراکب
رائعة فركبا ومشی ابو عبد اللہ ووجوه الثبائل بین یدی المهدي وابو عبد
اللہ یبکی من الفرح ویقول هذا مولای ومولاکم وانزلہ فی فسطاط اعد لہ
ورحل ابو عبد اللہ فی طلب الیسع فظفر بہ وقتلہ بعد ما طیف فی العسکر
وعرب بالسیاط واقام المهدي فی سجلماسة اربعین یوما ثم نهض لے
افریقية وکان دخولہ الیہا فی ازید من مائتی الف بین فارس وراجل *
وکان وصول المهدي لے رقادة یوم الخميس لعشر یقین من ربيع الاخر

سنة سبع وتسعين ومائتين ونزل بقصر من قصورها وفرق باقيها والسدور على جميع الأجناد * وكتب الى جميع البلاد فاخذ البيعة وامر الخطباء ان يذكروا اسمه على المنابر واستبد بالامر ودون الدواوين وهو اول من تسمى بامير المؤمنين * وفي هذه السنة زالت دولة بني مدرار من سجالماسته الذين اخرهم اليسع بعد مائتين وستين سنة ودولة بني رستم من تيهرت بعد ثلثين ومائة سنة ودولة بني الاغلب بعد مائة واثنى عشرة سنة والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين *

الخبر عن خلافة الامام المهدي

هو ابراهيم عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم نقله ابن خلكان عن صاحب تاريخ القيروان وقال ابن خلكان وجدت في نسبه اختلافًا * قلت وللناس مذاهب في نسبهم والله سبحانه وتعالى اعلم وولده بسوية وقيل بيغداد سنة ستين ومائتين واستقل بالامر سنة سبع وتسعين وكان جيلًا مهيبًا حسيبًا عالمًا بكل فن عارفًا بالسياسة والتدبير للملكة ولما تم له الامر باشر الامور بنفسه وبعث العمال وجبى الاموال واستعمل على صقلية ابا عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء الشيعي * ولمسا استبد بالامر دخل ابا العباس الحسد واخذ في تغيير قلوب اهل الدولة وظهر الخبر والمهدي مسر لذلك لانه ان فشا بين الناس فنقسم المهدي على ابي عبد الله وعلى اخيه ابي العباس فقتلها سنة ثمان وتسعين ومائتين * وكان ابو عبد الله الشيعي يلبس الخشن من ثياب الصوف وياكل الخشن من الطعام ويظهر الزهد والورع وهو الذي بنى اساس بيت الفواطم في مملكة المغرب وكان كالباحث عن حنقه بظلمه * واستقام الامر للمهدي وعهد له ولده ابي القاسم محمد ونفذت الكتب عنه بولي عهد المسلمين وعصمت عليه صقلية فبعث اليها اسطولًا وفتحها وبعث اليها املا من قبله * وخالفت عليه طرابلس فبعث اليها جيشًا وفتحها واخرم اهلها ثلثمائة الف

وأربعين ألف دينار * وفي سنة ثلثمائة خرج بنفسه إلى تونس وقرطاجنة
يرتاد لنفسه موصعا يمنع لان عنده خبر بوجع يخرج على دولته فوقع
اختياره على المهديّة فبناها وحصنها ولما مد الخيط على أول حجر من أسس
البلد أمر راميا فرمى بالقوس فانتهى السهم إلى موضع المصلى فقال - إلى
هذا الموضع أي موضع السهم يبلغ صاحب الحمار - يعني ابا يزيد الخارجي *
وأمر بقياس مسافة الرميّة فبلغت مائتي وثلاث وثلاثين ذراعا فقال - هذا
مقدار ما نقيم المهديّة في أيدينا * وبعث ولده ولي العهد إلى مصر فملك
الاسكندريّة والفيوم وحاربهم عامل مصر فهزمهم ورجع إلى المغرب ثم رجع
أيضا سنة سبع وثلثمائة إلى المشرق فوقع الوباء في عسكرة فكرر راجعا
إلى المغرب * وفي سنة خمس عشرة خرج ولي العهد إلى المغرب وبلغ
إلى تيهيرت وأمر ببناء مدينته وسماها الحمدية وهي المسيلة وأمر عامله
ان يخزن من الأقوات بها ويستحضر منه * ولما دانت له العباد وصفت
البلاد عاجله جامع ودنت أيامه وتوفي للنصف من ربيع الأول سنة
أنتين وعشرين وثلثمائة عن ثلاث وستين سنة * وكانت خلافته خمسا
وعشرين سنة رحمة الله عليه ودفن بالمهديّة وبلغت دعوتهم من برقة
إلى المغرب * وفي أيامه انقضت الفراطيم لإدارته عن المغرب ولم تكن
لهم قوة بعد ذلك * وكانت عماله بفاس وأعمالها إلى مدينته ستة كانت
لبنّي اميّة * وملك مدينته فاس سنة خمس وثلثمائة على يد قائده مطالته
وبأيامه صاحبها وسياثي أن شاء الله تعالى *

الخبر عن خلافة القائم بأمر الله أبي القاسم

نزار - وقيل محمد - بن المهدي

تولى بعهد من أبيه فقام مقام أبيه واتبع سيرته وجهز أسطولا وأمر
عليه علي بن اسحاق فسبى مدينته جنوة وبعث ميسور الفتى في مسكر
صخم إلى المغرب فبلغ إلى مدينته فاس * وفي أيامه ظهر أبو يزيد بن
كيداد الخارجي * ولندكر طرفا من أخباره - هو أبو يزيد مخلد بن

كيدان مولده بيلد السودان واصل ابيه من مدينة توزر وهو زناتي الاصل
واقى به اجدته في المغرب فتعلم القراءان العظيم وحافظ جسامته من النكار
فتعلم مذهبهم الخبيث * وكان يعلم اولاد المسلمين وكانوا يصدقون عليه *
ومذهبه تكفير اهل السنة واستباحته اموالهم * وسكن نقيوس ولزم بهما
مسجدا يعلم الاطفال * فكان يلبس جبة صوف وعلى راسه قنسوة صوف
وفي عنقه سحمة وكان يعتقد الخروج من السلطان وصارت له جماعة
يعظمونه ويسمعون منه وذلك في ايام الهدي ولم يزل على ذلك الى ان
اشدت شكيته وقويت شوكته فنشر غاراته في بلاد البربر * وفي ايام
القائم عظم امرة وافسد البلاد وحصر باغاية وقسطيلية وفتح بجاية وهناك
اهدي له حمار اشهب كان يركبه وبه دخل افريقية ونهب بلد الاربعين
ففر الناس الى جامعها فقتلهم فيه واقتض اصحابه فيه الا بكار وفعل بهم
ما لا يفعله مسلم * وارسل القائم جيشا مع بشر الفتى لحراسة بلاد باجة
فسمع به ابو يزيد فرحل اليه وجعل كل ما مر على مكان افسده وسبى
حريره والثقي مع بشر فهزمه بشر اولاد وعود معه القتال ثانيا فهزم بشرا وفر
بشر الى مدينة تونس ودخل ابو يزيد باجة بالسيف واجلها ثلثا وحرق
ديارها وسبى حريمها وبعث بالاطفال الرضع وفعل باهلها العجائب فخافته
جميع القبائل واتوه طوعا وكرها * وعسل الاخبية والبنود وبعث جيشا الى
بشر وهو بتونس فخرج اليه بشر بالتونسيين وهزمه * ووقعت فتنة بتونس
فكاتب اهل تونس ابا يزيد فامنهم وولى عليهم رجلا منهم ونزل ابو يزيد
بفحص ابي صالح * قلست هو الفحص المعلوم في زماننا قريب من بلد
زغوان واقتل مع الفتى بشر على هرقلة فانهمزم عسكر ابي يزيد مرة اخرى
وقتل منه اربعة آلاف رجل واسر خمسمائة فانفذهم الى المهديّة فقتلوا
هناك * ورجع ابو يزيد فجمع جوعا اخر وانصرف الى الحريرية بقرب
القيروان فاقتل مع طلّاع الكتاميين فهزموهم الى رقادة * ونزل ابو يزيد على
اربعة اميال من القيروان ومن الغد نزل في شرقي رقادة في مائة الف بين

فارس وراجل وزحف إلى القيروان فاقتتل مع أهلها فهزمهم * وأتى أبو يزيد إلى ماجل باب تونس من القيروان وركن بنوده * ودخلت البربر إلى القيروان فنهبوا وأفسدوا * ونزل بعد ذلك في رقادة وخرج شيوخ القيروان وطلبوا منه الأمان فقال - هلا طلبتم قبل اليوم - فاعتذروا له فمات لهم وعسكرة مع ذلك ينهبون في البلاد ويقتلون * فسالوه ثانياً وقالوا لم قد خربت القيروان - فقال لهم - وما عسى أن يكون خربت مكة وبيت المقدس مرتين - ثم أمنهم بعد ذلك وأثناء الخبران عسكراً قادم عليهم من نحو القائم فنأدى في القيروان - من تخلف عن الجهاد معي حل دمه وماله - ففتر معه خلق كثير والتقى مع عسكرة القائم بعد ذلك فكانت الهزيمة أن تقع على أبي يزيد ثم انتصر وملك الأحيية والفازات وهزم عسكرة القائم حتى بلغ النهزمون المهديتة فوجلت فلووب الناس إذ ذاك وانتقلوا من الرض إلى المدينة وأقام أبو يزيد في قيطنة ثمانية وستين يوماً وهو يبعث سراية إلى جميع بلاد إفريقية والحصون التي بها على البحر وأخذ جميع ما فيها من أقوات وسلاح * وبعث جيشاً إلى بلد سوسة فدخلها بالسيف وحرق المنازل وسبى النساء وقتل بالناس بقطع الأيدي والأعضاء وشق فروج النساء وبقر بطونهن وفعل باهل سوسة ما لا تعلم أعداء الدين ولم يبق بإفريقية منزل عامر * وفسرت الناس إلى القيروان حفاة عراة ومات أكثر اهل إفريقية جوعاً ومطشاً ونهب مدينة تونس وأخذ منها اثني عشر ألف خاوية زبناً غير الأموال والعبيد وقد مرخبرها في أول الأكتاب * ونهب من غيرها من البلاد ما لا يحصى وجل ذلك البربر إلى بلادهم لأن عامة جنده بربر * وكتب إلى قبائل البربر يحثهم على الجهاد إلى المهديتة * وفي سنة ثلث وثلثين وثلثمائة أمر القائم بحفر خندق على أرباض المهديتة * وانفذ الكتب إلى صنهاجة وكنامة يستفزهم إلى المهديتة ويحرضهم على قتال أبي يزيد * وزحل أبو يزيد ونزل قريبا من المهديتة ونهب ما حولها وخرج إليه حش القائم

واقتملوا معه فهزمهم وسار ابو يزيد الى الخندق المحدث بخاصته واقتمل
مع الحراس الذين هنالك فهزمهم * واقتمم ابو يزيد وسن معه البحر الى
ان وصل الماء صدور الدواب وجاوز السور وبلغ الى مصلى العيد ولم يبق بينه
وبين المهديّة الا رمية سهم واصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون ثم قويت نفوس
اهل المهديّة وتحاموا واقتملوا قتالا شديدا فزالوا ابا يزيد واصحابه عن البلد
ورجع ابو يزيد الى مقيظته وامر بحفر خندق على عسكرة واتته جميع القبائل
من طرابلس وقابس ونفوسة والزاب واقاصي المغرب * وحاصر المهديّة
اشد حصار ومنع عنها الداخل والخارج وزحف اليها مرة اخرى وكان بينهما
حرب شديد مات فيه وجوه عسكر القائم وزحف اليها مرة ثالثة فكان
بينهما الفناء لاعظم فانتصر فيه عسكر القائم وانهمز ابو يزيد وقتل من
اصحابه خلق كثير ورجع الى موضعه مخزيا * وزحف اليها المرة الرابعة
فكان بين الفريقين القتال الشديد * واشتد الغلاء في المهديّة وخرج منها
عالم عظيم من شدة الجوع * فعند ذلك فتح القائم خزائن الطعام المدخرة
عنه من عهد ابيه ففرقها في جندة وعبيده * وعظم البلاء على الرعية حتى
اكلوا الميتة والدواب والكلاب * وفر غالب اهل البلد حتى لم يبق مع
القائم الا جندة * والبربر كل سن وجدوة في الطريق شتوا بطنه لئلا يكون
فيها ذهب وفعلاؤا بهم من المنكرات ما لا يحل * وكسب القائم سلك كرامة
واستفهم وفي اثناء ذلك تفرقت عساكر ابي يزيد لاشتغالهم بالنهب
ولم يبق معه الا اليسير فعلم القائم بذلك فتاهب للخروج لابي يزيد
فخرج عسكرة والتقى مع ابي يزيد فتناوشوا الحرب ساعة ورجع كل الى
موضعه واتصلت بينهما عدة وقائع والحرب تارة وتارة * ودخلت سنة اربع
وثلاثين وثلثمائة وقع فيها اختلاف في عسكر ابي يزيد فتفرقت جوعه ولم
يبق معه الا ثلثون رجلا فرجع الى القيروان واسلم ما كان معه * فخرج الناس
من المهديّة ونهبوا ما خلفه فصاحت حالهم ورخصت اسعارهم واخذوا جميع
ما خلف من طعام وامتعتة واخبية وفازات وغير ذلك * ولسنا وصل بوا

يزيد القيروان نزل بالقصر ولم يخرج اليه من اهل البلد احد والصبيان
يسخرون به ويضحكون منه * وبلغ القائم خبره فبعث عمالا الى البلاد
واخرجوا همال ابي يزيد وتسامعت الناس انه هزم * ثم تغوى عزمه مرة
اخرى وانتقم البرابر من كل فيه فبعث عسكريا الى تونس فدخلها بالسيف
يوم السبت لعشر خلون من صفر سنة اربع وثلثين وثلثمائة وانتهبوها
وسبوا النساء والاطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد * ولجسا كثير من
الناس الى البحر فماتوا غرقا ودخل غيرهم قناة قرطاجنة فماتوا جوعا * وبعث
القائم عسكريا الى تونس فالتقى بعسكر ابي يزيد عند وادي ملبان فاقبلوا
فانهزم عسكر القائم ولجا الى جبل الرصاص واعدوا القتال ثانيا فانهزم
اصحاب ابي يزيد ورجع عسكر القائم الى تونس فنهب وقتل من بها من
النكار الخوارج واخذ لهم نحو ثلثة آلاف حمل من الطعام وذلك يوم
الاثنين خمس خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة ورجع الى المهدي *
ولما سمع ابو يزيد بهذا الخبر جمع جيشا عظيما وزحف به الى تونس
فقتل من عاد اليها من اهلها واحرق ما بقي منها وتوجه الى باجة ففعل
بها كذلك * وكسان بافريقيته من السبي والهرج ما لا يوصف
ولما وصل سبي تونس الى القيروان وثب الناس فانتزعوا السبي من ايدي
البرابر * وانتدب جمعا اخر فاجتمع له عدة اقوام ورجل الى سوسة وحاصرها
في جمادى الاخرة سنة اربع وثلثين ومعه من البربر سبعة وثمانون الفا *
واقسام على سوسة الى ان فوض القائم الامر الى ولده المنصور وجعله ولي
عهده في شهر رمضان سنة اربع وثلثين وثلثمائة * وفي شوال من السنة
المذكورة توفي القائم بامر الله وتولى ولده المنصور الخلافة *

الخبر عن خلافة المنصور بالله

ابو الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم نزار بن الامام المهدي
بويج بعد وفاة ابيه سنة اربع وثلثين وثلثمائة ولما توفي والده حكمه موته
وبذل المال للجنود وكان شجاعا قويا الجاش فصيحاً نفوساً يرتجل الخطبة

ولما استوفى له الأمر جد في قتال أبي يزيد وخرج في طلبه فزاله من مدينة
سوسة بعد عدة واقعات. وانهم أبو يزيد إلى القيروان فمنع أهلها من الدخول
وقتلوا من دخل إليهم من أصحابه والتحق به المنصور إلى القيروان وكانت
بينهما عدة وقائع والحرب سجال * وعاقرة انتصر المنصور بالله وهزم أبنا
يزيد إلى المغرب وأسر عدة وقائع جرت بينهما هنالك ومات أبو يزيد
بعد أسره بأربعة أيام آخر الحرم سنة ست وثلثين وثلثمائة فلما مات سلخ
جلده وملاء قطناً وبعث بالبشائر إلى جميع صاله وقفل إلى إفريقية ولما
وصل القيروان خرج إليه الناس وهنوه بالفتح وأظهروا لهم أبنا يزيد ووضع على
كتفه قرداً وطيف به في الناس ثم حل إلى المهديّة وصلب على السور
إلى أن نسثته الرياح * وبني المنصور مدينة المنصورية بأزاء القيروان تقاتلوا
بهذا النصر ورجع إلى المهديّة وأقام بها إلى أن مهدها ورجع إلى قصره
بالمنصورية ولم يظهر وفاة أبيه إلا بعد ظفرة بابي يزيد وهنالك تسمى بأمير
المومنين * وفي أيامه أطاع زبري بن مناد وخدم بني عبيد هو وبنوه من
بعده وفي سنة ست وثلثين بعث المنصور إسماعيل بن الحسن بن علي بن
الحسين عاملاً على صقلية ودامت ولايته إلى سنة ثلث وخسين وثلثمائة
وبقيت في عقبه وفي سنة أربعين بعث المنصور اصطولا عظيماً إلى صقلية
لأنه سمع بملك الروم عازماً على الحركة إليها وتوفي رحمه الله يوم الجمعة
آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وعمره أربعون سنة وولاه سبع
سنين وثمانية عشر يوماً وكان أكد بالعهد لولده أبي تميم بعد ودفن بصبرة
في قصره رحمه الله تعالى * وكان له مواقف مشهورة مع أبي يزيد
وباشر القتال فيها بنفسه وكادت تكون الدائرة عليه مراراً حتى لولا لطف
الله به وثبات جاشم وكان أبو يزيد قد استولى على جميع بلاد إفريقية
حتى لم يبق للقاتل أبيه ولا له إلا المهديّة * ولما مات أبوه وأبو يزيد محاصر
له أخفى موت أبيه وهو يدبر الأمور ولم يظهر موت أبيه إلا بعد ظفرة بابي
يزيد الحبش وكانت أيام أبي يزيد أزيد من ثلثين سنة دمر فيها غالب

الأقليم الأفريقي * والنصور رحمه الله تعالى أرى عن أبيه وجدته في الصبر وقوة الجأش والمخاطب بالادب * فمسسأل أبو جعفر المورودي خرجت مع المنصور يوم هزم أبي يزيد فسأيرته ويده فتهيب ويحان فسقط من يده فمسحتمه وناولته آياه وتفاءلت له وانشدته

فأقلت عصاها واستقر بها النوى كما قرعنا بالآياب المسافسر
فقال - الأقلت ما هو احسن من هذا وأصدي فالقى موسى عصاه فإذا هي ثلثى ما يافكون - قلت أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما عندك من العلم وأنا قلت ما عندي * وكان موته من أرق اصابه فعالجه طبيبهم اسحاق بن سليمان الأسرائيلي ونهاله عن دخول الحمام فلم يقبل منه ودخل الحمام فيبست الحرارة الغريزية ولازمه السهر والطبيب ملازم على معالجتهم والسهر باق على حاله فلما اشتد امره سال عن طبيب غيره فآتوه به فشكا اليه حاله وقلته النوم فعالجه بما ينأم به فمات رحمه الله *

الخبر عن ولاية العزلدين الله

ابو تميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر اسماعيل بن القايم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده بالمهدية سنة تسع عشرة وثلثمائة وبيع بعهد من أبيه في حياته وجددت له البيعة بعد وفاة أبيه في شوال وقيل في ذي القعدة سنة احدى وأربعين وثلثمائة فهدر الامور وساسها وأجراها على احسن احكامها وفي اليوم الاحد سابع ذي الحجة جلس على سرير ملكه ودخل اليه الخاص العام وسلموا عليه بالخلافة وله من العمر اثنان وعشرون سنة * وكان المعز علما فاعلا جوادا سمحا شجاعا جاريما على منهاج أبيه من حسن السيرة وانصاف الرعية وفي سنة ائتين وأربعين وثلثمائة رحل المعز الى المغرب وجمع الى جبل أوراس وجالت فيه خيولهم وقاتل من به من العصاة حتى اطاعوا له وشد الى مولاه قيصر بولاية المغرب كله وعلى اشهر زيري بن مناد الصنهاجي وعلى المسيلة

واعمالها جعفر بن علي بن جديون المعروف بابن الأندلسي وعلى باغاية
واعمالها نصير الصقلي وعلى فاس أحمد بن بسكر وعلى سجلماسة
محمد بن واسول وقد عصى فيما بعد وتلقب بالشاكر لله وعلى قابس بن عطاء
الله الكتامي وعلى مدينة سرت بأسيل الصقلي وعلى أجداية ابن كافي
الكتامي وعلى برقة واعمالها أفلح الناسب وعلى خراج إفريقية صولة
الكتامي واستوفت له أمور البلاد كلها وهاداه ملك الروم * وفي سنة خمس
وأربعين وثلاثمائة أرتفعت رتبة جواهر الكاتب وصار في رتبة الوزارة وجعل
مظفر الصقلي على اعنة الخيل وتحت يده من رقادة إلى أعمال مصر يدبرها
ويجي أمورها * وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة في صفر بعث مسكرا
ضخما وروى عليه غلامه جواهر المذكور وكان جواهر رجلا حازما وأمره أن
يأخذ من كل بلدة عددا معروفا فخرج جواهر بأمه لا تحصي فدخل مدينة
افكان فنهبا وأمر بهدمها وسار إلى مدينة فاس وحاصرها فلم يفتحها ورحل
إلى سجلماسة وأسر صاحبها محمدا وكان قد خطب لنفسه وتسمى بالشاكر
لأنه ثم مضي لا يدافع أحد له أن بلغ إلى البحر المحيط وأمر بصيد السمك
وجعله في قماقم بالماء وأرسله إلى مولاه المعز وكتب إليه كتابا وجعل فيه
من صريع البحر ورجع إلى فاس فنزل عليها وحاصرها وفتحها وأخذ صاحبها
وقيده وجعله مع صاحب سجلماسة وجعل لهما قفصين من خشب وجعل
كل واحد في قفص وجلبها على الجمال وقفل إلى إفريقية بعد ما دوح المغرب
وخطب لمولاه في سائر بلاد المغرب ما عدا سبتة وكانت غيبتة ثلثين شهرا
ووصل إلى المنصورية فطيف بصاحب فاس وصاحب سجلماسة في البلد
وسجنا واستوثق لهماز البلاد ودانت له العباد ولم يبق بلد إلا اجتمعت فيه
دعوتهم ودخل تحت طاعته الشواطم الذين في أقصى المغرب وبعث إلى
صقلية الحسن بن عمار بن علي بن الحسين وتوفي بها سنة ثلاث وخمسين
وثلاثمائة وبعث المعز إلى ولد أحمد بن الحسين بولاية صقلية وفي سنة
أربع وخمسين خرج المعز مستشرفا على البلاد ومنعزها وبلغ إلى تونس وقرطاجنة

ورأى عجائبها ثم ارتحل إلى غيرها وأقام ثمانين يوماً في غيبته ثم رجع إلى المنصورية * قلت وهي المعبر عنها بصبرة إلى زماننا هذا * وفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة أمر بحفر الآبار في طريق مصر وإن يبني لها في كل موضع قصر وفي آخر جادى الثانية من السنة المذكورة جاء الخبر بوفاة كافور صاحب مصر وفيها وجه مولاة جوهر إلى المغرب في عسكر عظيم فهدد البلاد وحشد سائر الأجناد وقبائل كتامة وجبى ما على البربر ورجع إلى مولاة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وخرج المعز بنفسه إلى المهديّة وأخرج من قصور أبيه خمسمائة حل دنانير ورجع إلى قصرة وأما كان في يوم السبت لاربع عشرة خالون من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة رحل القائد جوهر في عسكر عظيم من البربر وكتامة والزويليين والمجدد بعد ما وسع المعز عليهم بالارزاق والعطايا وأنفق فيهم مالا جزبلا وأعطى من ألف دينار إلى عشرين ديناراً حتى عمهم كلهم بالعطاء * وسار الشاذل جوهر في عدد يقصر عنه الوصف ومع ألف حل من المال وأما الخيل والعدد والسلاح فلا تحصى * ودخل جوهر إلى مصر يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة وصعد المنبر لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاة المعز * وفي النصف من رمضان وصلت النجيب بالبشارة إلى المعز وصورة الفتح فعمه السرور وصار في كل وقت تصل إليه كتب القائد جوهر يحثه على الرحيل إلى مصر وإن الشام والحجاز تحت طاعته وقامت له الدعوة في تلك البلاد * وفي سنة ستين وثلثمائة وصل جعفر بن القائد جوهر بهديته من عند أبيه وفيها من أواني الذهب والفضة والعماريات والسروج المحلات وأعمال الامتعة وصنوف الثياب وظرائف المشرق وذخائر الملوك مالا يوصف ومع القواد الذين حكم عليهم جوهر عند تملكه مصر فاقبل عليهم المعز وعفا عنهم وجلس لهم في زي عجيب وجعل التاج على رأسه ودخلوا عليه فسلم عليهم ولاطفهم وأكرمهم غاية الأكرام * وفي شوال سنة إحدى وستين غزم على المسير إلى مصر ورحل من المنصورية

واقام بسردانية ولحقه عماله واهل بيته وجع ما كان له في قصوره وسكان
مقامه بسردانية اربعة اشهر وسردانية قريبة من القيروان وكانت قصورهم
وبسائينهم بها * وفي اول صفر رحل منها واطلق النار في زربها ولما حاذى
صبرة قال - سلام عليكم من مودع لا يرد ابدا * وخلف على افريقية
بلكين بن زبوي الصنهاجي وكتب له بولاية المغرب كله وسياتي
خبره بعد ان شاء الله تعالى وكان بلكين فارقه من عمل قابس ورحل المعز
من قابس يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول من السنة المذكورة ودخل
طرابلس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من الشهر ورحل عنها يوم السبت
لثلاث عشرة بقين من ربيع الثاني فوصل الى سرت في الرابع من جمادى
الاولى ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له باجدابيه ورحل من اجدابية
فنزل بقصره المعروف بالمعزيتة في برقة وتم في سيرة منها الى ان وصل
لاسكندرية فنزل تحت منارها واتاه اهلها فسلموا عليه ولما دخل عليه
قاضي الاسكندرية سلم عليه ولم يسلم على ولي عهده فقال له المعز يا قاضي
هل حججت قال نعم يا امير المؤمنين فقال له هل سلمت على الشيخين قال لا
فقال له ولما ذا قال شغلي السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
شغلي السلام على امير المؤمنين حين لم اسلم على ولي عهده فاصعب المعز
منه * وساله مرة اخرى فقال له هل رايت خليفة قط قال واحدا يا امير
المؤمنين فقال له ومن هو قال انت والباقون ملوك فسر بكلامه ودخل
لاسكندرية ومشى في منازلها ودخل الحمام بها * ثم رحل عنها ووصل الى
مصر يوم السبت لليلبين مصفا من شهر رمضان واقام هناك ثلثا واخذ العسكر
في التعدية بانقالهم وانزل الناس في مصر والقاهرة وغالب العسكر في الفازات
والمنارب بين مصر والقاهرة ، والقاهرة هي التي بناها القائد جوهر لاجل العسكر
لما ضاقت بهم مصر فسميت باسم استاذة المعز فيقال القاهرة المعزيتة وهي
التي فيها القلعة والجامع الازهر ومصر في ذلك الوقت هي مصر العتيق لان
ويقال لها الفسطاط بنيت في زمن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه

وامسا مصر فرعون فيقال لها منى والله اعلم * وريم الثلثاء فخمس خابون
من رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم
يدخل مصر وثلاثة القائد جوهر عند الجسر الثاني فترجل عند لقائه وقبل
الارض بين يديه ولما دخل القاهرة دخل القصر الذي كان معدا له فدخل
جلسا وخرساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وفي العشر الاخيرة من المحرم
سنة اربع وستين عزل المعز القائد جوهر بن داوود مصر وجباية اموالها
وكان في المعز عدل وانصاف وكان ينظر في النجوم * والمعز لدين الله هو
آخر الخلفاء العبيديين بالغرب واول الخلفاء منهم ببصر واسكن الجند
بالقاهرة واقتسموا منازلها وسكنت كل طائفة بمكان معروف بها فيقال حارة
زويلة الى يومنا هذا ينسب اليها باب زويلة من اجل الزويليين سكنوا
هناك وحارة ككنامة والبرقية وعدة حارات بها باقية الى اليوم باسمائها
وتوفي المعز لدين الله ببصر في سابع عشر ربيع الاول سنة خمس وستين
وثلاثمائة وعمره خمس واربعون سنة وقيل ست واربعون وكانت خلافته
ثلثا وعشرين سنة وخمس اشهر وايام مقامه ببصر ستان وتسعة اشهر وبقيتها
ببلاد المغرب * وسبب موته ان ملك الروم ارسل اليه رسولا عدة مرار وتورد
اليه بافريقية ومصر فخلا به بعض الايام وكان اسمه نكولته فقال له المعز لدين
الله التذكر اذ اتيتني وانا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي ببصر وانا ملك
عليها قال نعم فقال له وانا اقول لك لان لتدخلن علي ببغداد وانا خليفة
فقال الرسول ان امتني على نفسي ولم تغضب اقول لك ما عندي فقال
له قل ما عندك وانت * امن قال بخنى اليك الملك ذلك العلم فوصلت
الى صقلية فالتقيت غلامك بجيشه فرايت منه العجب ثم جئت الى
سوسة فرايت بها من جندك وخصامته ما اذهل عقلي ثم سررت الى
المهدية فما كدت اصل اليك من كثرة اجنادك وخدمك وكثرة اصحابك
فكدت اموت ووصلت الى قصرك فرايت نورا غطي بصري ثم دخلت
عليك وانت على سريرك فرايت عظمتك فظننتك خالفا لا مخلوقا فلو قلت

لي اذكّ تعرج الى السماء لتتحقق ذلك ثم جئت اليك لانّ فيما رايت من ذلك شيئا ولما اشرفت على مدينتك هذه كانت في عيني سوداء مظلمة ثم دخلت عليك في قصرك فما وجدت عليك مهابة مثل ذلك العام فقلت ان ذلك كان مقبلا وانه لانّ بضد ما كان عليه فاطرق المعز رأسه وخرج الرسول من عنده واخذت المعز الحمى لشدة ما وجد وثقل موعده وانصل به حتى مات رحمة الله عليه وعهد لولده ابي منصور نزار الملقب بالعزيز بالله *

الحسبر عن خلافة العزيز بالله

ابو منصور نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد بن المنصور ابي الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله ابي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده يوم الخميس رابع شهر المحرم سنة اربع واربعين وثلاثمائة بالمهدية وولي الامر بعد وفاة ابيه في ربيع الاخير سنة خمس وستين وكان شجاعا حسن العهد اديبا فاصلا خطب له بمصر والشام وافرثية وفتح حصن وجا وحلب والموصل وخطب له باليمن وكان استناب بالشام يهوديا اسمه ميسما وامتنك بيسى ابن نسطور النصراني فاعتز بها النصارى واليهود * فكتب اهل مصر قصة وجعلوها في يد شمال من قرطيس وفيها - بالذي اعز اليهود بميسما والنصارى بيسى واذل المسلمين بك الا ما كشفت ظلامي - فلما راى الرقعة امر باخذها وقواها فعلم ما اريد بذلك فقبض عليهما واخذ من ابن نسطور ثلاثمائة الف دينار ومن اليهود شيئا كثيرا * وصعد المنبر يوما فرأى ورقة مكتوبا فيها

بالظلم والجور قد رصينا * وليس بالكفر والحماقة

ان كان ما ندعيه حقا * بين لنا كاتب البطاقة

لان العزيز كان يدعي علم الغيب وذلك انه كانت له معجزة يسرقن الاخبار من الدور ويأتينها بها فكان يقابل الناس ويقول ما بال احدكم قال كذا وفعل كذا فيشوه السامع ويظن ان ذلك من سر اعطيه ويزعم هو انه يعلم الغيبات ولا يعلم الغيب الا الله * وكان خليفته بافرثية خليفته ابيه بلكين ووزيرة يعقوب بن كلس كان يهوديا واسلم وكان

من عجائب الدهر وخبره مشهور في غير ما موضح وأولا الاختصار لذكرنا جميع أخباره * وكتب العزيز بالله إلى الحاكم صاحب الأندلس كتابا يسبه فيه فاجابه الحاكم قد عرفتنا فهجرتنا ولو عرفناك هجوناك يعني به أنه دعى في نفسه وقيل أن الحكاية بالعكس والله أعلم بذلك ومات بمدينة بلبس من امراض لحقت به النقرس والثولنج وله من العمر اثنتان وأربعون سنة في ثامن عشر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة رحمة الله تعالى عليه *

الخمسبر عن خلافة الحاكم بامر الله

أبو علي منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله بن القائم بامر الله بن المهدي عبيد الله مولده ثالث ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة ويوبع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ست وثمانين وثلثمائة وعشرة سنين وقيل إحدى عشرة أخذ له البيعة برجوان خادماً أبيه وكان خصياً أيضاً اللون وهو الذي دبر دولة الحاكم بامر الله وبالغ في النصيحة له وقتله الحاكم بعد ذلك ورجوان له بهصر حارة مشهورة إلى يومنا هذا يقال لها حارة برجوان * وكان الحاكم متناقض الأخلاق يامر بالشيء ثم ينهى عنه وأخباره في ذلك شهيرة وكان سفاكاً للدماء قتل عدداً كثيراً من أهل دولته ومات في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربعمائة وعشرة سبع وثلثون سنة وأيام خلافته خمس وعشرون سنة * وقيل أن أخاه دبرت في قتله لأمور ظهرت منه فامرت سن أخاه وكان ينفرد بنفسه ويركب جارية ويطوف في الأسواق ويقوم الحسبة بنفسه * فاتفق ركوب الحاكم إلى جبل جلوان وكان قد كمن له فيه سن قتله هناك وأتوا به إلى أخيه سرا فدفتته وكان بعض شيعته من المغاربة يزعمون أنه يعود فكانوا إذا رأوا صحابه * في الجبل سجدوا لها زعماً منهم أنه في السحاب * وقيل أنه أراد أن يدي الكاهنة - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - وأخذت اخته البيعة إلى ولده أبي حاشم علي الظاهر لأعزاز دين الله *

الخبر عن خلافة الظاهر لاعزاز دين الله

ابو حاشم علي بن المحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن العز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي عيد الله مولده في رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة بويج له يوم عيد النحر سنة عشر وأربعمائة وكان جيل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية يحب الدعوة والراحة * وفي أيامه طمع من طمع في أطراف بلاده وتضعفت دولته ومات في منتصف شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة وأيام خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيامه وبلغ عمه ثلثاً وثلثين سنة وقام بالأمر بعده ولده المستنصر بالله أبو تميم *

الخبر عن خلافة المستنصر بالله

أبو تميم معد بن الطاهر لاعزاز دين الله بن المحاكم بأمر الله مولده بالفاخرة المعزية سنة عشرين وأربعمائة بويج بعد وفاة أبيه في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أجداده منها الغلاء الذي وقع في أيامه حتى أكل الناس بعضهم بعضاً * ومنها أنه خطب له ببغداد سنة ولم تكن لغيره قبل وذلك سنة خمس وثلثين * ومنها قيام الطليحي باليمن وخطب له على منابرها * ومنها أنه لم تزل دعوتهم بالمغرب من أول أمرهم إلى أيامه قطعها المعز بن باديس الصنهاجي وسياقي خيرة * وخطب له بالكوفة وواسط والموصل * ومنها أنه ولي وهو ابن سبع سنين وأقام في الخلافة ستين سنة وهذا شيء لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس * وأقام الغلاء في أيامه سبع سنين حتى توجهت أمه وبناته لبغداد من شدة الجوع وبيع الرشيف الواحد بخمسين ديناراً وكان في هذه الشدة يركب وحك وحاشيته مترجلون وربما استعار دابة يركبها صاحب المظلة من عند كاتب الأشياء ابن هبة الله وقاسى شدائد واستوزر بدر الجمالي وحسنت أحواله فيما بعد وكان وفاته في ثامن عشر ذي

الهجرة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وصورة ثمان وستون سنة وهو أطول
العبيديين مدة وإقام بالأمر من بعده ولده المستعلي بالله *
الخبر عن خلافة المستعلي بأمر الله

أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لأعزاز دين الله بن الحاكم
بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله أبي الطاهر بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده سيف المحرم سنة تسع وستين وأربعمائة
بالتحفة ولي بالأمر بعد أبيه سنة سبع وثمانين وأربعمائة ولم من العصر
أحدى وعشرون سنة * وفي أيامه أخذ لأفرنج أنطاكية والمعدة والقدس
ورهنّت دولتهم ولم يكن له مع الأفضل ابن أمير الجيوش حكم وانتطعت
دعوتهم من بلاد الشام وتغلب عليها الأتراك ومات في صفر سنة خمس
وتسعين وبلغ عمه تسعا وعشرين سنة وكانت خلافته ثمانين سنين وأياما
واستخلف بعده ولده أبو علي *

الخبر عن خلافة الأمر بأحكام الله

أبو علي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله
أبي تميم معد بن الظاهر لأعزاز دين الله أبي هاشم علي بن الحاكم بأمر الله
أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله أبي
تميم معد بن المنصور بالله أبي الظاهر أسحاق بن القائم بأمر الله أبي القاسم
محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله مولده في المحرم سنة تسعين وأربعمائة
بويج له بالخلافة سبع عشر سنة خمس وتسعين وهو ابن خمس سنين
ولم يقدر على الركوب وحده لصغر سنه ودبر دولته لأفضل ابن أمير
الجيوش * ولما اشتد الأمر بأحكام الله قتل أمير الجيوش المتقدم ذكوره
والأفضل هذا لقبه شاهنشاه وأسمه أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي
الأرمي قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة * والأمر هذا كان قبسح السيرة ظلم
الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء وأرتكب القبائح * وفي أيامه ملك
العدو كثيرا من بلاد ومات سنة أربع وعشرين وخمسمائة في صفر ولم

يكن أعرق منه نسبا في خلافة العبيديين لانه العشر في الخلفاء على نسق واحد ابا عن جد وتوفي قتيلا ايضا وتولى الخلافة بعده ابن عمه الحافظ لدين الله *

الخبر عن خلافة الحافظ لدين الله

هو أبو اليمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لاصراز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي مولده سنة سبع وستين وأربعمائة وتولى يوم قتل ابن عمه في صفر سنة اربع وعشرين وخمسائة وطلب على امره ابو علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه ابن امير الجيوش الجمالي وبني الحافظ صورة معه من تحت حكمه وحبسه وءاخر الحال دس الحافظ على الوزير فقتله واحد من الخاصة فبادر الاجناد الى الحافظ واخرجوه من السجن وبايعوه مرة اخرى * وكان الحافظ ملازمه مرض القولنج فصنع له شيرماه الديلمي طبل القولنج وكان مركبا من المعادن السبعة والكواكب السبعة في اشرافها فاذا ضرب به صاحب القولنج خرج منه ريح متباعدة فيستريح * وهذا الطبل وجده صلاح الدين في خزائنها عند تملكه الديار المصرية * ومات الحافظ في جمادى الاولى سنة اربع وأربعين وخمسائة فكانت خلافته عشرين سنة وله من العمر بضع وسبعون سنة وتولى بعده ولده اسماعيل بوصية من ابيه وتلقب بالظافر بالله *

الخبر عن خلافة الظاهر بالله

أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي اليمون عبد المجيد بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله مولده منتصف ربيع الاول سنة سبع وستين وخمسائة ببيع بالامر بعد ابيه وقتل في نصف الحرم سنة تسع وأربعين لاشياء اضر بنا فيها لاجل الاختصار وهي مشهورة في كتب التاريخ وببيع ولده أبو القاسم عيسى وتلقب بالظافر بنصره الله *

المخسبر عن خلافة الفائز بنصر الله

أبو القاسم عيسى بن الظاهر بالله بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله بويج بالخلافة يوم قتل والده في المحرم سنة تسع وأربعين وخسمائة ولم من العمر خمس سنين ولما أراد الوزير مبايعته أدخل الجند وقال هذا ابن مولاكم فبايعوه * وكان الوزير هو الذي قتل أباه فلما رآه الأجناد صجروا بالبكاء في وجهه الثائر وكان على كتف الوزير ففرع الطفل من ذلك وصار يعثر به الصرع والاضطراب إلى أن مات في رجب سنة خمس وخمسين وخسمائة وهو ابن عشر سنين فكانت خلافتهم خمس سنين رحمة الله تعالى عليه *

المخسبر عن خلافة العاصد لدين الله

أبو محمد عبد الله العاصد بن يوسف بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله مولده سنة ست وأربعين وخسمائة بويج بعسد وفاة الثائر بنصر الله في رجب سنة خمس وخمسين وخسمائة واستولى على وزارته الملك الصالح طلائع بن رزيك فكان العاصد كالهجور عليه * وكان رافضيا خبيثا * وفي أيامه دخل شاور بالغز من الشام وقتل طلائع ومات قتيلًا في أثناء ذلك شاور على يد أسد الدين شيركوه أرسله نور الدين إلى مصر وبعده تولى الوزارة ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب بن شادي وتمكن من المملكة وبقي معه العاصد صورة إلى أن خلع * وخسب في حياته لبني العباس والخليفة العباسي في ذلك الوقت لإمام المستنصر بامر الله في بغداد وذلك في حياة العاصد وكان مريضًا فلم يعلم بشيء من ذلك ومات يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخسمائة وأنقرصت دولتهم من سائر البلاد فسبحان من لا يفنى ملكه *

قال ابن خلكان سمعت من أهل الديار المصرية أن العبيديين

في اول امرهم قالوا لبعض الكتاب اكتب لنا القابا تصلح للخلفاء حتى اذا ما تولى احد خليفته لقب بشي منها فكتب لهم ورقة فيها عدة القاب و اخرهم العاصد فكان هذا العاصد و اخر خلفائهم * وكانت ايامهم مائتي سنة وستين سنة منها في مصر مائتا سنة وثمان سنين واثنتان وخمسون سنة بالمغرب و عدة خلفائهم اربعة عشر خليفته اولهم المهدي و اخرهم العاصد * و ما اطلنا الكلام عليهم الا لارتباط اخبارهم و انعام الفائدة و انما عرضنا ان نذكر من ملك افريقية لا غير * و لما كان اول ملكهم بافريقية و كان ظهورهم بالخلافة منها و رحلوا عنها للديار المصرية جذبنا مسافة الاخبار عنهم الى نهايت ايامهم و لولا خيفة التطويل لانينا من اخبارهم بما فيه الغرض و اخبارهم مطولة في غير هذا * و منهم من صحح نسبهم و اثبتهم و منهم من ذم فيهم و رفضهم و لا يعلم الغيب الا الله و بقيت لنا نبذة من اخبارهم فانتي بها في و اخر الفصل الذي بعد هذا في محله ان شاء الله تعالى *

الباب الخامس

في الامراء الصنهاجية

هذا الباب نذكر فيه ملوك صنهاجة و ان كانوا في الحقيقة عمالا لبني عبيد فانهم بلغوا درجة الملوك و كانت لهم منجامة و صيت و غالب اهل تونس لا يتחקرون ولا يتهم و انا استغفر الله اقول ان ايامهم و دولتهم اقوى من دولة بني حفص الا ان بني حفص خطب لهم بامراء المؤمنين و لم يخطب لصنهاجة بهذا الاسم و زادت ايامهم على مايتي سسنة و استقلوا بالامر في افريقية حين سار المعز لدين الله الى مصر فاستعمل على عمله ابا الفتح يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي و صنهاجة قبيلة من البربر و قيل صنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حيسر و ان الملك افريش بن وائل بن حيسر و قيل افريش بن ابرهة بن ذي القرنين لما ملك حيرا و سزا المغرب و بنى مدينة افريقية خلف فيها من قبائل حيسر و زعمائها

صنهاجة وقدمهم على البربر ليدبروا امرهم وياخذوا خراجهم وقيل صنهاجة
ابو صنهاجة بن حصين بن سبا لصلبه وقيل هم فخذ من هواة وهوارة فخذ
من جبر وصنهاجة تنقسم على سبعين قبيلة منهم لثونمة الذين ملكوا بلاد
المغرب وسياتي من اخبارهم شيء ان شاء الله تعالى وفي هذا القدر كفاية *
وأول اتصال زيري بالمصور لما دخل المغرب في طلب ابي يزيد الخارجي
ودخل بلاد صنهاجة سنة خمس وثلثين وثلثمائة هناك وافاه زيري بعساكرة
وأهل بيته ودخل في طاعته فخلع عليه ووصله بصلته ونصب له فارة وقلك
سيفا وعقد له على اهل بيته ومن اتصل به من اهل صنهاجة والبربر وعظم شأنه
وحضر مع المعز لدين الله عند دخوله للمغرب سنة اثنين وأربعين وثلثمائة
واستعمله على اشير وما والاها وكان حازما شجاعا شديد البأس وحضر
مع جوهر لما دخل المغرب في سنة ست وأربعين وثلثمائة على فاس وجوهر
محاصر لها فكان زيري سببا لفتحها فزادت رتبته في الدولة وزاده جوهر
ولاية تيهرت فضمها الى عمله واتسعت ولايته. وكان بينه وبين جعفر
ابن علي المنعوت بالاندلسي وكان عاملا على المسيلة صفائح في النفوس
بسبب الولايات * وجعفر هذا ابوه الذي بنى المسيلة وانضاف الى جعفر
عمل الزاب من بلاد المغرب . وكان طامعا للدولة العبيدية وبخطب لهم في
بلادها وكان يعد من الملوك * ولما عزم المعز لدين الله على الشوجه الى الديار
المصرية شاع بين الناس ان المعز يريد ان يستخلف يوسف بن زيري
على جميع بلاد افريقية فعظم ذلك على جعفر بن الاندلسي وانفق ان المعز
ارسل الى جعفر يامره بالقدوم اليه وكرر ذلك مرارا فاطهر جعفر انه قاصد
له فخرج من المسيلة وفر الى زناتة فقبضوه وملكوه على انفسهم فخلع طاعة المعز
فلما بلغ الخبر الى زيري سادر بالخروج الى جعفر في عدد من صنهاجة
فالتقى معه وكنانث وقعة عظيمة فكبا بزيري فرسه فقتل ومات قدامه
خلق هظيم . وبعث جعفر بن علي اخاه يحيى الى الاندلس والخليفة بها
المحاكم الاموي يبشرة بقتل زيري * ولما علمت زناتة ان يوسف بن

زيري يطالبهم بدم ابيه اصبرث الغدر لجعفر وعزموا على امساكه فلما احس بذلك فر الى الاندلس باهله واولاده فقبله الحاكم واجرى عليه الوظائف السنية وبقي عنك في اهلى مكان مدة ثم تقم عليه الحاكم ونكبه ثم افرج عليه بعد ذلك وماد الى رتبته ولم يزل هنالك الى ايام الوزير ابن ابي عامر فقتله سنة سبع وستين وثلاثمائة وبعث براسه الى بلكين * وكان زيري المذكور حسن السياسة والتدبير في الرهية والتشديد على البرابرة ما راى الناس مثل ايامه في المغرب واقام على حسن السيرة ستا وعشرين سنة * ولما مات كما ذكرنا وبلغ الخبر الى ذلك بلكين وهو باشير وكان هو المقدم مدد معد يعظمه على جميع اخوته جمع اهل بيته وعبيك واختار من جنك سن احب وخرج طالبا لثرا ابيه ، فادرك زناثة وكانت له فيهم فتكات فقتلهم قتلا ذريعا وسبى نساءهم واطفالهم واجلالهم من البلاد * فبلغ الخبر الى معد فسر ما فعل وارسل اليه يامره برد السبي والقدوم عليه فقدم على المعز بعد ما استخلف على عمله سن يثق به ومهد قواعد بلاده ونفذت كتبه الى عماله بـ من يوسف بن زيري خليفة السلطان * ولم يترك في المغرب عند احد من البرابرة فرسا ولا جلا ولم يترك الا سن يحترث ويحصد وقدام الى المنصورية وقد شاع بين الناس انه استخلف في افر يقية فهادته على قدر مراتبهم وكثيرة اموالهم وزادت مكانته * ولما وصل الى المعز جلس له في الايوان وادخل عليه فقبله احسن قبول وتحدث معه وشكر افعاله وقلبك سيئه وطلع عليه خلعة من لباسه وقاد بين يديه اربعين فرسا بسروج الذهب المنقطة واربعين نخشا بالثياب الفسخرة وطلع على جميع اصحابه واكرمهم غاية الاكرام * ومن هنا نذكر توليته وبنيه من بعدك * وما قدمنا هك النبك الا لتوطئة لخبهم وليعلم الناظر في هك الاوراق مبتدا امرهم الى ان ياتي على اخرهم ان شاء الله تعالى لا رب غيره ولا خير الا خيرة *



الخبر عن ولاية الامير بلكين

هو يوسف بن زيوري الصنهاجي ابو الفتوح بلكين فوض له الامر بافريقية والمغرب كافة ما عدا طرابلس وصقلية لم يدخلها في عمله وذلك يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة احدى وستين وثلاثمائة عند رحيل المعز لدين الله الى المشرق وكتب له سجلا وامر الناس بالسمع له والطاعة وسار معه الى قابس وكل يوم يوصيه ويؤكد عليه ولما اراد وداعه قال له - يا يوسف ان نسيت ما اوصيتك به فلا تنس ثلثا لا ترفع الجبايا عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول احدا من اهل بيتك فانهم يروون انهم احق بهذا الامر منك واوصيك خيرا باهل المحاصرة - وودعه وانصرف راجعا الى المنصورة فدخلها يوم الخميس لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فنزل بقصر السلطان بصبرة وخرج اليه اهل القيروان فهنوه واظهروا السرور بقدمه واقام هناك شهرين وبعث العمال والولاة الى جميع البنادق ونفذت اوامره في فريقية والمغرب * ولما مهد الامور بافريقية رحل الى المغرب في شعبان سنة ثلث وستين وثلاثمائة * وفيها عصى اهل تيهرت فنزل عليها وظفر باهلها فسبى الذرية ونهب الاموال وبلغه الخبر عن زناقة انهم نزلوا على تلمسان وملكوها فرحل اليهم ففروا امامه وفتح تلمسان * وبعث اليه المعز كتابا يامره الا يتباعد عن افريقية ولا يتوغل في الدخول الى المغرب * وفي ايام امارته قام بالمغرب زيوري بن عطية الزناتي فملك فاس وسجلماسة وما جاورهما وخطب فيهما لبني امية فسار اليهما بلكين بعساكر صخمة ففتحهما وطرد عمال بني امية * ونازل مدينة سبتة وحاصرها اياما ثم رحل منها واتى الى البصرة فنهبا * فسالت البصرة التي بالمغرب هي التي يقال لها اصيلة في زماننا هذا * وبعث هديته الى مصر سنة خمس وستين وثلاثمائة فبلغه خبر موت المعز وولاية ولده العزيز فرد الهدية من طرابلس ستائف هدية اخرى وسيرها باسم العزيز فكانت اول هدية قدمت عليه *

فكتب العزيز تجديدا بولايته على المغرب وبعث له سجلا ودرهما من
السكة التي ضربت باسمه اي باسم العزيز بالله صاحب مصر * وبعث
بلكين الى العزيز بالله يطلب منه - سرث - واجدا بية - وطرابلس - وان
يعفيها له صلح فانعم عليه بها وبعث بلكين اليها عماله وغزا بني غواط
فكانت بينهما حروب انتصر بلكين فيها وسبى منهم سبايا لم يدخل لافريقية
اعظم منها وتوغل في المغرب حتى لم يبق له به منازع ، وهربت زناتة امامه
حتى دخلوا الرمال في الصحراء وخالفته اهل سبتة فدافه منصور بن ابي
عاصم منها بان بعث اليه براس جعفر بن لاندلسي الذي قتل ابا زيري
وتقدم ذكره وكانت مكاتب معد الذي هو المعز بالله تصل اليه من مصر
الى مدينة فاس * وفي سنة سبعين وثلاثمائة بعث ولده المنصور الى القيروان
لتجهيز هدية الى مصر فوصل الى رقادة واقام بها مدة وبعث بالهدية
وكانت اول هدية خرجت على يده واول وصوله الى القيروان لانه لم يكن
دخلها قبل ذلك لان ولادته كانت في اشير واقامته بها ولم يدخل الى
افريقية الا في هذه السنة ورجع الى المغرب وفي سنة ثلث وسبعين وثلاثمائة
خرج ابن حزون وضرب على سجاله فنهبا فوصل الخبر الى بلكين *
فرحل اليه بلكين فاصابه في طريقه قولنج فمات في مكان يقال له واركلان
لسبع بقين من ذي الحجة بعد ما اسند وصيته الى ولده المنصور رحمه الله *

الخبر عن ولاية المنصور بن بلكين بن زيري

استقل بالامر بعد وفاة ابيه وكان ببلد اشير فاخذ البيعة عن الاجناد
واطاعه الخاص والعام وخرجت الاوامر عن امره وبعث الى العمال ونفذت
كلته وكان رجلا عاقلا عفيفا عن الدماء يحب الرفق بالامور فجلت الناس
على محبته ومهد الامور بتدبيره وجلب القلوب باعطائه وتبذيره ووفدت
اليه العمال بالهدايا فقبلهم احسن قبول وعهم بالعطايا وخرج من القيروان
التصاة والامناء ووجه الناس قدر ماتني رجل لتبنيته بالملك وتعزيتته في
ابيه فوصلوا اليه باشير فوجدوه خارج البلد على جبلها فسلوا عليه وقبلوا

يده ودعوا له ففرح بهم وانزلهم منزلا حسنا * وفيه ثلثي يوم من وصولهم
جلس لهم مجلسا عظيما ودخلوا عليه وهو في زي عجيب من ضخامة الملك
وارتفع حوله الصناعات والاجناد واطهر لهم من ائمة الولاية ما ابهر عقولهم
وقال لهم - يعز علي حركتكم في هذا الزمان إلا ان سروري برويتكم
احب الي من الدنيا وما فيها - وامر لهم بعشرة الف دينار ففرقت
فيهم وفي خامس يوم من وصولهم امر بهم فدخلوا عليه فلاظهم وما قال لهم
- ان ابي وجدي كانا ياخذان الناس بالقهر وانا لا آخذ احدا إلا بالاحسان
ولا اشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه وتعالى - ثم امر لهم بالانصراف
الى بلادهم واولى عبد الله الكاتب جميع افرقيته والنظر في جميع امورها على
ما كان عليه في ايام ابيه * وفي سنة اربع وسبعين وصل المنصور الى
رقادة لتلقاه اهل القيروان باجمعهم فسر بهم ووعدهم وعدا جيلا وانتبه العمال
من كل بلد بالهدايا واهدى اليه عامله على القيروان ما لا يدخل تحت
حصر * وامر بتجهيز هدية الى مصر وهي اول هدية بعث بها الى نزار
من قبله بعد وفاة ابيه بلكين وكانتم قيمتها الف الف دينار وصام
ومضان برقادة وامر ببناء مصلى للعيد فيها وخرج يوم العيد للصلاة في
زي حبيب بسرج مكلل بالدر والياقوت * وفي اخر ذي الحجة رجع
الى المغرب وصحبته عبد الله الكاتب خليفته على القيروان وخلف ولده
يوسف بن عبد الله المذكور وسلم اليه اعمال افرقيته قاطبة وفي هذه
السنة يعني سنة اربع وسبعين وثلثمائة ازداد المنصور ولده باديس وكنيته
ابو مناد لاحدى عشرة خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة * وفيها
بعث صبركا مع اخيه بطوفت الى فاس وسجلماسة لتغلب زيري بن عظمة
الزناني عليها فالتقى العسكران فكانت بينهما مقتلة عظيمة وانهمز عسكر
المنصور وبلغ اخوة منزهما الى اشير فلم يتعرض المنصور بعد ذلك الى بلاد
زنانت * وفي سنة ست وسبعين بنى قصرا لم بصيرة فبلغ الانفاق عليه
ثمانمائة الف دينار وخرس حوله الاشجار من كل ناحية * وفي هذه السنة

قتل عبد الله الكاتب وولده يوسف وأعطى أعمال الفريضة لولاه يوسف
ابن ابي محمد وفيها دخلت عمال المنصور إلى بلد كسامة وجبوا منها الأموال
ولم تكن قبل ذلك تدخل اليها * وفسبها بعث نزار الخليفة بمصر
هدية إلى المنصور وفيها خالف عليه عمه ابو اليهز بلد تيهرت فرخف
اليه المنصور بعسكرة ففر امامه إلى المغرب فدخل المنصور تيهرت فنهبا
وطلب اهله الأمان فامنهم ورجع إلى اشير * وفي هذه السنة مات عامل
صقلية عبد الله بن محمد بن ابي الحسين وارصى إلى ولده يوسف من
بعده واثاء سجل من نزار خليفة مصر بالولاية فصاحت احوال صقلية
في ايامه يعني ايام يوسف بن عبد الله * وفي سنة احدى وثمانين
وثلاثمائة وصل المنصور بن بلكين إلى قصرة الذي بناه في صيرة وعيد فيه
عيد الاضحى وخرج للناس يوم العيد في زي مجيب من المركوب والملبس
ورفع عن اهل البادية بقية خراج وكان مالا عظيما وعد ذلك من مناقبه *
وفي شهر ربيع الاول خشن ولده باديس واهدت له العمال على قدر مراتبهم
وانته هدية من عند ابن الخطيب عامله على زويلة فيها زرافة وطرف
من اثار السودان وشي مستكثر * وقدم اليه عامل طرابلس بهدية جليلة
فيها مائة حل من المال سوى الخيل ولطائف المشرق * وفي هذه السنة
وصل اليه سجل من المشرقي بولاية ولده باديس من بعده فسر بذلك
وفيها عزل عامله عن الاربع وسير اليها مولاه قيصر فوجد في المخازن التي
للوالي العزول ستمائة الف قفيز من الطعام * وفي ذي القعدة خرج منزها
إلى سردانية وخرج اليه الشيوخ من اهل القيروان وسالوه ان يعيد عندهم
فاجابهم إلى ذلك * وفي سنة ثلاث وثمانين خرج ولده ولي عهده باديس
إلى مدينة اشير ومعه جدته يعلن * وفي سنة اربع وثمانين رجع من
المغرب إلى المنصورية وكانت اول سفره سافرها فخرج اليه ابوه واهل الدولة
وجميع اهل القيروان فسلوا عليه وكان يوما مشهودا * واثم من مصر هدية
سنية ومعها الفيل فركب المنصور بعسكرة وثلاثها * ولما كان يوم العيد

خرج باديس لصلاة العيد والفيل امامه وركب في موكب عظيم ولم يخرج معه ابوه ذلك اليوم * واقاما بافريقية ولم يرجعا الى المغرب * وفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة توفي المنصور يوم الخميس لثلاث خلعت من ربيع الاول ودفن في قصره الكبير الخارج من صبرة وكانت امارته نحو ثلاث عشرة سنة وكان رحمه الله كريما جوادا صارما حازما عاقلا عادلا بين الرعية وايامه طيبة * وفي هذه السنة في شهر رمضان كانت وفاة نزار خليفة مصر وتولى بعده ولده الحاكم بامر الله بعد وفاة المنصور بستة اشهر * ومن الملوك الصنهاجيين باديس بن المنصور بن يوسف بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي وكنيته ابو مناد تولى ملك افريقية بعد وفاة ابيه المنصور في ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاثمائة ورحل الى قصره بسردانية في رجاله وعبده واتته الوفود بالتعزية في ابيه وتهنئته بالملك * واستقامت له الامور واحتفل بتجهيز هديته يرسلها الى خليفة مصر فجاءه الخبر بوفاته في شهر رمضان كما ذكر فبقيت بحالها في رقادة الى ان سيرها باسم الحاكم * وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة عقد لعنه حاد بن بلكين على اشير والمغرب وجعله عاملا على تلك البلاد * وفي هذه السنة جاء تسجيل من الحاكم بامر الله الى باديس ولقبه بنصير الدولة بخبره بوفاة نزار والده ويعزيه في والده المنصور وبعث من اخذ البيعة عن باديس واهل بيته من بني مناد * وقلد باديس امور افريقية لمحمد بن ابي العربي وخرج الى المهديته متنزها فقصد سوسة فاقام بها اياما ولما وصل المهديته لعبت المراكب بين يديه ورضى النفاطون بالنفط واقام بها اياما ورجع الى صبرة * وفي يوم العيد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة خرج في زي لم ير مثله لمن تقدمه من اباائه وبين يديه الفيل وزرافتان وحمل ابيض ساطع البياض * وارسل له الحاكم خليفة مصر هديته تشتمل على جوهر نفيس واثاث وطرف من بلاد المشرق ثوله العقل فلقاها باديس ودخلت بين يديه لصبرة * وجاءه الخبر ان زيري بن عظمة الزناتي خرج بالمغرب وقصده الى بلد

اشير فجهز اليه جيشا عظيما وارسله مع محمد بن ابي العربي عامله على افرقيشة
فالتقى بزيري بن عطية قريبا من تيهرت فكانت بينهما حروب انهنم
فيها عسكر باديس واحترى زيري بن عطية على جميع الاثاث والاثقال
والمال والسلاح * فلما بلغ باديس خبر الهزيمة خرج بنفسه الى قتال
زيري بن عطية فخرج من رقادة بعساكرة وشيعة مشيخة البلد والفقهاء
واهل القيروان وجد في سيرة الى اشير وكان زيري محاصرا لها فلما بلغه خبر
باديس رحل عنها وتم باديس في طلبه الى ان ادخله المغرب وكسر راجعا
الى اشير * وفي هذه السفرة خالف عليه اعمامه وكانت بينهم وبينه
حروب انتصر فيها باديس بعد ما كان بينهم الفناء مائت فيها سبعة الاف
من زناتة الذين كانوا مع اعمامه ورجع الى القيروان منصورا وبعث
برعوس القتلى فطيف بها في النصرية والقيروان * وقسم في ايامه
فلفل الزناتي وعاش في جميع اعمال باديس وكانت له مع فلفل وقعات
مديدة * وخرج عنه بعض النوار بطرابلس فخرج بنفسه اليه واستنقذ
طرابلس وولى عليها من قبله * وسكانت ايامه كثيرة الحروب والنوار عليه
من اعمامه ومن الزناتيين وكان منصورا عليهم في ايامه * وفي سنة ثلث
واربعمائة جاءت هديته من الحاكم صاحب مصر وسجلات له ولولده المعز
فخرج باديس الى لقاءها وخرج ولده المعز ولم يكن خرج قبل ذلك ومع
الخصاة واكابر الدولة وترجل لها وقرئت على الناس وفيها اضافة برقة الى
ما بهيدة من الاعمال فارسل عامله الى برقة * ولم تزل ايام باديس في
مكافحة الاعداء ورحل الى المغرب عدة مرار وسكان مقداما جوادا يعطي
العطاء الضخم وكان محسنا لاصحابه ويعفو عن اساءتهم * وخرج الى
المغرب لقتال زناتة فادركه اجله على مدينة الحمديتة آخر ليلة من
ذي القعدة سنة ست واربعمائة فمكتم الكبر دولته موته ونشاوروا بينهم
فاتفقوا عليهم على توليته ولده المعز وكان صغيرا اذ ذلك لم يبلغ عشر سنين
فجعلوا باديسا في تاهوت ورجعوا به الى افرقيشة بعد ما حلفت الاجناد

لولده المعز واثقادت له اجناده بعد موته احسن انقياد واوصلوه في ثابوته
الى المهديته وكان ولده المعز بها خرجت به جدته للنزاهة وجعلتها حرزا
لاموالها لما كانت ترى من الفتن في دولته ولدها باديس فاستوطنت
المهديته * وكانته ولايته بني زيري في مدينه اشير وانتقل المنصور بن
بلكين الى صبرة ثم ولده باديس كانت غالب اوقانه بصيرة الا ان ايامه
كانت اكثرها حروبا * واول سن بوبع من بني مناد بمدينه المهديته المعز
كما سنذكره ان شاء الله تعالى * ومن ملوك صنهاجة المعز بن باديس
ابن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بوبع بالامارة يوم وفاة
ابيه اخذت له البيعة على الاجناد بمدينه المحمديه لثلاث خلت من
ذي الحجة سنة ست واربعمائة وصرة اذ ذلك ثمان سنين وسبعة اشهر *
واسا وصل الخبر بعوث باديس خرج عامل القيروان ومعه الفقهاء والشموخ
من اهل البلد واكابر صنهاجة فوصلوا الى المهديته وهزوا المعز في والده وهنوه
بالملك وكانت جدته تباشرو لأمور وتصرف الاحوال من رايها فاحسنت
لاهل القيروان واحرثهم بالرجوع الى بلادهم وركب المعز بالطبول ونشرت
البنود على راسه وقبل الوفود باحسن قبول وظهرت عليه مخايل الملك وفرح
الناس بما راوا منه من العقل والنجابة وشمايل الكرم مع صغر السن وقابل
كل انسان بما يليق به * وفي اول المحرم وصل العسكر الذين كانوا مع
ابيه واتوا به محمولوا في ثابوت فدفن وجددت له البيعة مع لاجناد
وركب المعز للقائهم وعرضت عليه اكابر الدولة وتعرف احوالهم واحسن
اليهم ورحل من المهديته الى مدينه صبرة فحل بها ونزل بتحصنة وفرح الناس
بتدومه * ولما استقر بصبرة خرجت طائفة من القيروان وقتلوا جماعة
من الشيعة لانهم كانوا يتجاهرون بمذهبهم الخبيث فقتلت نساؤهم واولادهم
وكانت فستة بالقيروان من اجل النهب والقتل ولجا طائفة منهم بالجامع
في المهديته فقتلوا فيه * وكان لا يرى بالقيروان احد منهم في الطريق
الا ضرب ضربا عنيفا وربما قتل واحرق واجتمع منهم قدر الف وخمسمائة

رجل تحت قصر المنصورية واستغاثوا بالمعز فامر بالكف عنهم * والمعز
هذا هو الذي طهر الله تعالى على يديه افرقيته من مذهب الشيعة وان
كان من عمالهم الا انه كان لا يتعصب بمذهبيهم * وحمل الناس في ايامه
على مذهب الامام مالك رضي الله تعالى عنه وقطع ما عداه * وكانت
بافريقيته مذاهب الصفرية والشيعة والاباصية والنكارية والمعتزلة ومن
مذاهب اهل السنة الحنفية والمالكية فلم يبق في ايامه الا مذهب الامام
مالك * والمعز هذا لما اشتدت سلطنته خرج عن طاعة بني عبيد وخطب
لبني العباس كما سيأتي * وخرج عن طاعته عمه جاد بالغرب وحاصر
اشير فزحف اليه المعز بمساكر لا تحصى وكانت بينهما وقعات وحروب
انتصر بها المعز على عمه وعاخر الحال رجع الى الطاعة وبعث ولده بكتاب
يسال فيه العفو عما سبق منه فعفا عنه * واجرى المعز على ابن عمه جاد في
اقامته كل يوم ثلثة آلاف درهم وخمسة وعشرين قفيزا شعيرا لدوابه ودواب
اصحابه وخلع على اصحابه مائة خلعة واعطاه ثلثين فرسا بسروج الذهب
ومن الثياب المنقلا ما لا يدخل تحت حصر وانفذه الى حضرة ابيه
وفرق عماله في جميع بلاد المغرب * ويسعد اليه الحاكم خليفة مصر
تجديدا بولايته ولقبه بشرفى الدولة * وفي سنة ثمان واربعمئة بعث
اليه مولاة صندل وكان عاملا على باغاية هدية فيها ثلثمائة وخمسة وثلثون
برذوقا بالسروج المحلاة وعبيدا وشيئا مستكبرا * واهدى له الحاكم
صاحب مصر سيفا مكللا بالدر ليس له قيمة وكتب اليه تشريفا لم
يكتب مثله لاحد من اجداده قبلا * وتوفيت جدته سنة احدى عشرة
واربعمئة فكفنها بما قيمته مائة الف دينار وعمل لها تابوتا من العود
الهندي مرصعا بالجواهر وصنائح الذهب وسمر الثابوت بمسامير الذهب
وزنها الف مثقال وادرجت في مائة وعشرين ثوبا وذر عليها من المسك
والكافور ما لا حد له وقلد الثابوت باحدى وعشرين سحرة من نفيس
الحرير ودفن في النجينة بمصر في سنة ثمان واربعمئة * وحملت

الى المهديّة فدفت بها وامر العز بنخمسين ناقته ومائة رأس من البقر
والف شاة فنحوت وانتهبها الناس وفرق في مائتها على النساء عشرة الف
دينار * وصنع وليمة لعرسه سنة ثلاث عشرة وأربعمائة لم يكن مثلها
لاحد في بلاد المغرب * ولما بدا بالحركة للعرس نصبت القباب خارج
المدينة ونشر ما هيا من الاثاث والكيلب وجل المهر على عشرة ابغال كل
بغل عليه عشرة الف دينار وحضر من الآلات الملاهي ما لا يوصف وقوم
حذاني التجار ما جل للعروسة فكان ازيد من الف الف دينار * وبقيت
له مصانع وتصوير لم ير مثلها وصنع ابوانه الاعظم وبني الخورنق تشبيها
بخورنق النعمان بن المنذر بالعراق * وايام ملككم اربت في الحسن
على ايام بني مناد * وفي ايامه اشتدت شوكة زناتة من ناحية طرابلس
وكانت له معهم حروب وله فيهم فتكات * قلت والزنادليون هم الذين
يتنهي عليهم عدد من العمال ويذكرون كثيرا من جللة اخبارهم عدد ما
يذكرون سيرة بني هلال وما جرى لهم مع خليفة الزنادي ولاهل طرابلس اهتمام
بسيرتهم حتى لا يذكر بينهم حديث الا بها وكذلك عند عوام اهل مصر لها
صيت لا تسمعها . والعز كان اكرم اهل بيته بالمال وكان دينا يجتنب سفك
الدماء الا في حق وكان رقيق القلب حديد الدهن عارفا بعدد صنائع من
الاحسان والتوقيعات وعلم لا حجار وله شعر جيد وهداه ملك الروم بهديّة
جليلة وفتح جزيرة جربة * وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة اظهر الدعوة
لبني العباس وورد عليه تهديد من الامام القلثم بامر الله العباسي وفي سنة
اربعين وأربعمائة قطع خطبة بني عبيد وقطع بنودهم واحرقها بالنار * وفي
ايام العز خرج غالب البلاد عن طاعته وكثرت عليه المخالفون وخالفت
سوسته وقصته وصفاقس وباجتة وخرج جل البلاد الغربية وفي ايامه كان
ظهور ثنونة بلاد المغرب واستولوا على جميعها وسياتي بعض خبرهم ان شاء
الله تعالى * وفي ايامه جاءت العرب من المشرق وسكنوا بافريقية وسبب
دخول العرب الى افريقية ان العز بن باديس لما قطع خطبة صاحب مصر

وهو المستنصر بالله كان يسب بني هبيد سرا إلى أن صرح به على المنابر وكان يكذب وزير المستنصر ويستميله ويعرض له بالتكريف عليهم وإنما يكتب له تلويحا لا نصريحا وكتب إليه قطعة بخط يده وتمثل فيها

بيت من الشعر وهو

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلقتوا
فقال الوزير لبعض اصحابه الا تعجبون من صبي بربري مغربي يحب ان
يخدع شيخا عربيا عراقيا وإنما اراد العزان يوقع بين الوزير وخليفته الشر
ولما خلع طاعة بني هبيد وجاءتهم الخلع من بغداد اشار الوزير على المستنصر
العبيدي بإرسال العرب فارسل المستنصر إلى صرب الصعيد الذين بمصر
وارسلهم إلى المغرب وأباح لهم من برقة إلى ما بعدها واعانهم على ذلك بمال
وهم رباح وزخبة وحدي بطون من بني عامر بن صعصعة فلما وصلوا إلى
افريقية عاثوا فيها كيف شاءوا وملئت ايديهم من النهب فتسامعت
بنو عمهم بذلك فطلبوا من الخليفة الاسحاق بن تغلبهم فنتعهم من ذلك
إلا ان يعطوه شيئا من اموالهم فاخذ منهم اضعاف ما اعطاه لبني عمهم
وسرحهم ولما وصلوا إلى المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة باقليم طرابلس
وكثر ضررهم وفسدوا البلاد ولمسا قربوا من افريقية خرج المعز في
جمع من صنهاجة وزناتة فاجتمع له عسكر عظيم فالتقى معهم وكان
بينهم مصافى فخذلته زناتة وانهزمت صنهاجة حتى لم يبق معه إلا
عبدة وكان عدد العبيد عشرين الفا وبنت المعز في تلك الحروب ثباتا لم
يبته امير هزم جيشه وعاخر الحال انهزم ورجع إلى المنصورية واقبل
العرب حتى نزلوا بازاء القيروان واقتتلوا بين رقادة والقيروان ومات بين
الفرقيين خلق عظيم * ولما رأى المعز ما حل به ركن إلى الصلح ورفع
الحرب بين العرب وبينه واباحهم دخول القيروان ليشتروا منها ما يحتاجون
إليه ووطن انهم يرجعون إلى بلادهم فلم يغن عنه ذلك ومكثوا البلاد بأسرها
واقسموا برابرها وفسدوا حواضرها وكان الخطيب جليلا * فلما رأى المعز كثرة

ضررهم وعجزه من دفع اذاهم رحل الى المهديّة وبها حشمه وكان ولده تميم واليا عليها وخرج في رمضان سنة تسع واربعين واربعمائة ونهبت العرب القيروان وكان ذلك سبب خرابها وجمادى اهلها عنها ولما وصل الى المهديّة تلقاه ولده تميم وتوجّل له وقبل يده وادخله البلد فسلم الامر الى ولده تميم في حياته فقام بامور الدولة احسن قيام وتوفي المعز سنة ثلث وخسين واربعمائة فكانت ايام ولايته تسعا واربعين سنة وكان من الكرم على جانب عظيم قيل انه اهدى لبعض اصحابه في يوم واحد مائة الف وسبعين الف دينار الا ان ايامه كثرت فيها الفتن وقام كل عامل ببلده وخرج عن طاعته والملك لله وحده * وممن الملك الصنهاجية تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري مولده بالمنصورية سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وولاه ابوه المهديّة سنة خمس واربعين واستبد بالملك يوم وفاة ابيه ودخل اليه الناس وهنوه بما صار اليه وكثرت في ايام تميم الفوار من كل فقه فقام عليه اهل تونس وخرجوا عن طاعته فارسل اليهم جيشا عظيما فحاصروها سنة وشهرين والقائم بتونس هو ابن خراسان فلما اشتد عليهم الحصار صالحوا عسكر تميم على ما رضي به تميم وارتحلوا عنها وخالفت عليه بلد سومة فحاصروها وفتحها دنوة وحقق دماهم وخرج طيغ جوب بن فلفل البرغواطي ببلد صفاقس فخرج اليه تميم في جمع من البربر والعرب مثل زغبة ورياح فكانت بينهم مصافى وانتصر تميم وانهمز البرغواطي * وفي ايامه طردت بنو رباح زغبة عن افريقيّة وبعث القيروان من الناظر بن علاء الناس بن جاد وجاءت بنو قرة من ناحيّة بوقمة ونزلوا بازاء القيروان * وفي سنة سبع وستين واربعمائة اصطح تميم مع الناظر بن علاء الناس وزوجه ابنته وارسلها اليه في عسكر عظيم وبعث معها من الاموال والدخائر ما لا يوصف وولى ولده مقلدا على طرابلس وتم الصلح بينهما * وقام عليه مالك بن علي الصخري بجمع كبير من العرب ونازل المهديّة فقاومه تميم حتى رحل عنها خائبا الى القيروان فبعث اليه تميم بعسكر كبير فحاصره بها مدة فلما

علم مالك ان لا طاقة له فر عن القيروان وحاصر تميم قابس وصفافس في وقت واحد وفي غيبته جاءت عمارة المهديّة من الجنوز والبثسيان فحرق ثلاثمائة مركب فنهبوا المهديّة وزويلتة واصرخوا النار في البلد ولم يكن بها مدافع لهم لغيبة الجند عن المهديّة وكان عدد الروم ثلثين الف مقاتل فغنموا ورحلوا عنها * وفي ايام تميم كانت الجماعة العظمى بافريقية والروباة الذي لم يسع بمثلها وذلك سنة ثلث وثمانين واربعمائة وغالب اوقاته كان مقاوما فيها لمن ثار عليه وقاسى حروبا مع العرب وبني عبه وكان رحمه الله ذكيا مفطيا في الذكاء وينظم الشعر ويجيز متن مدحه ويحب المنادمة والاستماع ومن ندمائه ابن رشيق القيرواني وله فيه البدائع الطنانة وكان احلم بني مناد واعفاهم عن الامور العظام وانقدم للشعر وله اخبار عجيبة اعربنا عنها خوف لا طالت * وفي ايامه استولى عدو الدين على جميع صقلية وكان ذلك سنة اربع وثمانين واربعمائة اعادها الله للاسلام * وحيث انتهى بنا مساق الحديث الى صقلية وان كنا اتينا بطرف من ذكرها فيما تقدم وجب لان ان نذكر طرفا منها لزيادة الفائدة ولكن على سبيل الاختصار وليكن المتامل هنا على بصيرة من ان صقلية كانت تحت حكم افريقية برهة من الزمان * فاقول وبالله المستعان قد تقدم في اول الكتاب فتح الجزيرة على يد الشيخ البرصكة اسد بن الفرات من قبل ابراهيم بن الاغلب في خلافة امير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد وتداولتها العمال من قبل بني الاغلب الى ايام ابي عبيد وما كان الخليفة العبيدي وهو المنصور بالله بن القائم بن المهدي متحكما من البلاد الغربية وتم له الحكم على سائر اعمالها عقد ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي ابن ابي الحسن الكلبي وذلك سنة ست وثلثين وثلثمائة. واستمر الحسن بها حتى مات المنصور وتولى ولده المعز واقبل الحسن الى افريقية واستخلف على صقلية ولده اجد في سنة ائتين واربعين وثلثمائة ووفد على المعز بجماعة من اهل صقلية فبايعوا المعز وخلع عليهم واعاده الى عمله * وفي

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث إليه كتابا يأمره بختن أطفال الجزيرة
وكسوتهم في اليوم الذي يختن فيه العز ولده في مستهل ربيع لأول من السنة
المذكورة فابعدا كأمير أحد بختن اولاده واخوته ثم الخاص والعام وخلع
عليهم ووصلهم من المعز مائة الف درهم وخمسون جلا من الصلوات ففرقت
بين المختونين وكانت جلتهم خمسة عشر الف طفل * وفي سنة اثنين
وخمسين بعث الأمير أحد بسبي طبرمين بعد ما فتحها وجلته الف وسبعمائة
ونيف وسبعون راسا * وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة بعث المعز اسطولا
عظيما وقدم عليه الحسن بن علي والد الأمير أحد فوصل له صقلية وكان
بينه وبين الروم حرب شديدة انتصر فيها الحسن وقتل من المشركين
أزيد من عشرة آلاف وغنم مغنما عظيما ومن جلته سيف منقوش عليه -
طالبنا صربت به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فبعث به
وبالسبي إلى المعز وتوفي الحسن سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وفيها استقدم
المعز لدين الله الأمير أحد من صقلية بماله ولده واستخلف يعش مولى
أبيه على الجزيرة ولما وصل أحد إلى إفريقية أرسل المعز علي بن الحسن
تأقبا عن أخيه أحد وبعث المعز الأمير أحد مقدما على اسطول إلى مصر
فلما وصل طرابلس اعتل بها ومات بها وبعث المعز إلى الأمير علي سجلا
بولاية بعد أخيه فمكث اثني عشرة سنة ومات في غزوته بالارض الكبيرة
بمكان يعرف بالشهيد عرف به لان مقتله هناك * وتولى ولده جابر من
غير عهد من الخليفة وكان جابر سعي التدبير فعزله الخليفة وبعث مكانه
جعفر بن محمد بن الحسين وبقي واليا عليها حتى مات سنة خمس وسبعين
وثلاثمائة * وتولى أخوه عبد الله وتوفي سنة تسع وسبعين * وتولى ولده
أبو الفتوح يوسف بن عبد الله وكان حسن السيرة واصابه فالج فتولى
ولده جعفر في حياته واتاه سجل من الحاكم ولقبه تاج الدوله
واحدث مظالم على اهل صقلية فخرجوا عن طاعته وحاصروه في القصر فخرج
إليهم أبو يوسف في محفة وشروط للناس عزله وسكنهم وقدم عليهم أخاه أحد

ولقبه تاييد الدولة وذلك سنة عشر وأربعمائة وبقي الى سنة سبع وعشرين خرج عليه اهل الجزيرة فقتلوه وتولى اخوه الحسن ولقبه صمصام الدولة واصطربت الاحوال في ايامه وكثرت الثوار فاضربوا صمصام الدولة وانفرد كل انسان ببلد فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابي وغيرهما وابن الحواس بقصر يانة وجرثنة وغيرهما والقائد ابن النمنمة بسرقوسة وقطانية وقامت بينهم الفتن فانصر ابن النمنمة بالافرنج من مالطة وهون عليهم امر المسلمين وكان امير الصاري اسمه روجار فساروا مع ابن النمنمة الى البلاد التي بايدي المسلمين فحاصروها واستولوا على مواضع كثيرة من الجزيرة فحينئذ فارق الجزيرة جماعة من العلماء واتوا الى المعز يستنجذونه فبعث اسطولا للجزيرة فلم يغن شيئا وذلك لاضطراب الجزيرة فلم يزل العدو ياتخذ الجزيرة شبيعا فشيئا ولم يثبت غير قصر يانة وجرثنة فحاصرها الافرنج اشد حصارا حتى اكلوا الميتة فسلم اهل جرثنة وبقيت يانة ثلث سنين ثم اذعنوا واستغلب روجار على سائر الجزيرة في سنة اربع ولثمانين واربعمائة ومات بعلة الخوانيق وعمره ثمانون سنة * وتسولى بعده ولده فارسي عليه في الخزي وسلك طريقة ملوك المسلمين من الجناب والحجاب واسكن الافرنج في الجزيرة مع المسلمين واكرم المسلمين وقربهم ومنع من التعدي عليهم وكانت اساطيلهم سحرنة بالمسلمين والافرنج واخذ كثيرا من بلاد الاسلام وهو الذي اخذ المهديتة وسوسة وجرثمة وطرابلس وامتدت يده في البلاد وملك عدة جزائر في البحر وبلغت بعونه الى المشرق وملك انطاكية وكان له فتكات لعنة الله عليه * وجزيرة صقلية من اجل الجزائر التي في البحر وبها مدن عظيمة وافخر مدائنها مدينة بليرم وهي المدينة العظمى على ساحل البحر محاذة بها الجبال وهي ثلث اسطمة وبها المدينة القديمة المسماة بالخالصة كانت مستقر السلطان * وكانت الخالصة في ايام المسلمين دار الصناعة لانشاء المراكب ومكثت في ايدي المسلمين مائتي ونيف وسبعين سنة اعادها الله للاسلام * وما ذكرت هذه النبذة الا لكونها فتحت على يد عمال افريقيته

ولم نزل تحت الحكم الى ان قدر الله بردها لاعداء الدين والنسب
المخزي للهلاك التماسد والفتن حسم الله هذه المادة عنا لاننا في طرف منها
عسى الله ان يعافينا ويلطفه يداركنا * ولنرجع الى ما كنا فيه من بقية
اخبار تميم بن العز قال ابن ايوب وتوفي تميم بن العز صاحب افرقيته
سنة احدى وخمسة مائة وعمره تسع وثمانون سنة وايام ولايته ست واربعون
سنة وعشرة اشهر وعشرون يوما وخلف مائة ولد ذكر وستين بنتا وتولى
ولده يحيى من بعده * وممن امرأ صنهاجة الامير يحيى بن تميم
ابن العز بن باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيري بن مناد ثم له
الامر يوم وفاة ابيه وعمره حينئذ ثلث واربعون سنة فركب على العادة باكاب
الدولة وغير لباس الحزن وفرق في الناس اموالا وودعهم بالجميل فخرج
الناس به ولما استوثقت له الامور عدل في رعيته وجرد مسكرا الى
قلعة اقليبيته ففتحها وكان ابوه لم يقدر عليها وبعث اسطولا الى بلاد
الروم فغنمت وكانت عمارته في البحر كل سنة منصورا وكان يباشر الامور
بنفسه عارفا بها وكان حكيما بالضعفاء مظالعا لكتب السير واخبار الزمان
عالما بالنجوم واحكامها وبصناعة الطب وينظم الشعر الجيد حسن الخلق
ودامت ولايته ثمان سنين وستة اشهر وتوفي وعمره اثنان وخسون سنة
مات فجئة اول ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة وخلف من الذكور
ثلاثين ومن البنات عشرين وكانت ايامه ايام عدل الا ان ملكه دخلته القهقرة
والملك لله الواحد القهار * وممن امرأ صنهاجة الامير علي بن
يحيى بن تميم ثم له الامر بعد ابيه بانفاق من جنده وكان في صفاقس
فارسوا اليه خفية من اخوته فجاء الى المهديّة وقدم الى القصر فتولى
تجهيز ابيه ودفنه ودخل الناس عليه فهنوه بالملك واستسلم له الامر وابدا
دولته بتجهيز اسطول الى جربة فحاصرها وفتحها ولم تكن طامت لكن
سلف من اجداده مع سعة ملكهم وكثرة جيوشهم وحاصر تونس وضيق عليها
فصالحها صاحبها احمد بن خوسان على ما اراد وبعث جيشا الى حزر

وصلات فصاريق به وفتحته فتوة وكان أهله إذ ذاك أهل فساد وتغلق وصمى عليه رافع عاملة على فابس وبعث إلى رجسار صاحب صقلية فدخل تحت طاعته وطلب منه الاعانة على الأمير علي بن يحيى واجتمعت لرافع جموع من العرب وقصد المهديّة وحاصرها فمكر به الأمير علي باستجلاب نفوس الأعراب ووعدهم واعطاهم فخذلوا رافعا فصر إلى القيروان واقسمت العرب بينهم البلاد وفويت شوكة العرب في أيامه وكبرت بينه وبين صاحب صقلية الوحشة فبعث إليه يهدده بغزوة المهديّة فيها الأمير علي مراكب في البحر واستخدم لأجناد وكثر من الرجال وعمر المدينة وأخذ أهبة الحرب وصمت بينهما مراسلات بالتهديد من الجانبين وأراد علي أن يستنصر بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين لأن الأمير عليا علم أنه ليس له طاقة بصاحب صقلية فاخذ بالحدّز منه بغيته حياته إلا أنه وقع بينهما الصلح في الظاهر دون الباطن * وفي أيام علي دخل محمد بن نورث على المهديّة وغير بها المنكر وسيأتي خبره وتوفي الأمير علي سنة خمس عشرة وخمسمائة من مرض أصابه وفوض الأمر في حياته لولده الحسن وعمره اثنتا عشرة سنة وبيع يوم وفاة والده والله يرث الأرض ومن عليها * ومن أمراء صنهاجة الأمير الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ثم له الأمر يوم وفاة والده وفلم يندبها دولته القائد صندل مولاه وركب على عادته وطاف البلاد وفرح الناس به وفرق أموالا في العبيد والأجناد وخلع على أصحاب دولته وأكابر أجناده * وفي أيام الحسن تحرك صاحب صقلية على أخذ المهديّة ومنشه نفسه أن يستاصل أفريقيّة فحشد من جميع البلاد وجمع جيشا عظيما وبعث باسطول عظيم إلى المهديّة فلما أحس الحسن بعجبي أهل صقلية أرسل إلى البلاد واستعد لهم استعدادا كليا واجتمعت له مائة ألف رجل وعشرة آلاف من الخيل ونزلت طائفته من النصارى من الأحماسي وتخصموا بتصر الديماس فانذر المسلمون بهم فاخذوهم * وكان عدد المراكب الواردة من صقلية ثلثمائة مركب منها ما هو مشحون بالسلح والآلات الحرب ومن

الخيل الف فرس وفرسان وكان غالب المراكب عطب قبل وصولها من
بعدة هيجان البحر فلم يرجع منها لك صقلية إلا قدر مائة مركب ولم ينج
من الخيل إلا فرسان * وفي أيام الحسن قصد صاحب بجاية أخذ المهديّة
لأنه سمع بالأمير الحسن انه صالح الملك رجار الرومي صاحب صقلية
ووثقت بينهما الهدنة وكان ذلك لأن الحسن ارسل اليه بهديّة وصالحه
مخافة من شره فتم الصلح بشرط اللعين عليه شروطا قبلها فكتب اهل
المهديّة يحيى بن العزيز الحمادي صاحب بجاية واطمعهوه بتسليم البلد
فوثق بهم وبعث اليها جيشا في البر ومراكب في البحر وبعث مقدم الجيش
اللقية مظرفا فنزلها برا وبحرا وجاءته العربان من كل فج ولم يكن له
ارب في القتل لاطماع اهل البلد اياه وطال الحصار على اهل المهديّة وانصل
الخبر برجار صاحب صقلية فبعث اسطولا عظيما لنصرة الحسن وامر المقدم
على الاسطول ان يقف عند امر الحسن ونهيه فلما جاء اسطول اللعين
وانشر حول المهديّة طاح ما بيند صاحب بجاية واراد النصراني ان يعكس
مراكب اهل بجاية فنعمه الحسن وامره بالكف عن القتال لانه كره
سك دماء المسلمين وفرت مراكب بجاية بالخبيثة ورحل الذين كانوا
منازلي المهديّة من البربر بعد اقامتهم عليها سبعين يوما وذلك سنة تسع
وعشرين وخمسائة ورجع الاسطول الى صقلية وكتب الحسن كتابا الى
الملك رجار يشكره على فعله وانه داخل تحت امره ونهيه فتأكدت بينهما
المخالصة وعند ذلك استقامت امور الحسن * وفي هذه السنة ارسل عبد الله
رجار اسطولا الى جزيرة جربة مشحونا برجال المسلمين من اهل صقلية ورجال
من الافرنجيين بعدد وقوة عظيمة ونازل جزيرة جربة واخذها عنوة بالسيف
وقتل رجالها وسبي حريمها وبساعهم في صقلية ورجع اليها من سلم ودخل
تحت طاعة رجار وولى عليها حاملا من قبله وكتب لهم امانا من عنده
وجعلهم خولا له ودانت له بلاد المهديّة وجربة وخافته البلاد كلها وتشمي
اللعين بانثته والحسن في غالب اوقامته يدافعهم من نفس بالتي هي احسن

التي ان كانت سنة ست وثلثين وخمسمائة ابتداءً بينهما الوحشة بسبب
مال استسلمه الحسن من بعض وكلاء اللعين وماطلة به * فبعثت مركب
الى المهديّة واظهر بشرة فدافعه بالحسنى واهدى اليه عدة اسارى فلم تقن
عنه شيئاً وارسل الحسن رسولا الى الملك رجار ولاطفه وشرط اللعين شروطاً
على الحسن فقبلها ودخل تحت طاعته وجعله عاملاً من عماله وهاذنه هدنة
مسكر * وفي سنة سبع وثلثين وخمسمائة نازل اللعين مدينته طرابلس
فهمزومة ولم يتعلق منها بشيء وفي هذه السنة بعث الى جيجل فلخذهما
عنوة وسفك دماء اهلها وسبى حريمها واحرقها بالنار وهي من عمالة بني
جاد من ولاية بجاية * وفيها ملك جزيرة قرقرت وسبى اهلها وابعدهم في
صقلية وسن سلم ورجع لها دخل تحت طاعته وخافته جل البلاد الافريقية *
وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة ارسل مائتي مركب الى طرابلس
وفتحها عنوة وقتل وسبى وعفا عن الباقيين واحسن اليهم وامن سن جاء هاربا
واذعنوا لطاعته وما ذاع خبر طرابلس خافته جميع البلاد الافريقية وكتب
اليه صاحب قابس يتضرع اليه ويتلطف وسلم له ما تحت يده ورصي
ان يكون عاملاً له فكتب له سجلاً بذلك وبعث له ما يشرف به من
تساريف النصارى وحبى اموال قابس من تحت طاعته * قلت اعوذ
بالله من الخذلان وإلّا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين وانما
هي من حزب الشيطان لكن حب الدنيا والرياسة الجاهلهم الى هذه الرذائل
وحبك الشيء يعمي ويصمي * وفي هذه السنة كان القحط بافريقية حتى
فر غالب الناس الى صقلية * وفي سنة اثنتين واربعين وخمسمائة استعان
معر بن رشيد بالحسن صاحب المهديّة وبجمع من الاعراب على يوسف
صاحب قابس وعاضده محرز بن زياد فحاصروا قابس وقتلوا يوسف
عاملاً واحتوى محرز بن زياد طيها * وفسر القائد عيسى اخو يوسف
الى صقلية واحلم النصراني ان الحسن مكن امان على قتل يوسف فانف
اللعين من ذلك لكون كل منهما تحت طاعته فعول على فزوه المهديّة فحشد

جيشا عظيما وبعنه في مراكب مشحونته بالسلاح وءالات الحرب فدهموا
المهديته على حين غفلة فاندهل الناس عند ما راوا لاسطول ففرث الناس ولم
يكن لهم مدافع وقر المحسن دون قتال وجل اهلهم وبن ساعده وخلف
ذخائره وبعض اهلهم وتوجه الى المعلقه التي بمقربته من تونس ونزل عند
محرز بن زياد فرحب به واكرم عشواه واما اهل البلد فتراجعوا عنده * وان
المقدم على لاسطول لما دخل المهديته امر بالكف عن القتل والنهب وناذى
في الناس بالامان وبن لم مسكن رجع اليه وهدن اهل البلد واحسن
لمن رجع واحتوى على ذخائر المحسن وعائشائه ما لا يوصف ولقي بعض
اولاده واهله وامهات اولاده يعني اولاد المحسن فاحسن اليهم وارسلهم لصقلية
وعمر عدو الله المدينتين زويلته والمهديته ودفع للتجار رجوس اموال واحسن
لقتحاتهم وجعل قاضيا مرضيا يحكم بين الناس ومهد قواعد البلدين وبعث
في الثناء ذلك بچيشين احدهما لسوسه والاخر لصفاقس اما اهل سوسه
فسلوا لم البلد دون قتال فاحتوى عليها عدو الدين ونهبها واعاد لها اهلها
واما اهل صفاقس فدافعوا عن انفسهم بقدر طاقتهم واخذوا العدو عنوة واخذ ما
فيها ورد اليها اهلها واحسن اليهم واولى عليهم ولاية عن قبله * وجاءته وفود
العرب واكابرهم فدخلوا في طاعته واستوثق له الحكم على اكثر البلاد وجبى
خراج رعاياها برفق منه واحسان واستمال الناس وسار فيهم سيرة حسنة
بالرفق بهم ونازل قلعة اقليبية فلم يقدر عليها لتجمع اكثر العرب فيها *
ولسم نزل هذه البلاد بيد اللعين الى ايسام امير المومنين عبد المومن بن
علي فاستنقذها من ايديهم سنة خمس وخمسين وخمسمائة ورد الامير
المحسن الى المهديته كما سياتي ان شاء الله تعالى * والامير المحسن هو اءخر
الصنهاجيين من بني مناد * واول سن ملك افريقيته بلكين عند رحيل المعز
الى مصر كما سبق في اول الكتاب وان كان زييري ومناد ملكين فانهما لم
يتصرفا في عمل افريقيته * وبعده سن ملك منهم افريقيته ثمانية اخرهم
المحسن الا انه لم يبلغ ما بلغ من قبله لان ملك من تقدم من اجداده من

برقته إلى تلسان وما وراء ذلك * وقسمت البلاد بينهم بعد موت المنصور ابن بلكين فقام حاد بن بلكين على ابن أخيه باديس وجرث بينهما عدة وقائع * واحتوى حاد على البلاد الغربية وصارت بلد بجاية دار ملك بني حاد كما أن بني زيري دار ملكهم أولا المنصورية ثم انتقلوا إلى المهديّة في زمن العز عند دخول العرب وقد تقدم * ومدفنهم في بلد المشيخ بقصر السيدة وكان لهم ناموس عظيم وعساكر عديدة وبلغوا رتبة السلاطين * فسلت وأنا استغفر الله أن بني حفص لم يبلغوا ما بلغوا وإن كان ذكروهم عند الناس أكثر إلا النادر منهم وكون بني حفص خطب لهم بامير المؤمنين ولم يخطب لبني مناد بامير المؤمنين وكانوا كلهم أهل نجدة وشجاعة واحسان ومعروف * والحسن هذا الذي هو آخرهم كان قوي النفس جتمع الفكر لا يتزعزع اعظام الامور ولا يتضعع لنواب الدهور مستوفد الذهن شجاع القلب كريم النفس حسن الثروسيّة ينظم الشعر إلى أن أيام ملكهم اخذت في الادبار * وانقطعت كواكب سعودهم وافلت عن منازلهم الشمس والاقمار * وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها * ولا يياس سئيمها * وبهذا جرت عادة الله في خلقه إنما الدهر دول بعد دول لا يسال عما يفعل وهم يسألون * ولتختتم هذا الباب بفائدة وهي ان عبيد الله المهدي لما اراد بناء المهديّة ووضع اول حجر منها امر ان يرمى بسهم من عند الحجر إلى ناحية المغرب فانتهى إلى المصلى فقال المهدي إلى هاهنا يبلغ صاحب الحمام يعني ابا يزيد الخارجي وامر بقيس مسافة الرميّة فكانت مائتين وثلاثاً وثلاثين ذراعاً * فسال هذا عدد ما نقيم بأيدينا والبناء سنة ثلث وثلثمائة واخذت سنة ثلث وأربعين وخمسمائة فاتفق الحساب كما قال تقريبا او تكون سنين شمسية فالحالة بينهما قريبة على ما اخبر به وذلك ان الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه قتل سنة احدى وستين ولم يكن لبني فاطمة بعده ملك إلى أيام ظهور بني عبيد وامشقرارهم في الخلافة لانهم يجعلون ابتداء امورهم بنساء المهديّة فالمدّة التي بين مقتل

الحسين وابتداء الملك مائتان واربعون سنة فتكون أيام دولتهم بقدر ذلك لان دولتهم انقضت باخذ المهديته وأن بقيت بقيته منها بمصر في تلك المدة لان العاصد توفي سنة سبع وستين وخمسة فان المهدي لم يخبر بدوام الملك لهم إلا بدوام المهديته وإذا خرجت خرج الملك عنهم فكان كذلك لان المدة الزائدة كان فيها اضطراب فلا يعد * ومنسن ذلك ان العز لدين الله لما اراد ان يتوجه لمصر قال لبيكين يا يوسف اعلم ان المهديته دار ملكك وصيانتة ذريتك وملكك ملصق بملكنا فمضى خرب ملك المهديته خرب ملكنا لان ملك المهديته خرب بموت علي وولد الحسن فان الحسن لا يعدونه سلطانا لانخلاءه من الملك وخروجه عن سلطنته كما انهم لا يعدون من الخلفاء من كان بعد الامر باحكام الله لان الامر هو العاشر من الخلفاء على نسق واحد اب عن جد ومن بعده خرجت لابن عمه وكذلك جعل بعض من يتعاطى هذا الحساب ان العشرة من الخلفاء الذين هم على نسق واحد يتسابلونهم بعشرة من صنهاجة على نسق واحد اولهم مناد وماخروم الحسن وان اردت فاسقط الثلثة الذين حكموا بالمغرب وعد من الذي اخذ مصر وهو المعز الى الامر باحكام الله تجد سبعة على نسق واحد فتقابلهم بسبعة من صنهاجة اولهم بلكين لانه تقدم من قبل المعز على افرقيته * وكما ان المعز اول المصريين فيوسف اول من تملك في الافريقيين الى علي فيكون العدد سبعة سلاطين وسبعة خلفاء كلهم مستقل غير مغلوب عليه * وهذا علم لا يعلمه إلا الله وما ذكرت هذا الكلام إلا لان مثله لا يصدر إلا بالهام من الله او اخبار عن مصدق وان ثبت هذا الكلام من هولاء القوم فهم عندي من اهل بيت النبوة بلا شك والله حسيب من طعن في نسبهم بلا دليل ثابت * وهذه الاخبار تكون لهم من الكرامات ورايت كثيرا من التواريخ نثني عليهم بالمحاسن الجميلة والعلوم الجليلية إلا ما قل منهم والبعض يخرجهم عن دائرة الاسلام لاظهارهم مذهب الشيعة والغلو فيه والمنتقص من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم واهل البيت يجعل قدرهم عن الرذائل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انتهى خبر صنهاجة وتتلوه الدولة الحفصية *

الباب السادس

في الدولة الحفصية

فيه فصلان الفصل الاول في ذكر تن تولى من الخلفاء بالمغرب وادانت له البلاد وتن بلغ درجة الملك ولم يباغ درجة الخلافة وتن بلغ درجة الخلافة ولم يتسم بها وتن بلغها وتسمى بها وتن لم يبلغها وتسمى بها وكيف اتصل الامر بيني حفص ليكون ثوطئة لاخبارهم * ويعلم المتامل مبشدا اموم اذا سرح طرفه متتبعا لاثارهم * والفصل الثاني في كيفية اتصالهم بالملك وبعض اشياء من اخبارهم وسيرتهم ومحاسنهم *

الفصل الاول

اعلم ايها المتامل اصلح الله احوال الجميع انه تقدم في ما نقلته وأوردته هنا ان افريقية لما فتحت في صدر الاسلام كانت دار الامارة بالقيروان ومن هناك تخرج العمال الى اخر المغرب ومنها فتحت الاندلسية وصقلية * ولما كانت سنة خمس وثمانين ومائة دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن محمد الملك بن مروان بن الحكم لاوي الى الاندلس فارا من بني العباس لما سلبهم ملكهم فاستحوذ على بلاد الاندلس واستقل بها ودامت في ايدي بني امية وخرجت الاندلسية عن طاعة بني العباس فلم تكن لعمال افريقية طريما يد * وة ال بن المورخين : يع امير المومنين هارون الرشيد باجماع الامم ما عدا جزيرة الاندلس وذلك لبعدها والبحر حائل بين المملكتين * وفي سنة ثمانين ومائة ظهرت بنو ادريس في المغرب وبلغهم خلق من البربر واستخلفوا هناك وتسدوا بامراء المومنين ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة ولما ظهرت بنو حبيد بالمغرب وقعدوا متعدد الخلافة

نازعوا كالأدارسة في أعمالهم وانزلوهم منزلة عمالهم واستحوذوا على أكرع ما
 بأيديهم لئلا ان ساروا إلى بلاد المشرق وخلفوا منها جند عمالا لهم
 وملكوهم بلاد المغرب فظهرت زناينة بالمغرب وتمسكوا بدعوة الروانيين وكانت
 بينهم حروب دامت من الفريقيين حتى تمسك بالدعوتين صالح لا يعلمهم إلا
 الله تعالى ، وخرجت عساكر بني أمية لبر العدو وأحسنوا لئلا تن تمسك
 بدعوتهم وميزوا بين عمل هاشم وأميت لئلا أول المائة الخامسة ضعفت فيها
 الدولتان وقام بالمغرب عدة قوام من المفسدين وقليل من المصلحين فقبض
 الله سبحانه وتعالى دولة الملتزمين صنف من البربر من لثونة ويقال لهم
 المرابطين فملكوا بلاد المغرب بأسرها وكانت أيامهم مستقيمة لئلا ان قام
 عليهم ابن تومرت المهدي . ولم يتسم احد من لثونة باسم السلطان إلا يوسف
 ابن تاشفين تسمى بامير المؤمنين وخطب له بهذا الاسم ولبيته . من بعده
 وكان له سلطان بالمغرب وبلغ درجة الخلافة * ولما قام عليه المهدي
 تسمى بامير المؤمنين ولما مات اوصى بها لعبد المؤمن فورثها وأورثها بنيه
 وتمت لهم الخلافة لئلا ان ظهرت بنو مرين وغلبوا بني عبد المؤمن تسموا
 بامراء المؤمنين ايضا لئلا ان فزع الله ملكهم على يد الأشراف الذين قاموا عليهم
 قبل كالف من الهجرة . ولما ضعفت دولة بني عبد المؤمن بالمغرب وكثر
 اضطرابها استقل بنو حنص بافريقية وتسموا بالخلفاء ولم يصل احد منهم
 إلى رتبته إلا ما قل منهم وكانوا عمالا لبني عبد المؤمن في السابق واستغاث
 أمرهم بافريقية ودار ملكهم الحاضرة العليا لئلا ان وصل اليهم ما وصل لغيرهم
 وأتى عليهم ما أتى على غيرهم واستولت الدولة الحفافية على بلادهم * وطردوا
 القوم من اوطانهم * وأوحشوهم بعد الأيناس * وتلك الأيام نداولها بين الناس *
 وحسبك بلغنا لئلا هذا المقام * ووطننا الأمر بالقول وجب علينا التمام *
 فاقسول أول سن خرج من الطاعة وفارق الجماعة بنو أمية بالمغرب
 كنعلمهم بالمشرق * وأول سن ناصر بالاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام
 ابن عبد الملك فأنجاز اليه كل أمر كان هناك وقصد قرطبة دار الامارة

وقتل يوسف بن عبد الله الفهري بعد وقائع واستولى على الجزيرة واطاعه
لانندلس بأسرها وملكها ثلثا وثلثين سنة وقاسى بها شدائد الى ان توفي
وتولى بعده ولده هشام بن عبد الرحمن فملكها سبع سنين وتوفي وولي ابنه
الحكم بن هشام فاقام واليا ستا وعشرين سنة ثم توفي وولي ابنه عبد الرحمن
ابن الحكم وملكها احدى وثلثين سنة ثم توفي وولي ولده محمد بن عبد الرحمن
فاقام واليا اربعا وثلثين سنة . وفي ايامه انتهى جيش المسلمين الى مائة الف
فارس منهم مشرورون الفما بدرع الفضة وانما في البحر سبعمائة غراب لم
توفي وولي المنذر بن محمد فاقام واليا خسا وعشرين سنة ثم توفي وولي عبد
الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وجلس مجلس الخلافة وتسمى بامير المؤمنين
وكان تن تقدمه يخطب لبني العباس ولما ظهرت بنو هبديد وخطب لهم
بامير المؤمنين اقتدا بهم واقام واليا خمسين سنة منها خمس وعشرون في غرر
وحرور وباقيها في الخلافة والراحة وبني الزهراء فكمالت في خمس وعشرين
سنة . وحصر الامناء ما انفق عليها فوجدوه خسة وثلثين مدا من الدراهم
القاسية سوى ما سخر فيها من الرعية وزواله وزوال اصحابه واجناده
ثم توفي وولي ولده الحكم ابن عبد الرحمن فكانت خلافته خمس عشرة سنة
ثم توفي وولي ولده هشام بن الحكم وتلقب بالمويد وحجب له محمد بن ابي
عامر وكان في غاية الذكاء وامثال الجند وسار في الناس سيرة حسنة وبعث
لكل عمل تن يثق به واحسن للرايا فكانوا معه على كلمة واحدة . وحجر عن
هشام وجعل بيت مال ونقل اليه اموال الخلافة ولم يبق لهشام سوى الخطبة
والسكة وينفذ الامور ويظهر للناس انها تصدر عن اذن الخليفة وسميت هتته
الى ان قاد العساكر الى الروم ونال منهم ما لم يبلد غيره من قبله ولا من بعده
وقادهم بنواصبيهم وانزلهم من صياصبيهم وجاءتهم من القسطنطينية ومن رومة
الرسل والهدايا وطلبوا مسالمة وانزل قوامس قسطنطية وجليفته منزلة عماله
وقبلوا سجلاتهم ودخلوا تحت طاعته واقام على هذه الحالة ثمانين وعشرين
سنة وتوفي سنة ثلث وتسعين وثلثمائة واخبرارة دونت فيها عدة

دواوين * وقسم بالامر بعده ابنه عبد الملك واقرة هشام على ما كان عليه
ابوه فاقام سبع سنين ومات ولم عدة وقائع مع العدو وكان النصر له
وسماه الخليفة المحاسب المظفر وقام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن فعامل
الاجناد والناس بالكذب وطلب من الخليفة ان يجعله ولي عهد ففعل ذلك
فلما علم بنو امية قاموا عليه وقتلوه وقتلوا هشام الخليفة معه وقيل ان
الخليفة اختفى ولم يظهر بعد * ولما سمع اهل الجزيرة نار كل عامل ببلده فنار
زيري بن زيري بناحية فرناطة وعباد القاسمي باشبيلية واسماعيل بن ذي
النون بطليطلة وابن هود بسرقسطة وابن لافطس ببظليوس وابن صمادح
بالميرية وابن مجاهد بدانية ، هولاء مشاهيرهم ، وانتقطع اسم الخلافة واشتعل
الحرب بين الامراء وتفرقت كلتهم وحارب بعضهم بعضا وكثرت الفتن
وانبسط عدو الدين في الجزيرة وبلغ منهم كل مبلغ ما بين قتل واسر وءاخر
الامر التي صاحب قشتالة على اهل الجزيرة الجزيرة فادوها ، وانما اهلكهم
التحاسد واختلاف الكلمة وها نحن في طرف من ذلك جانا الله من هذه
الفتن بكرمه ءامين ، ولما ضعف الطالب والمطلوب من لاندلس وظهر الفتن
ابن فردند قوي مزمه وطمعه في البلاد وصايق على اهلها وكان يغري بعضهم
على بعض ويعين هذا على هذا ويشاغل اموالهم وهم مع ذلك منعكسون
على لانهمالك والحاربة ، وتسمى كل واحد منهم بغير اسمه كالمقتدر والمعتمد
والمتوكل والموتن وغير ذلك ، وكان ابن عباد ارسل الى الفتن رسولا للمهادنة
فلاطفه الرسول بالكلام واخذ يعتذر عن صاحبه فقال له الفتن لعنه الله
— كيف يحق لي ان ابقي هولاء المحمقا يعني روساء الاندلس وكل واحد
منهم تسمى باسم خليفته وهولا يدفع عن نفسه ضرا ولا نفعا — * قلت
رحم الله ابن رشيق حيث قال *

ما يبغضني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتمد

القاب سلطنة في غير مملكة كالمهر يحكي انتفاخا صورة لاسد

ولم يزالوا في شرهم الى ان تهدد شملهم * ويحسكي ان بعض روساء

لأندلس اهدى للفنن هدية قيمتها مائة الف دينار فاعوضه عنها فردا
فكان يفخر بذلك الفرد اعادنا الله من الخذلان * وأول مدينته اخذها عدو
الدين طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * ولما ملك طليطلة تسمى
لعمركم الله بالانبراطور ومعناه كالتخليفة عند المسلمين واقسم لا يدع إلا من
يدخل تحت طاعته * ولما رأى روساءً لأندلس أن لا طاقة لهم بمدافعتهم
بعثوا إلى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين ودخلوا تحت طاعته فنصرهم على
عدوهم وجلا عنهم ما كانوا فيه وسيأتي أن شاء الله تعالى * ومــــســــن
الملوك الذين كانوا بالمغرب وهم الفواطم الذين يقال لهم الأدارسة قاموا
بالمغرب وامتدت دولتهم ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة * فاولهم ادريس بن
عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
بسرع بمدينة ولي في رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة وامتقام له
الامر وكثرت جوعه وذلك في خلافة هارون الرشيد فيقال انه بعث إلى
عامله بالقيروان ابراهيم بن الاغلب فبعث إلى ادريس من اغتاله ومات
مسموماً وكانت ايامه خمس سنين وستة أشهر * وبسرع ولده ادريس
ابن ادريس وكان خلفه في بطن امه ولما كبر استقل بالامر وكانت له
عدة غزوات وهو الذي بنى مدينة فاس واسسها وصارت دار ملك الأدارسة
وتوفي سنة ثلث عشرة ومائتين وعمره ثلثون سنة * وتولى ابنه محمد بن
ادريس بن ادريس بعد وفاة ابيه وقسم البلاد بين اخوته وتوفي في ربيع
الاول سنة احدى وشرين ومائتين فكانت ايامه ثمانية اعوام * وقسم
بالامر بعده الامير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس وسنه يوم بويج
تسعة اعوام بوصية من ابيه لما يعرف فيه من الذكاء فسار بسيرة ابيه
وجده في اقامة الحق وتوفي في رجب سنة أربع وثلثين ومائتين فكانت
ايامه ثلث عشرة سنة * وعسس لاخته يحيى بن محمد بن ادريس
فسار بسيرة اجداده وكثرت العمارة في ايامه وقصده الناس من الافاق
وبنى في ايامه جامع القرويين بفاس ومات من كد اصابه على حادثة

جرت له بطول شرحها * وقام بالامر بعده الأمير علي بن عمر بن ادريس بعد وفاة ابن عمه وقام عليه عبد الرزاق الخارجي فاقتتل معه فانتهصر عبد الرزاق عليه وفر علي المذكور امامه وملك عبد الرزاق مدينة فاس فكتب اهل البلد الى يحيى بن القاسم بن ادريس فقتل عبد الرزاق واستقل بملك فاس وتم له الامر له ان يخرج لبعض اصداقه فمات * وضل ابن عمه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس وكان اطيهم ذكرا واقوام سلطانا وعدلا وكرما حازما بطلا ذا صلاح ودين ولم يزل على ملكه الى ايام مصالحة قائم الشيعة سنة خمس وثلاثمائة فحاصره بفاس بعد المدافعة وصالحه عن مائل وبايع لعبيد الله الشيعي * وفي سنة تسع وثلاثمائة عاد مصالحة للمغرب فسعى يحيى لمصالحة فارثقه بالحديد وعذبه وسبي امواله ونفاه الى مدينة اصيل واستولى على فاس ربيعان الحكاسي ثلثة اعوام وقام عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس سنة عشر وثلاثمائة ومات في قتاله ابن ابي العافية لما تغلب على مدينة فاس وخطب لبني مروان ولما قدم ميسور الفتي قائد الشيعة فر ابن ابي العافية وتبعه ميسور بن ميمون وكانت بينهما حروب الى ان قتل ابن ابي العافية ورجعت بنو ادريس الى غالب بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا بدعوة الشيعة * وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بكنون وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة * وتولى ولده اجد بن القاسم كنون وكان عالما فقيها وكان مائلا الى بني مروان فقطع دعوة العبيديين ودخل لاندرلس بقصد الجهاد فمات هناك سنة ثلث واربعين وثلاثمائة * وتولى اخوه الحسن بن كنون وهو آخر الادارسة ولا زال الامر لبني مروان الى ايام جوهر لما دخل المغرب فبايع الحسن لبني عبيد * ولما رجع جوهر الى افريقيّة فكث ورجع للهروانيين الى ايام بلكين عاد الى بني عبيد وعاخرة سلب ملكهم ومات شريدا وبم اتقرصت دولة الادارسة من المغرب * وايام ملكهم تقرب من مائتي سنة وبلادهم من سوس لاقصى الى وهران وقاعدة

ملكهم مدينة فاس وكانوا يكابدون ملكني هاشم وامية * وتمسكت
بعدهم يفرن وزنائة من بلاد المغرب وخطب بها للهروانيين والله اعلم
بذلك * واما الذين تم لهم الامر وبلغوا مبلغ الخلفاء هم الذين يقال لهم
المرابطون والمثعمون قبيلة من البربر يقال لها لمتونة ولتونة فخذ من صنهاجة
ولد عبد شمس بن وائل بن حير خلفهم افريش لما دخل المغرب فاستوطنوا
افريقية وصنهاجة وكنامته من دهاة البربر والبربر قبائل لا تحصى واكثرهم
صحراويون وبلادهم في القبلة مسيرة ستة اشهر طويلا واربعه اشهر عرضا ولا
يعرفون حرثا ولا زرا ولا فواكه وعيشتهم اللحم واللبن يقوم احدهم طول حياته
لا ياكل طعاما واكثرهم على السنة والجماعة * قلت والله اعلم هم الذين يقال
لهم التوارك في هذا الزمان ويجاهدون السودان * واول من تملك منهم
بالصحراء تيولقان ابن تيكلان ملك الصحراء باسرها ودانت له ملوك
السودان وادوا له الجزية وكان يركب في مائة الف نجيب وكان في
ايام عبد الرحمن الداخل ودامت ايامه وعاش ازيد من الثمانين وتوفي
سنة اثنيتين وعشرين ومائتين * وتسولى حفيدة لاقرين بن نصير بن
فلويومان فاقام بامر صنهاجة وتوفي سنة سبع وثمانين فكانت ايامه خمسا
وستين سنة * وقسم من بعده بامر صنهاجة نعيم بن لاثير الى ستة
ست وثلاثمائة فقام عليه اشياخ صنهاجة فقتلوه وتمزق شملهم ولم يجتمعوا
على احد نحو مائة سنة وعشرين سنة الى ان قام فيهم ابو عبد الله محمد بن
تيفارث اللثوني فاجتمعوا عليه وقدموه وكان من اهل الدين والفضل والصلاح
والحج فاقام ثلثة اصوام واستشهد بغارة وهم قبيلته من السودان على دين
اليهودية وقدموا بعده صهرة يحيى بن ابراهيم الكدالي فاقام على رياسته الى سنة
سبع وعشرين واربعمائة فارتحل الى الحج واستخلف مكانه ولده ابراهيم
ابن يحيى على قبائل صنهاجة يدبر حروبهم مع اعدائهم ولما قضى يحيى
حجه قفل الى المغرب فاجتاز بالقيروان فلقني فيها الشيخ الولي ابا عمران
موسى ابن ابي حجاج الفاسي يدرس العلم فجلس اليه وسمع منه فرأاه ابو

عمران صحبا للخير فساله عن حاله وعن بلاده فآخبره عنها وعن أهلها . فقال
وما ينتقلون من المذاهب فقال انهم قوم غلب عليهم الجهل فساله هل يعرف
شيئا من الكتاب والسنة فلم يجد منبده شيئا إلا انه حريص على التعلم صادق
النية فقال له الشيخ وما يمنعك من ذلك فقال يا سيدي غلب منا الجهل
وليس همدنا سن يرشدنا ولو وجدنا سن يعطينا السنة والقرآن لسارنا اليه
فان اردت الثواب فابعث معي من طلبتك سن يعطينا ولكم لاجر فانتدب
الشيخ طلبته فلم يجد فيهم احدا فقال الشيخ اني اعرف رجلا بسبلد نفيس
من المصامدة تقيا صالحا ثقيني هنا واخذ مني علوما كثيرة اسمه وهاج بن زلوا
العظيمي اكتب اليك كتابا اليه يبعث معك احدا من طلبته فكتب له الشيخ
كتابا فسار يحيى بن ابراهيم الى الشيخ وهاج ونلوه كتاب ابي عمران فانتدب
لذلك رجلا من طلبته يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي * وكان من
حذاق الطلبة ومن اهل الدين والعلم والصلاح فخرج مع يحيى الى بلاده فلما
وصلوا تلقاهم قبائل كدالة وفرحوا بهم . ولما نزل ابن ياسين وحل بساحتهم
راى المنكرات فاشية وان الرجل منهم يتزوج ما شاء من النساء فانكر عليهم
ذلك . وصار يعلمهم الكتاب والسنة وبيناهم عن المنكرات فلما شدد عليهم
تبرعوا منه ونافروه ومع ذلك لم يجد عندهم من الدين إلا الشهادتين . فلما
راى عبد الله بن ياسين امراضهم وتشبههم اهواءهم اراد ان يرتحل عنهم . فقال
له يحيى يا سيدي اننا جئنا بك لخاصة ننصي وما طلي من صل من قومي
ولكن ان كنت تريد لآخرة فهذه همدنا جزيرة في البحر اذا حصر الماء عنها
دخلنا اليها على الاقدام فيها الحلال المحض من الشجر والسمك فدخل اليها
وتعبد فيها الى الموت فقال له نعم فدخلها ودخل معها سبعة انفار من
كدالة وبنوا بها رابطة فاقام معه اصحابه يتعبدون فسمع الناس بهم
وبخبرهم وانهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكفر الواردون عليهم واخذ عبد
الله يعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويرغبهم في ثواب الله لى ان تمكن من
قلوبهم فسموا بالرابطين للازمهم رابطة ابن ياسين فلما اجتمع عنده الوف

رجل قام فيهم خطيبا ووعظهم وحذرهم عذاب الله وقال لهم لان يجب عليكم قتال من خالفكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال لهم اخرجوا لقبائلكم وادعهم الى التوبة فان استجابوا والّا فقاتلوهم فخرج بهم الى قبائلهم وانذرهم وحذرهم سبعة ايام فلم يرجعوا عن فيهم فقاتلوهم واول من قاتلوا منهم كدالة فقتل منهم خلق كثير واسلم الباقون ثم لتونة واخذ يغزوهم قبيلته بعد قبيلة الى ان هداهم الله واجتمعوا على الكتاب والسنة وما يجب عليهم وقسم في القتلى على المرابطين وجعل بيت مال على مقتضى الكتاب والسنة فتسامع به اهل الصحراء وانتشر عداه في بلاد السودان * وتوفي الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فقدم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللثوني ليقوم بحروبهم وابن ياسين هو الامير على الحقيقة يامر وينهى ولما قدم ابن ياسين يحيى وكان من اهل الدين والصلاح امره بجهاد العدو * ولما كانت سنة سبع واربعين واربعمئة بعث فقهائ سجلماسة ودرعة الى ابن ياسين يشكون اليه جور عاملهم فغزاهم فوجد عاملها قد استعد له فكانت بينهما حروب انتصر فيها المرابطون وغنموا غنما عظيما وقسمت الغنائم واخذ ابن ياسين الخمس ومهد البلاد وجعل عليها عاملا واطل المكوس وغير المنكرات ورجع الى الصحراء * ومات الامير يحيى فقدم عليه عبد الله ابن ياسين اخا الامير يحيى وهو الامير ابو بكر بن عمر اللثوني وكان صالحا متورعا فغزا بلاد المصامدة والسودان ففتح بلادا كثيرة * وبعث عبد الله بن ياسين العمال الى ما تحت يده وامرهم بالكتاب والسنة وغزا بالمرابطين مجوس بني غواطة وهم قبائل كثيرة على مذهب صالح بن طريف لما ادعى النبوة في زمن هشام بن عبد الملك وشرع لهم دينا وشرائع سخيفة لعنه الله تركناها خيفة التطويل فقتل بين الفريقين خلق كثير واستشهد عبد الله بن ياسين في تلك الحروب رحمه الله تعالى سنة احدى وخمسين واربعمئة * وكان رحمه تعالى شديد الورع لم ياكل من لحومهم وانما ياكل لحم الطير وكان ديننا حبرا رحمه الله تعالى * واستقل بالامر ابو بكر بن عمر اللثوني وتصادى

في غزوات بني غوطاة فقتلهم واستأصلهم ففروا بين يديهم للصحراء
 وتبعهم إلى أن احتوى عليهم وأسلموا إسلاماً جيداً * وكان أبو بكر ديناً
 لا يستحل دماء المسلمين فخرج إلى الصحراء لقتال من بها من كفار
 السودان واستخلف على المغرب عنه يوسف بن تاشفين فخرج أبو بكر
 للصحراء وبقي يوسف بن تاشفين بنصف الجيش يهدد البلاد واستقامت
 أموره وذلك سنة ثلث وخسين وأربعمئة وفتح غالب بلاد المغرب وكثرت
 جيوشه وثوفي الأمير أبو بكر في الصحراء شهيداً سنة ثمانين وأربعمئة *
 واستبد الأمير يوسف بملك المغرب كله لا ينازعه منازع ودانت له البلاد
 وكان على جانب عظيم من الدين ولباسه الصوف ولم يلتفت إلى زخرف
 الدنيا ولم يأكل إلا الشعير والبان الأبل ولحومها مع ما أعطاه الله من الملك
 ومملك جزيرة لاندلس والسودان والمغرب إلى جزائر بني مزغنة ولم يجر
 في بلاده مدة حياته مكس ولا ما هو خارج عن الشرع وخطب له على
 الف وتسعمائة منبر وبني مدينته مراكش وجعلها مستقراً للملك . ولما شاع
 ذكوره في الوجود بعث إليه أهل لاندلس لنصرتهم لأن عدو الدين تغلب
 على أهل الجزيرة وكان رسولهم المعتمد بن عباد فلقبه في أحواز طنجة فشكا
 إليه بحال أهل الجزيرة وما عليها من الخوف والذل فومده بالمسير إليهم
 وبسعت إلى جميع أعماله يرغبهم في الجهاد ويستفزههم معه فاجتمع له
 خلق عظيم ودخل إلى لاندلس بجيوش المرابطين بقصد الجهاد سنة تسع
 وسبعين وأربعمئة وكانت له بها الواقعة المشهورة بالرلاقة * وكان عدد
 سكر الفئس لعنه الله فيما نقل ثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل فلم
 ينج منهم إلا الفئس ومعهم أربعمئة منقلوب بالجراح ولم يدخل إلى بلد
 قسنالة إلا في خمسين فارساً وبعث يوسف إلى جميع البلاد بهذا الفتح وكان
 يوم الجمعة ثاني عشر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمئة وفيه يقول من قصيدة
 لم نعلم الروم إذ جاءت عصمت يوم العروبة أن اليوم للعرب
 والعرب تسمي يوم الجمعة العروبة وانصرف راجعاً إلى العدو ودخل إلى

لاندلس مرة اخرى في سنة احدى وثمانين واربعمائه فبقيت ابن عباد بالى دابته تحمل لليرة فعث في بلاد الكفرة وجرى وخرب ورجع الى العدو فاقام الى سنة ثلث وثمانين واربعمائه ثم دخل لاندلس ايضا برسم الجهاد فلم يلقه احد من رواده لاندلس وهما بغدرة فظن بهم وكان عاهددهم ان لا يغدر بهم * فلما احس بكرهم استفتى علماءهم فكلهم اثناء بخلهم اي خلع امراء لاندلس وقالوا ليوسف نحن خصماؤك عند الله لان هولاء لا تجوز طاعتهم لما ارتكبوه من التجور وانتهاك المحارم وصيعوا غالب البلاد فتغير عليهم يوسف وطلعهم واحدا بعد واحد واخذ ابن عباد اسيرا وسجنه في اعمات الى ان مات في السجن ويحكى ان يوم موته نودي عليه الصلاة على الغريب * وروي ان بعض بناته تغزل بالاجر في بيوت بعض خدامهم وابن ابنه يصرم النار في حانوت صائغ بعد ما سكتان ملكا على اشبيلية وقرطبة ودام ملكهم بها نحو ثمانين سنة فسحان سن لا بزول ملكه لا يسال عما يفعل وهم يسالون * ولما استولى المغرب والاندلس ليوسف ابن تاشفين تسمى بامير المسلمين وضرب الدرهم والدينار باسمه ونقش في الدينار - لا اله الا الله محمد رسول الله - وتحت ذلك - امير المسلمين يوسف بن تاشفين - وفي الوجه الاخر - ومن يستغ فير لا سلام ديننا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين الامير عبد الله امير المومنين العباسي ولا زال يبحث جيوشه الى لاندلس متفقدا لاحوالها الى ان مات سنة خمسائة وسمه مائة سنة رجه الله تعالى * واستقل بالامر بعده ابنه امير المومنين علي بن يوسف بن تاشفين ببيع بمواكش يوم وفاة ابيه اول المحرم سنة خمسائة وتسمى بامير المومنين وملك جميع بلاد المغرب من بجاية الى السوس الاقصى وبلاد القبلية من سجلماسة الى جبل الذهب من بلاد السودان وجميع بلاد لاندلس وملك ما لم يملكه ابيه وخطب له على الفئ منبر وثلثمائة منبر * واقام العدل وتولى الجهاد وسار سيرة ابيه وهديه وفوض احكام البلاد الى القضاة ودخل لاندلس سنة ثلث وخمسمائة

فأقام شهراً على طليطلة * وكان في عسكرة مائة ألف فارس ففتح عدة
 قلاع ونكى فيها الروم وفعل بهم العجائب ورجع إلى المغرب * ودخل
 إلى الأندلس مرة ثانية بجيوش لا تحصي فنزل على قرطبة ونفقدها
 وولى ابن رعد القضاة وغزا عرب الأندلس فسار أمام الروم وتحصنوا
 بقلاعهم وقتل وأمر منهم خلقاً كثيراً لا يحصى ورجع إلى العدو سنة
 أربع عشرة وخمسة مائة * وفي هذه السنة ظهر الإمام المهدي محمد بن
 تومرت ونازل مراکش وكسر عدة جيوش لعلي بن يوسف * ومسبب
 هذه السنة أخذ أمر المرابطين في التدهور ودامت أيام علي بن يوسف في
 حروب مع جيش المهدي إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين وخمسة مائة *
 وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بعد وفاة
 والده وجيز الجيش لقتال عبد المؤمن وكابد في دولته أهوالاً شاقة ولم
 يصف له الدهر بشيء لأن دولته عبد المؤمن في الأقبال ودولته انحلت في
 الأدبار ولم تكن له أخبار يذكر بها كمثل من تقدمه من أهل بيته إلى أن
 توفي رحمه الله وهو في مكافحة أعدائه * وهذه الدولة التونسية ويقال لها
 دولة المرابطين ودولة الملثمين أيضاً كانت من أجل الدول بالمغرب وملك
 من البلاد ما ذكرنا وما لم نذكره خشية الإطالة وصعدت دولاً كانت قبلها
 بالمغرب مثل مغراوة وبنو يفرن ملوك فاس ودولة القيام بالأندلس ويقال
 لهم ملوك الطوائف وكان بنو عباد وأمانه وأحسن أيامهم أيام يوسف بن
 تاشفين * ونأهيك أن أمام حضرة وهو الشيخ الأكمل صاحب العلوم النفيسة
 أبو حامد الغزالي كان عزم على دخول المغرب في أيام يوسف بن تاشفين
 فلما وصل الإسكندرية بلغه موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فرجع
 إلى المشرق هذا لما يسمع الشيخ عنه من الصلاح رحم الله الجميع آمين *
 وقسيل إنما حارب ملك لتوننة بدعاء الشيخ الغزالي وذلك في أيام علي
 ابن يوسف دخل كتاب أحياء علوم الدين للغزالي إلى المغرب وظهر عند
 الناس ورأوا فيه تشديداً فهجروه وانكروه علماء لتوننة لأنهم كانوا غير عالمين

بعلم الأصول فباتوا في الانكار فيه لى ان افهوا بحرقه وتمزيقها حيثما وجدوه وتطلبوه عند الناس فمن انكره حلقوه بالايمن العظيمة كالطلاق وغيره
 ولسنا باغ الشيخ الغزالي ذلك دعا عليهم فان قال مزق الله مثلهم وكان
 اذ ذلك في مجلسه محمد بن ثورث فقال على يدي يا سيدي فقال وعلى
 يديك فكان كذلك وانقضت دولتهم كعادة الدهر ما عز دولة إلا
 واعقبها بالقهر والملك لله وحده لا اله غيره ولا معبود سواه * ومسس
 الدول التي كانت بالمغرب الدولة الموحدية والخلافة المونية واصل مبداهها
 الامام المهدي واورثها عبد المؤمن بن علي وبنيه لى ان بلغت لبني
 حفص وانا اذكر طرفا من ذلك بعون الله سبحانه وتعالى * ذكر
 المورخون ان المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن
 خالد بن سلم بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن
 عطا بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن
 ابي طالب كرم الله وجهه * وقسيل هو دعي في هذا النسب ذكره ابن
 مطروح وقال هو رجل من المصامدة والله تعالى اعلم * واول امره كان
 متسقا مشتغلا بطلب العلم فرحل لى المشرق ولازم ابا حامد الغزالي
 ثلث سنين وحصل عليه علما عظيما * وكان ابو حامد اذا راي ابن ثورث
 يقول لا بد لهذا البربري من دولة فذكر بعض الطلبة لابن ثورث عقائده
 الشيخ واخبره ان ذلك عند الشيخ في كتاب له فلزم ابن ثورث ابا حامد لى
 ان اطاعه على ذلك فتغل لى المغرب سنة عشر وخمسة فما اجتاز ببلد إلا
 وغير فيه المنكر ويظهر الزهد في الدنيا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ويدرس العلم لى ان وصل لى افريقية والى المغرب وكان لوحد عصرة في
 علم الكلام فلما بلغ الى بجاية وقيل تلسان لتيد عبد الرحمن بن علي فانصاف
 لى خدمته واطاعه ابن ثورث على ما في مراده فبايعه على موازنته في الرخاء
 والشدة فلما وصل لى فاس قام يدرس العلم في بعض مساجدها لى سنة
 اربع عشرة وخمسة فارتحل عنها لى مراشش فمصد مسجدا يروي اليه

وصار يمشي في الأسواق ويغير المنكر ويكسر المزامير فبلغ ذلك لعلي بن يوسف
فامر باحضاره فرأى ثقافته فسأله عن فعله فقال له - أيها الملك إنما أنا
رجل فقير وشيوت منكراً وانت أولى بذلك لقد تركت عليه - ووعظته وحذره فلما
سمع لأمير علي مقالته جمع له الفقهاء وأشياخ المتونمة وأمرهم بمناظرته فابتكت
الجميع وكان الغالب عليهم علم الحديث وليس لهم علم بالأصول والأجدل
فلما ابتكتهم لبسوا عليه وقالوا هذا رجل خارجي فأمرة لأمير بالخروج من المدينة
فخرج إلى الجبانة وبني خيمته بين القبور وقعد فيها وأتته الطلبة يقرءون
عليه وكنشرت تلاميذه وامتلأت قلوبهم بحبته واعلم الخواص منهم بما
يريد واخذ يطعن في دولة المرابطين وانهم كفرة جسدون وأنه هو الامام
المهدي المنتظر فبايعه على ذلك ألف وخسمائة رجل فبلغ خبره إلى أمير
المسلمين علي بن يوسف فبعث إليه وقال له - اتق الله في نفسك ألم انهك
من هذا الجمع - فقال له - أيها لاسبر انا امتلئت امرك وسكنت بين القبور
فلا تسمع لاقوال المسلمين - فاعلظ له في القول وانتهزه ولما خرج من عنده قال
له وزيره - هذا الرجل لم يرد بك إلا شراً اقتله ولا فخلده في السجن وان
أبقيت منه ليسمعك طيلاً يسمع به في الخائفين واظن هذا هو صاحب
الدرهم المربع - فبدأ لأمير المسلمين فيه وارسل خلفه من يوثقه فسمع بعض
تلاميذه فأتى حتى قرب من المهدي ونادى برقيق صوته - يا موسى ان الملا
ياتمرون بك ليقتلوك - ففطن المهدي وخرج على وجهه إلى ان وصل
تيمال في شهر شوال سنة اربع عشرة وخسمائة فالحق به اصحابه العشرة
عبد المؤمن بن علي - وابو محمد البشير - وابو حفص عمرو بن يحيى
الهنثاني وهو جد الخنصيين الذين ملكوا تونس فيما بعد - وابو حفص
عمر بن علي - وسليمان بن خلوف - وابراهيم بن اسماعيل الهرجي -
وابو محمد عبد الواحد - وسوسى بن تمار - وابو يحيى بن نكيث -
هؤلاء هم السابقون لدعوته فبايعوه على الرخاء والشدة واقاموا بتيمال إلى
رجب سنة خمس عشرة وخسمائة فاجتمع عليه خلق كثير ولما رأى

ذلك اطهر امره وبإيعونه بيعته رضى * وأول تن بايعه اصحابه العشرة
ثم بايعه اصحاب تينمال وسائر القبائل فارسل من اصحابه الى البلاد
الفاصية ودعوا الناس لبيعتهم وذكروا لهم فضائله فدخل الناس في طاعته
واتوه من ككل فج عميق واعلمهم انه هو الامم المهدي المنتظر وجعل لهم
توحيداً بلسان البربر وسمى الذين دخلوا في طاعته الموحدين * ولا زال
يخضعهم بمكره الى ان تمكن من قلوبهم فاجتمع عنده ازيد من عشرين الفا
فخطب بهم وندبهم لجهاد متونته في ايعونه على الموت فانخبت عنهم عشرة
الاف وبعثهم الى مدينة اعماء فائصل الخبر باير المسلمين فبعث اليهم
جيشاً فهزموه اصحاب المهدي واتبعوهم بالسيف الى ان ادخلوهم مراکش
وانو بغنائهم فقسمت بين الموحدين . وانتشر خبر المهدي في جميع بلاد
المغرب والاندلس وقرطاج في قتال من خالفه وجبزه جيشاً آخر فحاصروا
مراكش ثلثة اعوام وارتحل عنها وذلك من سنة ست عشرة الى سنة ثمان
عشرة * ولما رجع الى تينمال استراح بها وخرج الى اعماء وسائر من خالفه
الى ان دانت له البلاد وبعث الى مراكش جيشاً آخر وقدم عليهم عبد
المومن بن علي وابا محمد البشير وجعل عبد المومن امام الصلاة فالتقى
بهم جيش امير المسلمين علي بن يوسف فهزموه الى ان ادخلوه مراکش
وغلق الابواب في وجوههم فحاصروه ثلثة ايام . ورجعوا الى تينمال فخرج
المهدي الى لتائنهم وفرح بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح ومدة
ملكهم واعلمهم انه يموت في تلك السنة ثم بدا به مرضه الذي مات فيه
وقدم عبد المومن للصلاة وتوفي في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وخمسائة
هذا ما يخص خبر المهدي ولو تشبعنا خبره لظال الكلام وانما اثبت بهذا القدر
ليشهد الامر الى دولته بني حنص . وللناس في اخبار المهدي مدة دواوين بين
مكتوبين ومختصرين ومقالين . والسهمدي متن مهد الملك لغيره وبآية بانهم
وشرة وكان حصروا فيما قيل عنه وفخذهاه ملثفين الى ركبته ولا يرتب
على الدابة الا متعرضاً والله اعلم بحقيقة امره واستخلف بعده عبد المومن .

الخسبر عن خلافة عبد المومن بن علي الكوفي الزناتي

هو ابو محمد عبد المومن بن علي الكوفي الزناتي كان ابوه نجارا يعمل النوايح
وعبد المومن نطلب العلم من صغره ولازم المساجد الى ان اتصل بالمهدي
فصم اليه لما اراد الله سبحانه به * بويج بعد وفاة المهدي بيعة خاصة
بايعه عشرة من اصحاب المهدي لما يعرفون من سجيته وتقديم المهدي
له في حياته * وبسويج البيعة العامة سنة ست وعشرين وخمسائة
ولم يتخلف عنه احد * وفي ايامه انقطعت دولة لمونة من المغرب واول
فتح بلاد نادلا خرج اليها من تينمال في ثلثين الفا من الموحدين ففتحها
وسجى ثم غزا درعة ففتحها وبلاد فزان وحياتة ولا زال يفتح بلدا بلدا وقبيلة
قبيلة ولم تنزل الحرب بينه وبين علي بن يوسف الى ان مات علي وتولى
بعده ولده تاشفين فقامت بينهما الحرب وجرت بينهما وقائع عديدة وسار
عبد المومن الى تلمسان فسبقه تاشفين اليها فاقى عبد المومن اليها وحاصره
بها وخلف جيشا عنها ورجل الى وهران فخرج تاشفين خلفه ليدرك
وهران فبات تاشفين في تلك الخطرة وفتح وهران واخذ تلمسان سنة اربعين
وخمسائة * وبعث الى الاندلس جيشا ففتحوا ما هنالك وبايعه اهل
الاندلس وملك مدينة فاس * وفي سنة احدى واربعين وخمسائة ملك
طنجة وفيها ملك مدينة مراكش * وفي سنة اثنين واربعين وفد اليه اهل
اشبيلية بالبيعة وفيهم ابو بكر بن العربي فسأله عبد المومن هل راى المهدي
عند الشيخ ابي حامد الغزالي قال ما لقيته ولكن سمعت به فقال له فما
كان ابو حامد يقول فيه قال كان يقول لا بد لهذا البربري ان يكون له
شان * وفي سنة ثلث واربعين وخمسائة دخل عبد المومن سجلماسة
واتن اهلها ورجع الى مراكش ثم غزا بني غواطة فهزموه ثم كانت الكرة عليهم
فاجال عليهم السيف حتى لم يبق منهم الا من لم يبلغ الحلم وقام عليه
اهل بيته وخلعوا طاعته وذلك براي القاضي عياض وبايعوا لابن غانية
فتحرك عبد المومن وقائل اصحاب ابن غانية وهزمهم فلما علم اهل بيته

كاتبوا عبد المؤمن وطلبوا منه الايمان فاسلمهم وعفا عنهم وعن القاضي عياض
وامره بسكنى مراکش وفيها فتحت مكناسة بعد محاصرتها سبعة اشهر
ودخلها بالسيف * وفيها فتحت قرطبة واخذها من يد المشركين ومدينة
جيان * وفي سنة اربع واربعين وخمسمائة اخذ مليانة * وفيها فتحت
مدينة بجاية ملك بني جاد بعد محاصرتها ونزل صاحبها بالامان فانه
ونقله باهله الى مراکش * قسست الذي اخذت منه بجاية
اسمه يحيى بن العزيز والذين ملكوا بجاية اولهم جاد بن يوسف بلكين
الذي تقدم ذكره عند ذكر صنهاجة وجاد هذا قام على ابن اخيه باديس
وكانت بينهم ملاحم واستقل بعد ذلك بالبلاد الغربية واتخذ بجاية دار
ملك فبقيت في يد بنيهم الى زمن عبد المؤمن واولهم جاد كما ذكرنا ثم
ابنه القائد بن جاد ثم ابنه الاخر محمد بن جاد ثم بلكين بن محمد بن جاد
ثم الناصر بن علاء الناس بن جاد ثم ولده المنصور بن الناصر ثم ولده
باديس بن المنصور بن الناصر ثم اخوه العزيز بن المنصور ثم ولده يحيى
ابن العزيز وهو اخر ملوك بني جاد وانقرضت دولتهم وملك عبد المؤمن
جميع ما بايديهم مثل بونة وجزائر بني مزغنة وهي مدينة الجزائر
اليوم وقسطينة وغيرها ورجع الى مراکش * وفي سنة احدى
وخسين وخمسمائة بايع له اهل غرناطة * وفي سنة ثلث وخسين
وخمسمائة تحرك امير المؤمنين عبد المؤمن بن علي من مدينة مراکش
وقصد افريقية بامم لا تحصي فوصل الزاب وبلاد افريقية فقتل من
عصى واتن من استاتن الى ان وصل مدينة تونس فحاصرها ثلثة ايام
وارتحل عنها وترك جيشا محاصرا لها وسار الى القيروان ففتحها وفتح سوسة
وصفاقس وارتحل الى المهدينة فحاصرها سبعة اشهر وصابق عليها برا وبحرا
ونصب عليها المجانيق وجعل قتالها نوبيا ليلا ونهارا حتى فتحها
وقتل خلقا كثيرا من النصارى الذين كانوا فيها ورد اليها صاحبها
الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي الذي اخذت منه المهدينة

وحسبنا لما ان فر منها قصد ابن عمه ابن حماد فلم يلقى عنده مراده وهم
بالتبص عليه ففر منه الى الجزائر واستوطنها الى ايام عبد المؤمن لما قصد
بلاد المغرب فاقبل به الحسن وبايعه وسار معه الى ان اخذ المهدي قوده
اليها وخطب له بها * وفتح مدينة تونس وخطب له بها وفتح
جميع بلاد افريقية من برقة الى تلمسان ولم يبق له منازع وقرى عماله
وقسماته * وقسبل فتح المهديت كان سنة خمس وخسين والله اعلم . وفيها
امر عبد المؤمن بن علي بتكسير بلاد افريقية من برقة الى السوس لاقصى
قولا وعرضا بالفراسخ والاميال واسقط الثلث من التكسير في مقابله الجبال
والانهار والسبخ وما بقي قسط عليه الخراج والزمن كل قبيلة قسطها من
الزرع والورق * وهو اول من احدث ذلك بالمغرب وارتحل عن
افريقية الى المغرب واخذ من كل قبيلة من عرب افريقية الفاء وادخلهم
الى المغرب بعيالتهم * وفي سنة ست وخسين وخسمائة جاز عبد المؤمن
من طنجة الى لاندلس متبرفا على احوال البلاد ورجع الى مراكش * وفي
سنة سبع وخسين وخسمائة امر بانشاء لاساطيل في جميع بلاد واران غزو
بلاد الروم برا وبحرا فاجتمع له قريب من سبعمائة قطعة وامر بصرب
السهام في جميع عمله فكان يعرب له منها في كل يوم عشرة قناطير *
واستجلب لاجناد والطوعة من سائر عمله يستفهم للجهاد فاجتمع له
عالم يجتمع لغيره من بلاد افريقية والمغرب والقبائل واجتمع له من
الموحدين وقبائل زناتة ومن العرب ازيد من ثلثمائة الف فارس ومن جيوش
الطبيعة ثمانون الف فارس ومائة الف راجل فصاقت بهم لارض * ولما
استوفت له الجنود وتطاولت اليه الوفود ابتداء المرض الذي توفي منه
في جهنم الاخرة سنة ثمان وخسين وخسمائة وصدرة ثلث وستون سنة
وقسبل اربع وستون وايسام خلافة ثلث وثلثون سنة وخمسة اشهر
فصهان الحبي الدائم الذي لا يموت ودفن بآزاء المهدي في تينمال *
وكان رحمه الله فقيها فصيحا عالما بالجدل والامول حافظا للحديث النسي

صلى الله عليه وسلم مشاركاً في علوم كثيرة الدينية والدنيوية وعلم البيان واللغة والأدب والتاريخ وعلم القراءات نافذ الرأي ذا حزم وسياسة وشجاعة وأقدام ميمون النقية لم يفتد بلداً إلا وفتحه * وكان سخياً كريماً لا يخلق محبا لأهل العلم مثوباً لهم ولم شعر جيد واعتدده بعض الشعراء وأظنه من بلد بنزرت بقصيدة أولها :

ما هز عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
فلمنا انشد بين يديه هذا البيت أشار إليه بالسكوت وأمر له بالثب
دينار * ولما عاد إليه من الغد انشده البيت المذكور فاسكتته وأمر له
بألف دينار * ولم يزل ينشده حكماً دخل عليه وأمر له بألف ألف أن
أوصله بأربعين ألفاً . فحسده بعض الشعراء وقال له - لك متى وما ياتك
من تغيير أخلاق أمير المؤمنين وقد أوصلك بما غير غناك - فارتحل من
قوره إلى بلده . وسأل عنه عبد المؤمن فأجبر برحيله فقال - لا حول ولا قوة
إلا بالله لقد ظن بنا غير ما أردناه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك - فعيل
له - لم لم نسمع تمام القصيدة - فقال عبد المؤمن - وما عني أن يقول
بعد قوله ما هز عطفه (البيت) رحم الله هذه النفوس لابية والأخلاق
الموصية ماتوا وذكرهم لم يمت سبحان الخبي الدائم الذي لا يموت *

الخبر عن خلافة يوسف

ابن عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي

ببرقع في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وخسين وخمسمائة
بعد وفاة أبيه وكان عاقلاً صالحاً مترففاً في سفك الدماء حسن السياسة
أخذ منهج أبيه وسار بسيرته واستنصر من الجيش ومهد البلاد وضخم
الملك * وكان ملكه من فاصية إفريقية إلى السوس الأقصى إلى بلاد القبلت
وبلاد لاندلس تجبى إليه خراجها دون مكس ولا جور فكثرت الأموال
وامنت الطرق وكان يتشدد أحوال مملكته لا يتكل على أحد من وزرائه *
وجساز إلى لاندلس سنة ست وستين متفقداً لأحوالها وأقام بها أربعة

اعوام وصخرة أشهر ورجع الى مراکش سنة احدى وسبعين * ودخل افريقية سنة خمس وسبعين لقيام ابن زيدي بقصته فنزل على قفصته وملكها وصلب صاحبها ابن زيدي وعاد الى مراکش * وفي سنة تسع وسبعين جاز الجواز الثاني الى لاندلس ونزل على شتتين غربي لاندلس فحاصرها حصارا قويا واستشهد هناك فحمل الى تينسال ودفن هنالك بجانب قبر ابيه * وتوفي سنة ثمانين وخمسائة وعمره سبع وأربعون سنة واقامته في الملك احدى وعشرون سنة وأشهر وقام بالامر بعده ولده يعقوب *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يعقوب

هو المنصور بالله بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان يعقوب هذا اجل ملوك الموحدين ذا رأي وحزم ودين محبا للعلماء ويحضر جنائزهم ويזורر الصالحين ويتبرك بهم علما بالمحدث واللمة مشاركا في علوم كثيرة مواظبا على الجهاد وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين وعلمته « الحمد لله وحده » وكانت ايامه زينة الدهر والامن في جميع عمله حتى ان الطغينة تخرج من برقة الى اخر المغرب ولا يتعرض لها احد وبنى المساجد في سائر عمله والمؤسسات للبرى واجرى لهم الارزاق * وخالفت عليه مدينه قفصه فوصل اليها سنة ثلث وثمانين وفتحها * وغزا عرب افريقية فهزمهم واستباح اموالهم ونقلهم الى المغرب ورجع الى مراکش دار ملكه * وفي سنة خمس وثمانين جاز الى لاندلس فنازل اشترين واشبونة فنكا فيهما وسبي من النساء والذرية ثلثة عشر لفا ورجع الى العدو ونزل مدينه فاس فاتمه لاخبار ان الميورقي قام بافريقية فرحل عن فاس ودخل افريقية ونزل على تونس فوجد الاصول ساكنة والميورقي فر امامه الى الصحراء حين سمع بقدم امير المؤمنين يعقوب المنصور * فسالت ذكر ابن الشماخ رحمه الله الميورقي ولم يستوفه من حقه وها انا اذكرة هنا لاتمام الفائدة : هو علي بن اسحاق بن جوية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة وياسته ثلث جزر في البحر

توفي أبوه اسحاق سنة ثمانين وخمسة مائة وخلاف اولادا ، فعلي هذا ويحيى
أخوه خرجا الى افريقية وصنعا العجائب بها وأخوهما محمد خدم دولة الموحدين
وأخوهم عبد الله وهو اصغرهم، ملك ميورقة وعصى الناصر بن المنصور
فتحرك اليه لما دخل افريقية سنة اثنيتين وستمائة * وحاصر الناصر
ميورقة فمات عبد الله بن اسحاق في تلك الحروب فحمل رأسه الى مراکش
وعاقت جثته على سور ميورقة ولم تزل ميورقة في يد المسلمين الى سنة
سبع وعشرين وستمائة اخذها عدو الدين كما اخذ غيرها اعادها الله للاسلام
بمنه وكرمه * وأما علي فإنه عاث بافريقية عند اشتغال امير المؤمنين يعقوب
المنصور ببلاد كاندلس فلما سمع به تحرك اليه في هذه السنة ففر امامه
ولما رجع امير المؤمنين الى المغرب رجع الميورقي الى افريقية وملك الهدية
وتونس وصنف عماله على تونس والزم اهلها مائة الف دينار ولم يزل متماديا
على حاله في الفساد حتى تحرك اليه الناصر بن المنصور وكانت له
وقعات وحروب وسياتي بقية خبره عند ذكر الناصر * وكان الميورقي
شجاعا مقداما وتوفي سنة ثلث وثلثين وستمائة في زمن بني حفص ذكوة
غير ابن الشماع * ولما فر الميورقي الى الصحراء رجع امير المؤمنين يعقوب
المنصور الى المغرب بعد ما سكن احوال افريقية ودخل تلمسان واصابه
مرض ورحل عنها ودخل فاسا فاقام بها حتى عوفي ورجع الى مراکش
فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخمسة مائة فيها اتصلت به الاخبار ان
الفتش عاث في بلاد المسلمين ولم يصدده احد وانتم الفرصة في غيبته
ومرضه أي فيبته الخليفة المنصور وفعل بالمسلمين الاوابد واستحوذ على اكثر
معاقلهم فانقلب المنصور جيوشه من الموحدين والاعزاز والطوعة والمرتزقة
وقصد الجواز الى كاندلس فارسل اليه الصراني كتابا يقول فيه - مس
ملك الصرانية الى امير الخنيفة اما بعد فان كنت عجزت عن الحركة
علينا وثناقلت عن الوصول الينا فابعث الي مراكب من عندك اجوز فيها
بجيشي اليك فان هزمتني فهديتة جاءت الى بين يديك وانت امير

المومنين وان كانت لي عليك مكنت انا صاحب المئين والسلام -
فلمّا قرأه اخذته الغيرة لاسلامية ورمى بالكتاب الى ولده وبي عهده *
فاجاب على ظهرو الكتاب بتوقيع يده « ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل
لهم بها ولنخرجهم منها اذلتهم وهم صاغرون * فسر المنصور بهذا الجواب
ودخل لاندلس سنة احدى وتسعين وخمسة * وكانت له على الروم
نصرة عظيمة قتل فيها منهم ما لا يحصى وكان النفس لعنه الله انضم
اليه من جميع الاجناس حتى قيل كان معه ثلثمائة الف ما بين راجل
وفارس فهزمهم الله ونصر المسلمين ودخلوا حصن لاراك الذي سميت به
الواقعة واخذوا منه ما لا يعلم قدرة الا الله ومن لاسارى اربعة وعشرين
الفا فكن عليهم امير المومنين يعقوب المنصور واطلهم * واستشهد من
المسلمين من كتبت له السعادة والذي سبقت له الحسنى وزيادة * ومات
فيها الشيخ يحيى بن ابي حفص جد الحفصاة وكان من اكبر قواده وزعمائه
وكانت تحتها اخت الخليفة المنصور بالله وكانت هذه الغزوة العظمى
تاسع شعبان من السنة المذكورة وهي اعظم غزوة على ايدي الموحدين . وقسم
الغنائم وكتب بالفتح الى جميع البلاد واقام باشبيلية الى سنة اثنتين
وتسعين وخمسة خرج الى غزواته الثانية وفتح قلعة رباح وادي
الحجارة ومقاتل كثيرة * وحاصر طليطلة واحرق رباطاتها ونصب عليها
الجانيق ثم ارتحل منها الى سلنكة فدخلها بالسيف وقتل رجالها ونساءها
ورجع الى حضرة ملكه مراکش واخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر
واجلسه في حياته مجلس الخلافة * ولما استوفى الامر لولده دخل
المنصور الى قصره فلزمه وبدأ فيه المرض الذي مات به في الثاني
والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسة بتصبه مراکش *
وقد قيل انه تفسف وزهد في الدنيا وارتحل الى المشرق ومات هناك
راشداً ، لشام مقرر هذا الخبر عند عانتهم والله اعلم * وكان رحمه الله اجل
ملوك الموحدين وابعدهم صيتاً واحسنهم في جميع الامور له الهمة العالية

والسيرة المحسنة والدين المثين والرأي الصائب * ويحسكي انذاره
لبعض عماله لينظر له رجلاً لتناديب اولاده فبعث العامل له برجلين وكتب
معهما كتاباً يقول فيه - قد بعثت اليك رجلين احدهما بحرف في علمه والاخر
ير في دينه - فلما امتكنهما لم يرصياه فوقع على ظهر كتاب العامل - ظهر
الفساد في البر والبحر - وجه الله وعفا عنه بمنه وكرمه والبقاء لله لا
رب غيره ولا معبود سواه *

الحسبر عن خلافة امير المؤمنين محمد الناصر

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح
في حياة والده وجددت له البيعة يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي
فيها والده وتم له الامر وتعاطى تدير الامور بيده وخرج الى مدينة فاس
وبنى اسوارها وقصبتها ، وجسأتمه الاخبار ان البيورقي غلب على اكثر بلاد
افريقية واخذ المهديّة وصيق على اهل تونس والزهم مائة الف دينار وقد
مر عانفا فرحل من مراكش سنة ثمان وتسعين ولسا وصل الى جزائر
بني مؤنفة امر بانشاء اساطيل واخذ في تجهيز العساكر الى ميورقة ففتحها
وقتل صاحبها عبد الله بن اسحاق وفر اخوه يحيى وتخل الصحراء *
ووصل الناصر الى افريقية فاطاعه كل من عصى عليه ما عدا المهديّة
لان العامل بها من قبل البيورقي وكان شهياً صاحب دهاء فحاصره بها
وانصب عليها المجانيق فلما رأى العامل ان لا طاقة له بمقتال الناصر ركن
الى الصلح فصالحه وعفا عنه وكان فتحها سنة احدى وستماتة * وفي
سنة اثنتين وستماتة اراد الناصر الرجوع الى المغرب فخطى على افريقية
الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص ومن يوهذ استنوت
قدم بني حفص بافريقية وجعل الشيخ ابو محمد عبد الواحد تونس دار الامارة
الى يومنا هذا جعلها الله مدينة اسلام الى يوم الدين * ومن هنا نشرق
في ذكر بني حفص لان هذه الحوادث التي ذكرناها انما هي تمهيد لما سيأتي
من اخبار الحضرة العلية وليعلم الناظر في هذا المجموع ضخامة البلاد

الافريقية ولكن نائي ببقية اخبار الخلفاء لانعام الفأئدة ونرجع للذي
 قصدناه عائدین ولا بد للذي من الصلوة والعائد * ولما تمكن الشيخ
 عبد الواحد من البلاد رحل الناصر الى المغرب فوصل الى مراکش سنة
 خمس وستائة * وفي سنة ست جاءتة الاخبار من لاندلس ان الفتن
 ملكة بيوتة وتغلب عليها فكتب الناصر الى سائر عمله واستفز الناس
 للجهاد وخرج من مراکش سنة سبع وستائة فوصل اشبيلية واهتزت بلاد
 لاندلس لخبرة * فدخل الرعب في قلب عدو الله فطلب الصلح وبعث
 ارساله يطلب من امير المومنين ان يصل بين يديه ويحكمه في نفسه
 وماله * فاذن له في الوصول الى حضرته وكتب الى جميع عماله ان تن
 اجتاز به الفتن يصيفه ثلثا ويسكف من عسكرة الف فارس فما وصل
 مدينة قرمونة الا ومعهم الف فارس فمسكت هنالك فقال لعاملها - كيف
 يكون حسري وحدي - فقال - تسير في ذمام امير المومنين - فسار في
 خدمه ومعهم زوجته وقلم بين يديه هديته واحضر معه الكتاب الذي
 كان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني الاصفري وبقي محفوظا عندهم الى
 تلك المدة واظنهم الى الان موجودا * ولقد رآه بعض ارسال بني حفص
 في ايام دولتهم واخبر بانهم قرأه وهو باق عندهم ويعترفون بركته * ولما
 وصل الفتن الى الناصر اكرمه واعطاه صاجا تاما وكتب له بذلك - ما
 دامت دولة الموحدين - عوصرفه الى بلاده * وارحل الناصر الى قشتالية
 فحصرها ستة اشهر ودخل الشتاء وقت الميرة وغلت الاسعار فانهز عدو
 الله الفرصة وجمع من كل النصرانية جيشا وكبس به عسكر المسلمين على
 حين غلته ففر عسكر لاندلس اولا وعادت الكسرة على المسلمين فهزموا
 واتبعهم عدو الله وفادى ان لا اسارى الا القليل فلم ينسج من المسلمين الا
 القليل وكاد الناصر ان يقع بايديهم لولا لطف الله به * ومن هذه الكسرة
 لم ترفع للمسلمين بالاندلس راية الى زمان يعقوب المريني وهذه الواقعة
 يسميها اهل السير بالعقاب * ولما رجع الناصر الى العدة ودخل مراکش

أخذ البيعة لولده يوسف وتلقب بالمنصور وانصرفت الناصر على ذلك
على أن توفي سنة عشر وستمائة ومن هنا أخذت دولة الموحدين في
الانحلال وقام بالامر بعده ولده يوسف *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين يوسف المنصور

هو ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن
علي قام بالامر بعد أبيه فقرب الأراذل وأبعد مشائخ الموحدين فكانت لا
تنفذ أوامره وأخذت دولة الموحدين في الأدبار وظهرت دولة بني مرين
في أيامه سنة ثلث عشرة وستمائة وبعث المنصور جيشا لقتالهم فكان
الظهور لبني مرين واستباحوا سكر الموحدين * وكان يميل إلى الراحة
فكانت لا تنفذ أوامره عند عماله وكان مغرب بنتاج البقر فدخل ذات
يوم بين البقر فقصدت إليه بقرة شرودة فعضرت به في بطنه فمات من
ساعته وكانت أيام ملكه عشر سنين وأربعة أشهر وذلك سنة عشر
وستمائة والملك لله وحده * ولما مات اتفق أشياخ الموحدين على مبايعته
أبي محمد عبد الواحد *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد

هو ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويغ ثالث عشر ذي الحجة
سنة عشرين وستمائة وهو في سن الشيخوخة وكان صالحا مشورا فاستقام
له الأمر شهرين ثم اضطربت أحواله وقام عليه أبو محمد العادل وكان
في مرسية فأخذ البيعة لنفسه وكتب إلى أخيه أبي العلي وكان بأشبيلية
يدعوه إلى بيعته فاجابه وبعث إلى أشياخ الموحدين الذين بمراكش والعدوة
فاستمالهم بعد ما ومدهم بجزيل العطاء فاتفقوا على مبايعته ودخلوا على الخليفة
عبد الواحد فطالبوه بخلع نفسه وتهديدوه بالقتل فاجابهم فادخلوا عليه
القاضي والشهود فاشهدهم على خلعهم وأنه بايع لأبي محمد العادل * وبعد
أيام دخلوا عليه فخنقوه وأنتهبوا قصوره وكان أول مخلوع من بني عبد المؤمن
وانفتح باب الفتن بين الموحدين وصاروا كالإثراك بالعراق * وكانت

ايام خلافته ثمانية اشهر وتسعة ايام * وقسم بالامر بعده ابو محمد عبد الله
ولقبه العادل باحكام الله *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين عبد الله

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن علي بويج
بهوسية في صفر سنة احدى وعشرين وستمائة وتم له الامر في شعبان بعد
خروج عبد الواحد ورجع من لاندلس الى حضرة مراکش وفوض امر
لاندلس الى اخيه ابي العلاء الملقب فيما بعد بالمأمون فاقام على طاعة
اخي له سنة اربع وعشرين وستمائة فنكث بيعته العادل ودعا الناس
لمبايعته فاجابوه وتلقب بالمأمون وكتب الى اشياخ الموحدين بمراكش
واستمالهم فاجابوه فدخلوا على العادل وخنقوه بعمامته حتى مات في شوال
سنة اربع وعشرين وستمائة وكانت خلافته ثلث سنين وشهرين وكتبوا
يعتصموا بالمأمون ابي العلاء ادريس وبعثوا بها على البريد ثم ندموا وخافوا
منه لما يعرفون من شهامته فرجعوا وبايعوا يحيى بن الناصر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يحيى

هو ابن محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن
ابن علي لقبه المعتصم بالله بويج في الثاني والعشرين من شوال سنة
اربع وعشرين وستمائة وامتنع من مبايعه كثير من الناس لمبايعتهم المأمون
ووقع لذلك فتن في البلاد واضطربت الاحوال وكثرت المحن وغلت
الاسعار وكثر الخوف واتصل الخبر ان المأمون بويج له بالاندلس وانه
يهاجر اليها الى مدينة سبتة * فلما علم يحيى بذلك وراى اختلاف
الموحدين عليهم بمراكش فرس الى جبل درن ثم رجع الى مراکش فاقام
سبعة ايام ثم هرب ثانياً وكانت بينه وبين المأمون حروب انهزم فيها
يحيى ولم يزل شرعياً الى ان مات سنة ثلث وثلثين في ايام الرشيد
وسباني خيرة ووجد الموحدون البيعة للمأمون في اخر جادى الاخيرة سنة
ست وعشرين وستمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المأمون

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان فصيح اللسان ضابطاً للحديث الشريف حسن الصوت والنبوة عالماً بالعربية واللغة والاداب وايام الناس سالكا في امور الدنيا والدين وكان حازماً شجاعاً وهو اول من ادخل الصاري الى مراكش استنصر بهم ودخل معه اثنا عشر الف نصراني * ولما حل بمراكش سعد المنبر وخطب الناس وسب مهديهم وقبح مذهبه ومذهب من تبعه ومحا اسمه من الدراهم ومن الخطبة وقال لا تدعوه بالهدي واشياء يطول شرحها وكتب بذلك الى كافي وقاتل اشياخ الموحدين لاجل نكبتهم البيعة ولم يبق منهم احد وكان جات القتل اربعة آلاف وستمائة. وكتب لعالمه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقام عليه اخوه بالاندلس وكثرت عليه المحن وتوالت عليه الهموم فمات رحمه الله * وكانت ايام خلافته ثلاث سنين وستة اشهر وفي ايامه استولت الروم على جزيرة صيرقة وبوبع ولده عبد الواحد وتلقب بالرشيد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين الرشيد

هو عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بوبع اول المحرم سنة ثنتين وستمائة وعمره اربع عشرة سنة فاقام بمراكش الى سنة ثلث وثنتين فقتل جلته من اشياخ الخاط فقاموا عليه وحاربوه فانصر عليهم بعد ما نهبوا مراكش وهرب ورجع الى حصرتهم ولم يزل في شتات الى ان وافاه جانه غريفا في صهر يوم الخميس تاسع جمادى الاخرة سنة اربعين وستمائة وايام خلافته خمسة اعوام وخمس اشهر وايام وسكان في زمانه وباء وفلاة مشردا بحيث انه بلغ قفيز التمح ثمانين دينارا * وفي ايامه استبد ابو زكرياء يحيى بالامارة في مدينة تونس وام يتسم بامير المؤمنين وتغلبت بنو مرين على اكثر بلاد المغرب وقام بالامر بعده ابو الحسن السعيد *

الخسبر عن خلافة امير المؤمنين المعتضد

هو ابو الحسن علي بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي تسمى بالمعتضد بالله ولقب بالسعيد ببيع يوم وفاة اخيه الرشيد بمراكش عاشر جمادى الاخرة سنة اربعين وستمائة * وفي ايامه مكث جمع بني مرين وارسل اليهم الجيوش فكانت الدائرة لبني مرين وخرج سنة ثلث واربعين بنفسه في جمع عظيم واخذ البيعة على الامير ابي يحيى بن عبد الحق المريني وجاءه الخبر في هذه السنة بان المعتضد تسمى بامير المؤمنين احتقارا لدولته فازعم للخروج بنفسه والتقى ببني مرين وكانت بينهما وقعت وحارب ابن زيان القائم بتلمسان وفر امامه الى بعض القلاع فتبعه السعيد وحاصره بها ثلثة ايام وخرج السعيد في الهجرة يتجسس عن احوال القلاع وكيف الحيلة في اخذها فمكن له ثلثة نفر على حين غفلة فقتلهم احدثهم وقتل وزيرة معه ونهب ابن زيان جميع ما كان في محله وحملت جثته فدفنت خارج تلمسان وكانت وفاته يوم الثلاثاء احر صفر سنة ست واربعين وستمائة وببيع بمراكش المرتضى *

الخسبر عن خلافة امير المؤمنين المرتضى

هو ابو حفص عمر بن الامير اسحاق بن امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي ببيع بعد موت السعيد فقد له البيعة برباط الفتح وارتحل الى مراکش واخذ البيعة عن اهلها واستقام له الامر من مدينة سلا الى مدينة السوس وكان يدعي الزهد والورع ويحب السماع وكانت ايامه ايام هباء ورخاء مفوط ما سمع به مثله * وخرج سنة ثلث وخمسين في ثمانين الفاً الى قنقال بني مرين فلما قرب من مدينة فاس وكان خوف بني مرين خامر قلوبهم انطلق فوس لبعض العسكر فجرى صاحبه في الثرة فظنوا ان العدو قد ذهبهم فانهم من العسكر لا يلوي احد عن احد واتصل الخبر بالامير يحيى بن عبد الحق فخرج واحتوى على جميع محله وسار المرتضى الى مراکش في ثمر يسير فاقام بها الى ان دخل عليه

أبو دبوس فاعتلمه أواخر المحرم سنة خمس وستين وستمائة فمكثت أيام
خلافته تسع عشرة سنة إلا أياما وتولى بعده الواثق أبو دبوس *
الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي دبوس

هو إدريس بن الرشيد أبي حفص بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن
علي كان شجاعا مقداما وسبب تملكه مراكش كان المرتضى فقم
عليه أشياء فحافى منه وهرب إلى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق
المريني منتصرا به فالغاه بمدينة فاس فاصكروا مشواه وأمانه بالمال والرجال
وأنفق معه أن يعطي لبني عبد الحق النصف فيما يغلب عليه من البلاد
فلما تمكن من مراكش ودخلها على حين غفلة وفر أمامه المرتضى واستقل
بالامر كتب إليه الأمير يعقوب يهنيه ويطلب منه الشروط الذي بينهما
فقال للرسول - قل لأبي عبد الرحمن يختم الفرصة ويقنع بما في يديه
والأية بجنود لا قبل له بها - فلما وصل الخبر إلى يعقوب المريني
شن عن بلاده الغارات وجهاز له الجيوش * وفي سنة سبع وستين خرج
أمير المسلمين يعقوب المريني بنفسه فالتقى معه أبو دبوس ببلاد دكالة
فكانت بينهما حروب قتل فيها أبو دبوس وجيء برأسه إلى يعقوب بن
عبد الحق فبعثه إلى مدينة فاس وطيف به هناك وانتهب محلاته *
وكان قتله في آخر ذي الحجة سنة سبع وستين وستمائة وبه انقضت
دولة بني عبد المؤمن * وكان ابتداء أمرهم من المهدي بن تومرت سنة
خمس عشرة وخسمائة وانقضت بابي دبوس سنة سبع وستين وستمائة *
وملوك بني عبد المؤمن أربع عشرة خليفة - وانتقلت بلاد المغرب إلى
حكم بني مرين - والاندلس إلى الثوار من الطوائف - وأفريقية إلى
بني حفص - والله يرث لأرض وسن عليها وهو خير الوارثين :

الفصل الثاني

فيمن تولى من بني حفص في البلاد لأفريقية
وهنا أنا أذكر بعض سيرتهم والعمدة في ذلك على ما نقله ابن السمع

ولاكن فاني به مختصرا لئلا تذهب ديباجتهم ويظن المتامل اني غرت عليه ونزلت ساحته وربما فاني بما ليس فيه واذكرة وانبه عليه ان شاء الله تعالى وبه المستعان وعايه التكلان . فاقول وبالله التوفيق : -
اول سن تملك من بني حفص المولى ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن عليته بن احمد بن والال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافق بن محمد بن نجبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه كذا قيد نسبه ابن السماع * قلت هذا النسب غارق في انساب البربر والعرب كانت تائف عن التزويج منهم وبخصوصا قريشا والله اعلم بحقيقة ذلك . ولاجل هذا النسب الشريف خطب لهم بامير المؤمنين والناس صدقون في انسابهم والشيخ ابو حفص من قبيلة هنتات من قبائل المصامدة وهنتات اكثرها جمعا وهم القائمون بدعوة المهدي بن توموت والسابقون اليها وابو حفص احد العشرة الذين بايعوا المهدي وقد سبق خبره * ولما دخل الناصر بن المنصور افريقية عند تغلب بن غانية عليها وهزمه الناصر وطرده واسترجع المهدية ورجع الى تونس واقام بها حولا واراد الرجوع الى المغرب اراد ان يرلي بافريقية سن يقوم مقامه فوقم اختياره على المولى عبد الواحد فولاه عليها بعد تمنع وشروط شرطها عليه ووفى له الناصر بها فرفعت رايته بين الموحدين ورحل الناصر الى المغرب وفارقه المولى عبد الواحد من باجة ورجع الى حاضرة تونس فتعد مقعد لامارة بقميتها وذلك يوم السبت عاشر شوال سنة ثلث وستائة وكان وجه الله تعالى عالما فاصلا ذكيا فطنا شجاعا محسنا وهو الذي اخترع زمام النصر في بتونس للوفرد وكتان يجلس يوم السبت للظفر في مسائل الناس ومدحه بعض الفضلاء بصيغة تدل على فضله ومها :

وماذا على المداح ان يمدحوا به وفيك خصال ليس تحصر بالعد
نهارك في تدبير ما يصلح الورد وليلك مقسوم على الذكر والورد

ودخل عليه الامام ابو محمد عبد السلام البرجيني من تلامذة الامام النوري وكان تحت جبة منه فقال له المولى عبد الواحد - كيف جالك يا فقيه - فقال - في عبادة - فقال له المولى عبد الواحد - تعرضها ان شاء الله بالشكر - قال ابن بختيل كاتب المولى عبد الواحد - لم نفهم ما اراد فسالت المولى عن ذلك فقال - اراد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - انظار الفرج بالصبر عبادة - وهذا يدل على ذكائهم رحمة الله عليهم وتوفي يوم الخميس اول الحرم عام ثمانية عشر وستمائة وايام دولته اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر * ودفن بالقصبة وقبرة يزار ويتبرك به وبالقرب من تربته مغارة كان يتعبد فيها * فنسبت وتربت له يومنا هذا مشهورة داخل القصبة ونا توفي رحمه الله قدم ولده المولى ابو زيد ثم طلع له المغرب هو واخوته ثم وصل له تونس ابو محمد عبد الله بن المولى عبد الواحد من قبل العادل بن المنصور ومع اخوه ابو زكرياء يحيى سنة ثمان عشرة * وقدم المولى ابو زكرياء على مدينة قابس من قبل اخيه ابي محمد عبد الله ثم وقع بينهما اختلاف فخرج المولى عبد الله له قتال اخيه ابي زكرياء فخالف عليه الموحدون وابوا قتال اخيه فرجع لتونس واستقر بها ثم بعد ذلك تجرأ ابو زكرياء له تونس فملكها ووجه اخاه في البحر له مدينة اشبيلية من بلاد لاندلس واستقر قدم المولى ابي زكرياء في الامارة *

الحسبر عن خلافة امير المؤمنين يحيى

هو المولى ابو زكرياء يحيى بن المولى ابي محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن المولى ابي حفص عمر الهشاني ولد بمراكش سنة ثمان وتسعين وخمسائة ويومع بالقيروان في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة وحدث له البيعة يوم وصوله لتونس في الرابع والعشرين من رجب المذكور * وفي سنة اربع وثلاثين بويع البيعة الثانية وذكر اسمه في الخطبة ولم يتسم بامير المؤمنين واقتصر على الامير وعرض له بعض الشعراء بقوله من قصيدة بحرضه فيها وهو قوله :

الأصل بالأمير المؤمنين فانت بها احق العالمين

فجزيرة ولم يقبل وذلك في أيام الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور عند اضطراب المغرب فاستبد أبو زكرياء بأفريقية * وفي سنة خمس وثلثين وستمائة وصلت إليه بيعة زيان بن مرديشن صاحب شاطبة ورسوله أبو عبد الله محمد الأبار وأنشده قصيدته السيئة الفريدة التي منها *

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل لى منجانها درسا

وفي سنة تسع وثلثين تحركت إلى مدينة طلسان ففتحها وكان معه من الجيش أربع وستون ألف فارس * وفي سنة أربعين وصلت إليه بيعة سبته وبيعة الريت * وفي سنة ثلث وأربعين وصلت إليه بيعة اشيلية والريته وغرناطة ووصل وفدهم لتونس وقوتت بيعتهم على الناس وكان رحمة الله عليه من الصالحين والعلماء العاملين ختم على الشيخ الرعيني السوسي كتاب المستصفا للغزالي وغيره من الكتب المفيدة وناظر في النحو على ابن منصور وكان فقيها أديبا وكان معدودا في العلماء والشعراء وكان مختصرا في لباسه ومركوبه وكان يلبس جبة الصوف وحرام الصوف * ونقل من ابن القصار ان المولى أبا زكرياء استدعى بعض وزرائه من باب الصوف بعد انفصال مجلسه والعادة عنده ان تن استدعاه من ذلك المكان انما يستدعيه للتعويبة قال الوزير فلما استدعيت ادخل بي بابا بابا إلى ان انتهيت إلى باب قبة الخليفة فوجدته جالسا على كرسي من خشب وبجده ابرة وهو يرقع ثوبه فسلمت عليه فامرني بالجلوس واذا بخادم قد أتى بمائدة مغطاة فلما رفع عن المائدة فاذا بها طعام واحد ورثيف خبز غير قني فاكل واكلمت معه فلما فرغ قال لي انصرف بسلام فخرجت ووقعت هندي حيرة فاخبرت بذلك بعض اصدقاء لي فقال وما صنعت قلت لا شيء إلا اني لما دخلت عليه نظرتني شزرا فقال لي دخلت عليه في ثيابك هذه قلت نعم قال لي من هنا اتى عليك تراه اخبرك ان كسوته المرقعة واكله الخشن من الطعام فان انت انتهيت عن فعلك ولباسك

النشاب الرفيعة وإلا لا تلوتن إلا نفسك * قسنت رحم الله هذه الروح
الزكية . وهو الذي بنى الجامع بالقصبة وبني صومعته العجيبة وهي
باقية إلى يومنا هذا ولها شكل عجيب واسمه منقوش عليها وكانت قبل اليوم
بارزة ينظر إليها المآر بها ويقرا ما هو مكتوب عليها وقد حيل بينها ببناء
سور أكثرها ولم يبق منها إلا مقدار نصفها وانسرت رونقها على الناظر وكان
بناؤها سنة تسع وعشرين وستمائة وبني مصلى العيدين * قسسست
هو الذي يقال له جامع السلطان من ناحية المراكض وكذلك بنى المدرسة
التي بطرف سوق الشماعين * قسسست سوق الشماعين يعمل فيه
السبايط في يومنا هذا وبني سوق الطارين وحضر مدينة تونس وجعلت
دولته من رؤساء العلماء والشعراء وأهل الصلاح عالم يجتمع لغيره ورجع
بعده وسياسته أموالا لا تحصى إلا بالبيت والبيت عبارة عن الف
الف وخلف سبعة عشر بيتا من المال ومن الكتب سنة وثلثين ألف مجلد
وفي سنة سبع وأربعين تحركت إلى المغرب فمات هناك ودفن بجامع
بونة ونقل بعد ذلك قسطينة وكانت وفاته أواخر جمادى الآخرة وهو ابن
تسع وأربعين سنة ودولته اثنتان وعشرون سنة وتولت من الأولاد الذكور
أربعة وهم محمد المستنصر وأبو اسحاق وأبو بكر وأبو حفص عمر * ويقال
أن في هذه السنة توفي الملك الصالح ابن أيوب صاحب مصر وكان دينيا
عفيفا والملك المنصور بن رسول صاحب اليمن والامبرطور صاحب مقلية
عظيم النصرانية والفنس لأحول عظيم النصرانية بالاندلس فكانوا يرون
أن هذا ملك الدنيا ماتوا في سنة واحدة فسبحان من لا يزول ملكه *

الخبر عن خلافة الأمير المولى أبي عبد الله محمد

هو ابن المولى أبي زكرياء بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي
بكر بن المولى أبي حفص عمر بويج صبيحة الليلة التي توفي فيها والده
يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة
وعمره اثنتان وعشرون سنة أمه أم ولد اسمها عطف وهي التي أموت ببناء

جامع التوفيق والمدرسنة التوفيقية * قسّمت المدرسة التوفيقية اندرست
 * انارها وكانت قبالة زاوية الشيخ الزليجي * وفي سنة ثمان واربعين
 نصبت المقصورة بجامع الموحدين وفيها بنيت السقاية التي شرقي جامع
 الزيتون وفيها جعلت الشكّلة لليهود وبولغ في مذلّتهم * وفي سنة احدى
 وخسين بنيت قبة المجلس وبنيت الممشى الى راس الطابية * وفي
 سنة ثنتين وخسين وصلت بيعة بني مريين من مدينة فاس ودعي له على
 منابرها * وفي سنة سبع وخسين وصلت بيعة مكة بانشاء عبد الحق
 ابن سبعين وقدرت على الناس فعند ذلك تسمى بامير الموحنين ولقب
 بالمستنصر بالله وكان قبل ذلك يدعى بالامير فقط ونصب للنصاء في الاحكام
 الشرعية ابا عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي المعروف بابن الخباز من
 اهل العلم والورع وكان المستنصر يقول - ما يسألني الله عن امر الامة بعد
 ان قدمت عليهم ابن الخباز * وفي عام ستة وستين اكمل المستنصر بناء
 الخناية التي كان يجري عليها الماء الى مدينة قرطاجنة في الزنن الاول
 فاصلح ما فسد منها واحياها واجرى عليها الماء من ميون زغوان وجعل قطعة
 من الماء الى سقاية جامع الزيتون وبقي الماء الى جنة ابي فهر * قلت
 هي التي يعبر عنها في زماننا بالبطوم ولم يبق من ذلك الا القسقية وبقيت
 خرائب والله يرث الارض وتنت عليها وهو خير الوارثين * وفي هذه السنة
 تهركت الى بني رباح ومسلت جماعة من روسائهم وضربت اعناقهم وبعث
 الى تونس برؤوسهم على الرواح * وفي سنة ثمان وستين وستمائة في ذي
 القعدة نازل الافرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرسانا ورجالا وكانت
 بينهم وبين المسلمين حروب مات فيها خلق كثير من الفريقين ومدة
 اقامتهم اربعة اشهر وصلة ايام * وفي عاشر المحرم سنة تسع وستين مات
 ظاهيتهم قيل ان السلطان بعث اليه بسيف مسموم وقيل مات حتى
 انه * وارسل الله وباء على جيشه فمات عدد كثير وطلبوا الصلح
 فصالحهم السلطان على الانصراف من غير تعرض لجهة من جهات المسلمين

على أن يدفع لهم الف قنطار ومائة قنطار وحشرة قنطير من الفضة
والهدنة خمسة عشر عاما قسم الصلح * وكان رحمه الله لم يخص
القتالهم وإنما يمدهم بالجيش وسبب خزل الفرنسيس تونس قيل أنه
ذكر يوما بحضرة المستنصر فخرج من جانبها وقال هو الذي أسره هؤلاء
وأطلقوه يشير إلى الأتراك الذين كانوا بين يديه وكان استخدم منهم جماعة
فبلغت هذه المقاتلة الفرنسيس فحقد لها وهزم على غزو تونس * وبسبب
علم المستنصر بذلك طلب منه المهادنة فامتنع وأعطى للرسول وعزم على أخذ
تونس فجعل الله هلاكهم بها ومن غريب الاتفاق لما نزل تونس قال أحمد
أدبائها الشعراء :

يا فرنسيس هذه الخث مصر فتبها لما إليه تصسير

لك فيها دار ابن لثمان قبر وطواشيك منكر ونكير

فصدقت لأفكار قوله ومات بأرض العائمة وقبر بنا وهذه الآيات يشير
فيها باللمح إلى ما سبق له بأرض مصر سنة سبع وأربعين وستمائة فرل على
مدينة ذرياط وملكها ومدة إقامته بها تسعة أشهر وذلك في زمن السلطان الكامل
ابن أيوب فتمكنه الله منه فأخذته وجاعته من قواميسه وحمل على جعل
ووجهه إلى خلف وطيف به وسجن في دار ابن لثمان ويكنى بطواشي
اسمه صبيح ففقد نفسه بقنطير من الذهب وحلف أن لا يطأ أرض المسلمين
فلما رجع إلى بلاده عزم على العودة إلى الديار المصرية ونكث العهود بنفسه
الحديثة فلما علم به صاحب مصر كتب له رقعة من أنشاء كمال الدين بن
مطروح وبعضها مع رسوله وفيها قصيدة بلغت فلما ورد الرسول على الفرنسيس
استجاسه فابى أن يجلس وأنشده وهو قائم بين يديه *

قل للفرنسيس إذا جئتسه مثل صدق من قول فصيح

أثيت مصر تبغي ملكها تظن أن الدين بأطل ربح

منها :

وقل لهم أن ازمعوا عودة لاخذ نار أو لفعل قبسبح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باقى والطراشي صبيح
وهي طوبلة ذكرها المتريزي وذكر ابن الشماخ عدة ابيات منها والقصبة
في غير ما موضع مشهورة * فسلما سمع المقالة ذلت نفسه على العودة الى
مصر واراد ان ياخذ ثاره من تونس فدمره الله تعالى وكان فزوانه على تونس
سببا لا تلتفى الاموال التي تركها المولى ابو زكرياء والتي جمعها ولده المستنصر
ففرقت على الاجناد والرفود والاعراب وتوفي المستنصر بالله في الحادي عشر
من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة وعمره خمسون سنة فكانت
خلافتهم ثمانين وعشرين عاما وخمسة اشهر واحد عشر يوما رحمة الله عليهم
وتولى بعده ولده المولى ابو زكرياء يحيى ولقب بالوائقي وخلع فيما بعد *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي زكرياء يحيى الواثق

هو ابن المستنصر بالله امير المؤمنين ابن المولى امير المؤمنين ابي
زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن عمر بويج صبيحة اليوم
الذي توفي فيه والده * ولما ولي سرح المسجونين وامر برفع المظالم واحراق
ازمة المودات وبالنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد واحسن الى
المجدد وكان غير ناهض باعباء الملك وغلب على امره ابن الغافقي وكان
ابن الغافقي كثير الاعجاب مفرط في التعسف والكبر مشغلا بالبناء والالات
الملاهي واقتناء الاثاث ولا يحسن شيئا من سياسة الملك والرعية فادى
ذلك الى فساد الملك فخرج عليه عمه ابو اسحاق ابراهيم وكان مقبلا
بالاندلس لما فر في زمن اخيه المستنصر خيفة على نفسه واقام بها زمانا
وكان اخوه المستنصر بهادي صاحب لاندلس لاسماك اخيه عنده فلما
مات اخوه وتولى ولده ابو زكرياء ولم يكن له ولا لکن بين يديه معرفة
بالامور حاز المولى ابو اسحاق الى المغرب وقصد افريقية فملكها واتى الى
تونس في غرة ربيع الثاني وصار على المولى ابي زكرياء فجمع نفسه
لعمه وسلم له الامر فكانت مدة خلافتهم ستين وثلاثة اشهر وعشرين يوما
وخرج من القصبية وسكن بدار الغوري بسوق الكتبيين الى ان مات

في هفون سنة تسع وسبعين بعد ما اقتتل ومات مسجوناً رحمه الله عليه *
الخمسبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي إسحاق إبراهيم
هسرو ابن المولى أبي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن أبي
بكر بن أبي حفص عمر بويح بتونس غرة ربيع الأخير سنة ثمان وسبعين
وستمائة وكان ملكاً شجاعاً وفيه غلظة ويغيب عن مجاسه لانه ودانت
له افريقية * وفي سنة ثمانين وستمائة بعث ولده المولى عبد الواحد
لجباية الوطن واخذ مال هواره فلما بلغ القيروان بلغه ان مرعم بن صابر
الرباهي معه قائم يدعي انه الفضل بن الوائلي فكتب الى ابيه
بذلك * وفي سنة احدى وثمانين عظم امر الدي وملك قابس واحتوى
على اكثر البلاد فاخرج الخليفة اليه جيشاً من تونس امر ابيه ولده ابا
زكرياء فنزل القيروان ونزل الدي فمودة فانسل غالب العسكر الى الدي
ولم يبق مع المولى زكرياء إلا قليل فرجع الى تونس واخبر ابا فخرج
ابوه الخليفة بنفسه في شوال من السنة المذكورة بجيش عظيم واخرج
من الدروع والسيوف ما جل على تسعين بغلاً ونزل بالمحمدية فلم يقن
شي من ذلك وفر عنه اكثر عسكره الى الدي ونهب جمع ما كان معه
هناك فرجع الى تونس واخرج نساً واولاده ورحل الى المغرب * ولما
وصل بجاية لقيده ولده ابو فارس وكان عادلا يها فخلع الخليفة نفسه لولده ابي
فارس وتاقب بالمعهد وتجهز للنسأ الدي وتركت والده بجباية واشفى
المعهد والدي بوطاة فاهت سنان فخانت انصار المعهد فاخذ وقتل ونهبت
امواله * ولما سب سبع ابوه اخرج هاربا فادركه اهل بجاية فاخذوه
وانوا به الى الدي فقتله في تاسع عشر ربيع الاول سنة اثنين وثمانين
وستمائة فكانت مدته ثلثة اعوام وستة اشهر وستة وعشرين يوماً ولما ولده
المولى ابو زكرياء الى بلاد المغرب والدي هذا هو احمد بن مرزوق بن ابي
عملرة المسيلي مولده بها ونشا بجباية وكان محترفا بحرفة الخياطة حامل
الذكر الا انه كان يتطور وخالط السحرة ويؤمن انه يحيل المعادن الى

الذهب بالصناعة وتغلب في البلاد له ان وصل الى طرابلس وصحب
 نصيرا مولى الواثق ابن المستنصر فلما رآه تبين له في شبه من مولاة فاخذ
 نصير يبكي ويقبل قدميه فقال له الدعي فما خبرك فتص عليه خبر مولاة
 فقال له صدقتي وانا اخذ بشار مولاك فاقبل نصير على امرآء العرب
 واخبرهم بانهم ابن مولاة فصدقوه وانته بسببهم وزعم انه الفصل بن الواثق
 ابن المستنصر فكان من امره ان خطب له على منابر افرقيته وكان
 سفكا للدماء خسيما فاجرا كذابا ولم تكن له منقبة غير انه رفع النزول
 من اهل تونس وبقي جامعاً خارج باب البحر للخطبة * ولبس ثعدي
 في جورة وكذب مته الناس ومقته جنده وظهر المولى ابو حفص بن المولى ابي
 زكريا وكان مختفيا في البادية والناس عليه الناس فجاء لتونس وحاصر
 الدعي وانكشف سره فابقن بالهلاك وفر بنفسه الى دار فران اندلسي
 قرب حمام زرقون فذلت عليه امرأة فاحيط به وضرب اسواط فاعترف
 بتدائسه وبسبه وشهد عليه الناس بحضور القاضي ثم طيف به على حمار
 ثم قطع راسه فكانت مدته بتونس سنته ونصفا غير ثلثة ايام وذلك
 اواخر ربيع الاخير سنة ثمان وثمانين ومستمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي حفص هـ

هو ابن المولى ابي زكريا يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر
 ابن الشيخ ابي حفص عمر بويج يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر
 ربيع الاخير من السنة المذكورة وكان ملكا عافلا كريما لم تحدث منه
 عقوبة لاحد وكان له اعتقاد في العمالين وخصوصا في الشيخ الولي الصالح
 ابي محمد المرحاني وبهظم العلماء والصالحاء وبمرهم ولم ينزل على اكل الحلات
 الى اخر عمره وايامه ايام عدل وامن وحماة * ولما اصابه المرض الذي توفي
 منه عهد له ولده عبد الله فلم ترخصه اشياخ السيد بن اصف سنة فاستشار
 ولي الله الشيخ المرحاني فاشار عليه بتولية ابي عبد الله محمد ابي تصيدة
 فقبل اشارة الشيخ وانفذ بعهدة اليه وتوفي اواخر ذي الحجة سنة اربع

وتسعين وستمائة فكانت خلافته احد عشر يوما وثمانية اشهر واوله من
العمر اثنان وخمسون سنة وقام بالامر بعدة المولى ابو عبيدة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي عبد الله محمد ابي عبيدة

هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي
زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص هو
يبيع اواخر ذي الحجة سنة اربع وتسعين وستمائة وبسبب تسميته بابي
عبيدة لما قتل والده واخوته هربت اهدى جواريه وقد اشتملت منه على
حل وانت رباط الشيخ المرجاني فوجدته هناك وعق عنه الشيخ واطعم
المخراة عبيدة الخطبة وسماه محمدا وكناه بابي عبيدة فبقيت له ذمة مع
الشيخ وكانت ايامه ايام هدنة وعافية وسلم لا حرب غرست فيها الغراسات
وبنيت الابراج وامتدت الامال كل ذلك ببركة الشيخ المرجاني وتلقب
بالمستنصر بالله وكانت خلافته اربع عشرة سنة وثمانية اشهر وستة عشر
يوما ولازمه مرض الاستسقاء فمات منه في عاشر ربيع الاخير سنة تسع
وسبعمائة ولم يخلف اباءة فارصى الى ابي يحيى ابي بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر الشهيد

هو ابن الامير عبد الرحمن بن الامير ابي بكر بن المولى ابي زكرياء يحيى
ابن الخليفة المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد
الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص هو يبيع يوم وفاة المولى ابي
عبيدة لانه كان تحت كفه فانام ثمانية ايام وتحرك اليه المولى ابو البقاء
خالد من بلد قسطينة فخرج المولى ابو بكر بعلمه والنقى مع ابي البقاء
خالد فانهم جبروا ورجع هو هاربا الى القصبه ووقف بالصبخة ووطن
ان لا جراد ناحت فلم يجتمع له احد فوق ساعة وانصرف فاجتق وقبض
عليه فقتل وبذلك سمي شهيدا وكانت مدته ستة عشر يوما *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي البناء خالد

هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى ابي اسحاق ابراهيم

ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر كان عاملاً في بلد الغناب وقسطينة بعد وفاة والده ابي زكرياء وكان يضع تاج الملك على راسه ويركب بغلة عالية * ولسا حل بتونس انصرف على لذاته ولهوه وترك سياسة الملك فقام عليه ابو يحيى زكرياء ابن اللحيماني وقفل من المشرق * ولسا حل بطرابلس وراى اضطراب افريقية طلب الملك فبريع بطرابلس وانضم اليه اولاد ابي الليل فبعثهم في مقدمته مع شيخ دولته محمد المزدوري فوصل لتونس اول جادى لاولى سنة احدى عشرة وسبع مائة فاجتمع القاضي ابن عبد الرافع بالسلطان ابي البقاء خالد وحرصه على الدفاع عن سلطنته ففكر اللقاء واعتذر بالمرض واشهد على نفسه بالانخلاع عن الامر فدخل ابو عبد الله المزدوري القصبية واخذ البيعة عن المولى خالد ومن معه من الاجناد وقتل بعد ذلك ويوع المولى ابو يحيى ابن اللحيماني وكانت ولايته عامين وستة اشهر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابن اللحيماني

هو زكرياء ابن الامير ابي العباس احمد بن الشيخ ابي عبد الله محمد اللحيماني ابن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر اخذ له البيعة حين دولته المزدوري واقبل هو بعد ذلك ثاني رجب من السنة المذكورة يعني سنة احدى عشرة ونزل المحمدية وجددت له البيعة هناك ودخل لرأس الطابية ومرض الجند واسقط من لم يكن ثابتاً وكانت له مشاركة في العلم والادب وقد طعن في السن وكبر وسان لامور وجر بها وتحرك عليه المولى ابو يحيى ابو بكر من النخور الغربية فعلم ان ليس له طاقة على لقائه واضطربت عليه البلاد فجمع الاموال والذخائر وباع كل ما في القصر والكتب التي جمعها ابو زكرياء بيعت في الوراقين وجمع نحو عشرين قنطاراً من الذهب سوى الفضة والدر وغير ذلك وخرج على قاهس ثم الى طرابلس وكانت مدته الى ان يويج ولده ابو حسنة

سنة اعرام وثلاثة اشهر ونصف وقام بعده المولى ابو صريرة وكان الامير ابو عبد
الله محمد ابن اللحياني عرف بابي صريرة مسجوناً عند قاضي الوقت لجنابة
فاغلق وتبها للعاء المولى ابي بكر وكان حزة بن عمرو بن ابي الليل من بطانة
ابن اللحياني واخوه مع ابي بكر فدرس اليه ان يجفل بالعسكر فاخذل
عسكر السلطان ابي بكر ورجع الى قسطنطينة ودخل ابو صريرة لتونس
سنة سبع عشرة وسبع مائة في مستشفى شعبان ويبيع بالمحصرة وتلقب
بالمستنصر ولم تطل ايامه واعاد عليه الكرة المولى ابو بكر فهرب ابو صريرة
الى المهديّة وتحصن بها وبلغ خبره الى ابيه بطرابلس فبعث اساطيل الى
المهديّة فحمل ماله واهله وسافر الى مصر وذلك في ايام الملك محمد بن قلاوون
فاكرمه وكانت مدة ابي صريرة ثمانينة اشهر وثلاثة ايام واستولى على
تونس المولى ابو يحيى ابو بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابي بكر

هو ابن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي اسحاق ابراهيم بن المولى ابي
زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد المستنصر بن المولى ابي زكرياء بن
المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر يبيع في الثامن
عشر من ربيع الاول سنة ثمان وسبع مائة وكان رجلاً شجاعاً جليل الصورة
كامل القامة محبوباً عند الخاص والعام ولا يولي قاصياً حتى يشهد فيه بالخبر
وكان قاضي ابن عبد السلام وقد تعرض له في بعض احكامه القائد ابن
الحكيم فاغلق القاضي بابه وامتنع من الحكم فانتبه له السلطان وقال
له نطالبك بين يدي الله ان توجه لاحد على ولدي حتى وتركته وكان
يحب الشرفاء ويكرههم وكان جده ابو اسحاق انتبه في زمان الموحدين *
ولمسا تولى المولى ابو بكر حوزم الرباع وملكهم اياها فاقسموها بينهم
وكانت له وقعة مع بني عبد المؤمن وسافر عن تونس عدة مرات وهزم
العرب وفك رقاب اسيانهم ودانت له البلاد وتلقب بالثور على الله * وفي
يامه فتح قائده ابن الحكيم المهديّة وكانت في طاعة اللحياني وولده

من بعده فتحت سنة تسع وثلاثين * وفي سنة ثلث وأربعين نزل العرب على تونس ولم يتخلف منهم احد وانما سبعة ايام ثم ارتحلوا وخرج السلطان في اثرهم وهزمهم هزيمة شنيعة على رقالة ورجع الى حصرتة وهرب له ابن تافراجين وقبض على فائده محمد بن الحكيم وعذبه بالسياط واخذ جميع امواله * وقسيل ان الذهب الذي اخذ منه وزنه خمسون فنطارا سوى النصفه والجوهر والياقوت ومائة وستين قنينة من الربع وقتله بعد ذلك وكان بتونس في مدته ازيد من سبعمائة حانوت للعطارة وكان يصنع جونس كل يوم اربعة آلاف قنينة من القمح التي تبتل والى تطحن والى تعربل والى تعجن وزعت البلاد في ايامه وطالت ايامه الى سنة سبع وأربعين فدخل عليه هلال شهر رجب على مادة قنينة الحنطرة وهو في رياسته بابي فهر فلما قرأه قال - لا اله الا الله دخل رجب - وكررها مرارا ثم قام وتطهر واغسل الثوبية واخبرتن معه انه يموت في رجب ثم ركب واخرق الاسواق ودخل القنينة ولم تظهر به زيادة ثم حك بكشفه فخرجت له حبة صغيرة اخذته منها الحمى ثم توفي ثاني يوم الشهر وكان عين ولده ابا العباس للخلافة وكان ببلاد الجريد وبهية اولاده في الاعمال ولم يبق بين يديه الا ولده ابو حفص عمر فجلس بعده للخلافة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي حفص عمر

هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي اسحاق ابراهيم بن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد المستنصر بن المولى ابي زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر الهذلي بويج يوم موت والده ثاني رجب وام بانث الى عهد ابيه لاختيه ابي العباس وذلك بانارة ابن تافراجين فلما بلغ الخبر لابن العباس حمد ابي رزدي في الحنطرة وخرج المولى عبد المستنصر الى لنائمه مع اخيه والبربردين فهدى السعي الجمعان متخص ابن تافراجين ورجع الى تونس واخذ ذخائره وفر الى المغرب وكر السلطان عمر الى

تونس وبعد هرب الى باجة ودخل ابو العباس البلد واقام بها سبعة ايام وبعد
سبعة ايام رجع الى صر من باجة ودخل الحاضرة عند الفجر فخرج ابو
العباس هاربا على وجهه لا يدري اين يذهب وقامت العامة على من بها
من العرب فلم يفلت إلا القليل منهم وابو حفص عمر زاد خطبة يسابعة
في جامع سيدي يحيى السليمانى وكان يقال من علامته خراب تونس
سبع خطب تكون بها * قسلت اليوم بها ثلث عشرة خطبة والعلم
عند الله * واقام الولى عمر الى ان تحرك عليه ابو الحسن المريني فهرب
من تونس فادركه طلب المريني عند قابس فقتل هنالك وكانت ايامه
بتونس عشرة اشهر وثلاثة عشر يوما ومات سنة ثمان واربعين وسبع مائة
وانتقل الامر الى بني مرين *

الخبر عن خلافة الامير ابي الحسن المريني

هو علي بن الامير ابي سعيد عثمان بن الامير ابي يوسف يعقوب بن
عبد الحق المريني ونذكر نبذة من نسبهم لزيادة الفائدة . بنو مرين فخذ من
زناتة والنسابون مختلفون في نسبهم ولكن يجتمع نسبهم في قيس غيلان
وتناكحوا في البربر * وكانتم قبائل البربر يجاورون العرب في مساكنهم
وتفرقوا في زمن داود عليه السلام لما قتل ملكهم جالوت ففرقوا ايدي سبا
واثنا المغرب * فسيهم تن سكن المجهال . ومنهم تن سكن المهادر . ومنهم
تن تم على حاله ولازم البراري على عادة العرب * وبنو مرين كانوا يسكنون
بلاد القبلة من زاب افريقية وينتقلون من مكان الى مكان وجل اموالهم
الابل والخيول وطعامهم اللحم والتمر ودخلوا بلاد المغرب سنة عشر وستمائة مثل
ما دخلت لتونة فوجدوا البلاد خالية وملوك الموحدين اختلفت اراهم
فشوا الغارات وقطعوا الطريق فبعث اليهم المنتصر من بني عبد المؤمن
جيشا فهزموا واخذوا ما فيه واستفحل امرهم وهابهم الناس ولا زال امر بني
مرين ينمو الى ان ملكوا بلاد المغرب والاندرلس وكان ملكهم بمدينة تلمسان
واول تن تملك منهم الامير ابو محمد عبد الحق بن خالد بن يحيى بن ابي

بكر بن جانه بن محمد الزناتي المريني ويحيى بن خالد شهد غزوة لاراك مع يعقوب المنصور واستشهد هنالك وبعد الحق كان من اهل الصلاح والخير يسرد الصوم كثير الذكرك والتسبيح ولا ياكل إلا الحلال من لحوم ابله وغمه وقدتمه مرين على تديورها ومساعدة القدر وتوارث الملك من بعده بنوه الاربع - ابو سعيد عثمان - وابو معروف محمد بن عبد الحق - وابو بكر بن عبد الحق - ويعقوب بن عبد الحق * ويعقوب هذا دخل لاندلس نحو عشر مرات ونكا المشركين وفعل بهم العجائب وجاهد في الله حق جهاده وله في ذلك اخبار عجيبة اختصرناها خوف الاطالة وكانوا سلاطين المغرب وتسدوا بامراء المسلمين كما كانت لتينة وقرضوا دولته بني عبد المؤمن من المغرب وخطبوا لبني حفص في اول الامر ثم استقلوا بالملك له ان اخذ الملك منهم الشرفاء وملكوا مدينة فاس ومراكش ولم يبق منهم احد في يومنا هذا * ولسترجع له خبر ابي الحسن وتملكه البلاد الافريقية والسبب فيه ان ابن تافراجين لما فر الى المغرب وفد على ابي الحسن المريني واستخبره على ملك افريقية فتحرك من المغرب واجتمعت عليه الاعراب واخذ بجباية وقسطينة وانزل صالمة فيهما وملك افريقية ومحا رسوم الموحدين ودخل تونس بجيوش لا تحصي وشرع في بناء مدينة فوق سيجوم سماها المنصورة لسكنى جيشه فان المدينة لم تسعهم * وقبيل بايعه بتونس خمسون سلطانا في يوم واحد من بني عبد الواحد والاندلس وغيرها * ولما تملك البلاد منع العرب من اعطياتهم ومنعهم الاطاعات فغضبوا عليه وشنوا الغارات في جميع البلاد فخرج اليهم والتقى بهم قرب القيروان فانخذل صكرة وفر هو الى القيروان هاربا فاخذوا محلاته بها فيها وحاصروه بالقيروان ومعه ابن تافراجين وذلك سنة تسع واربعين وكانت العرب تليل له ابن تافراجين فطلبوه من السلطان ليتفقوا معه على الصلح فلما خرج اليهم قلده حجابته سلطانهم المسمى بابي دبوس واسمه احمد بن عثمان بن ابي دبوس من بني عبد المؤمن كان مستترا في بلد توزر فدلهم

عليه تن عرفه فتصبره للخلافة وتوجه ابو ذبوس وابن تافراجين لتونس
وحاصروا قصبتها ورموا عليها بالمجانيق من ربح العلم سعد وكان بالقصبة
ولاد السلطان وماله ورجاله * وفي اثناء ذلك داخل السلطان ابو الحسن
بعض العرب من اولاد مهلهل ان يفرجوا عنه من الحصار على مال اشترطوه
عليه فوفى لهم به واسروا به الى سوسة وركب منها في البحر وقدم الى
تونس * ولما سمع ابن تافراجين ركب البحر وفر الى الاسكندرية
في ربيع سنة تسع واربعين فلما فقدوا اصحابه تشتت جمعهم ورحلوا عن
تونس فخرج اولياء السلطان من القصبته وملكوا تونس واقبل السلطان ابو
الحسن في ربيع الاخير من السنة المذكورة وانتصت عليه افرقيته واشتد
الغلاء حتى بيع قفيز القمح بمائة دينار * فسلت لا حول ولا قوة الا
بالله كيف عد اهل تونس هذا القدر عندهم غلاء ورو شادوا ما عيناه
لعدوه من الخسنى لانا شاهدناه اضعاف ذلك * وكثر الرباء حتى انتهى
عدد الاموات الف شخص كل يوم وفيه مات القاضي ابن عبد السلام والفقير
العابد سيدي يحيى السلماني وتحرك المولى ابو العباس لاخذ تونس *
وفي اثناء ذلك باع السلطان ابا الحسن المريني ان ابنه ابا عثمان استقل
بملك المغرب لانه سمع بوفاته بالقيروان وقت حصاره بها وشهد له
بذلك جماعة فاقام نفسه في سلطنة المغرب * ولما سمع به حيا بعث لجمع
عالمه ان يصدوا اياه عند توجهه وخرج ابو الحسن من تونس وركب
البحر وتوجه للمغرب وخلف بتونس ولدة الفضل سلك ان ازوجه منها ابو
العباس المفضي فالحق بالمغرب وخبره اكثر من هذا تركناه للاختصار *
وسكانت مدة السلطان ابي الحسن بافرقيته الى ان خرج عنها ولدة الفضل
ع احر ذي القعدة سنة خمسين وسبعماية عامين وستة اشهر وخمسة عشر يوما
ورجع ملك افرقيته الى بني حفص وملكها المولى ابو العباس *
الحسبر من خلافة الامير المولى ابي العباس الفضل
هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن المولى ابي زكرياء بن ابراهيم

ابن ابي زكرياء يحيى بن محمد المستنصر بن ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص عمر الهشاشي بوبع اول ذي الحجة سنة خمسين وسبعماية * ولما ملك تونس ركن الى الراحة والهدوء واحتوت العرب على دولته وكان صاحبها احمد بن عتو قد شاركته العرب في الديوان ورحبة الطعام والماشية واخذوا البرطيل على تولية اليهود وزوج ابو العباس الفضل اخيه لابي الليل بن حمزة رجاء بن بطول ملكه ولم يسبقه احد لذلك ويابى الله الا ما يريد * ورجسح الحاجب ابن تافراجين من المشرق هو والشيخ عمر بن حمزة فاتفق ابن حمزة مع اخوته على ادخال ابن تافراجين لتونس * وبغوا له ابي العباس الفضل فقال لا سبيل له ادخاله فبعثوا اليه صل الينا نتحدث معك فخرج مع جماعة له فقبضوا عليه وعلى اصحابه الذين معه وجردوا واخذت دوابهم ودخل ابن تافراجين لتونس واخرج المولى ابا اسحاق ابراهيم واجلسه مجلس الخلافة وقتل المولى ابو العباس باخر جادى لارلى سنة احدى وخمسين وسبعماية فكانت مدته خمسة اشهر واربعة عشر يوماً *

الخمسبر عن خلافة لامير ابي اسحاق ابراهيم المستنصر

هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن عبد الرحمن بن ابي يحيى زكرياء بن محمد المستنصر بن ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر جلس مجلس الخلافة بعد اخيه * واستوزر ابن تافراجين فقام بتدبير دولته وعلت همة ابن تافراجين له ان سلم عليه بسلام الملوك واستخلص قواعد البلد من ايدي العرب وهي بلاد قرطاجنة والقيروان وسوسة وباجة وتبرسى والاريس وجعلها بايدي خدامه واستبد بالجمابي الداخلة والخارجة وشرع في بناء السور الذي يحيط بارباع تونس وحبس عليه نصف خراج الارض ونصف كراء المعاصر التي بداخله لاصلاح ما يفتقر منه * وفي سنة خمس وخمسين اخذ السلطان ابو عنان المريني بجاية من ايدي الموحديين * وفي سنة ست وخمسين

أخذت النصارى طرابلس وجعلوا ما فيها وسكنوها خمسة أشهر * وفي سنة ثمان وخمسين أخذ السلطان أبو عنان قسطينة وفي آخر شعبان وصل أسطول أبي عنان لتونس فطاردهم ابن تافراجين وهزمهم ثم وصل الخبر بأن محلة أبي عنان واصله ففر ابن تافراجين إلى المهديّة فدخل أهل الأسطول وملكوا تونس وكتب البيعة لأبي عنان وهو بقسطينة وخطب له بافريقية ما عدا المهديّة وسوسة وتوزر وبقي الأمر على هذا شهرين * ولما أراد أبو عنان التوجه لتونس لجأ إلى علي بن جيسم فرجع إلى المغرب فقامت ثورة في مسكرة الذي بتونس فاجروا إلى أجدانهم وتركوا ما كان معهم ورجع ابن تافراجين من المهديّة وجمعت البيعة لأبي اسحاق فدخل المحصرة في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة * وفي سنة ستين أخذت النصارى الحمامات * وفي شوال سنة إحدى وستين توجه السلطان أبو اسحاق إبراهيم وفك بجاية من أيدي المرينيين * وفي سنة ست وستين قروي صدق المولى أبي اسحاق على ابنة ابن تافراجين بخط ابن مرزوق فراه علامة الوجود الشيخ ابن عرفة * وعقد الصداق اثنا عشر ألف دينار وتلون خادما وتوفي ابن تافراجين عقب ذلك * وفي رجب سنة سبع وستين جهد الكتابة التي بالأزورد في قبة جامع الزهونة * وفي سنة سبعين وسبعمائة توفي المولى أبو اسحاق في الثاني عشر لرجب فجأة فكانت مدته ثمانية عشر عاما واحدا عشر شهرا وخمسة عشر يوما ونصب ولده من بعده وهو صبي لم يناهز الحلم *

الخبر عن خلافة الأمير أبي الهيثم خالد بن المستنصر

هو ابن المولى أبي اسحاق إبراهيم بن أبي يحيى أبي بكر بن أبي زكرياء يحيى ابن المولى إبراهيم بن أبي زكرياء يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر جلس بعد موت أبيه وحسب له أحد اليمالقي * فلم يترك أحد للأمير خالد شيئا فانتهب أموال الناس وأهان لاغراف فعظم على الناس ذلك واختل

لأمر فالحق منصور بن حزرة بالمولى أبي العباس وحضر على ملك أفريقية
وكان بقسطنطينة فنقض أبو العباس له تونس وتلقته وجوه أفريقية
بالطاعة وانتهى له الحاضرة وحاصرها أياما ففر لأمير خالد وأصحابه من
باب الجزيرة وانطلق الجند في اتباعهم فقبض على الأمير خالد واعتقل ثم
وجه به وبأخيه في البحر فعصفت بهما الرياح فغرقا وكانت مدة بتونس
سنة وتسعة أشهر *

الخبر عن خلافة الأمير أبي العباس أحمد بن المستنصر

هو ابن الأمير أبي عبد الله محمد بن أبي يحيى أبي بكر بن أبي زكرياء
يحيى بن المولى إبراهيم بن المولى يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد
الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص عمر بوبع بتونس ثاني عشر ربيع
الآخير سنة اثنين وسبعين وسبعمائة * وكان رحمه الله شجاعا دينا عافلا
صفوحا جال في بلاد المغرب ووصل مع السلطان أبي سالم المريني لتلمسان
وزار الشيخ أبامدين وصاعد الله عنده أن لا يكافي من عمل معه سوءا إلا
بخير * ولما ملك أفريقية رفع أنواع الفساد وكفح العرب على التغلب وانتزع
ما بأيديهم من الأمصار وأنمي اليه أن محمد ابن تافراجين داخل العرب في
الفساد فقبض عليه واعتقله بقسطنطينة له أن مات بها ثم لم يزل يحاول
أمر العرب له أن قطع دابرحم وافتتح بلاد قنصة وأخذ شيوخها بني العابد
وأستولى على أموالهم وفتح توزر واحتوى على ذخائر شيخها ابن يملول *
ومن حسنات المولى أبي العباس أحمد إقامة القراءة في الأسبوع بالمتصورة
غربى جامع الزيتونة وأوقف على ذلك وقفًا موبدا والسماوية التي يطعمها
الشيخ سيدي مردوم نفع الله به داخل باب قرطاجنة وأوقف عليها
أوقافا جليلة وأنشأه الهرج الذي هو شرقي قرطاجنة للاحتراس ورفع التصنيف
عن قرانا عند خروج السلطان لذلك المكان وبناءه طولة الكبير بزنتة ابن
عبد السلام قبالة باب البهور جربى الجامع الأعظم ليصوم به رمضان كل
سنة وأخباره أكثر من هذا ذكرها ابن السماع وأطال في مدحه وحق له

ذلك * فسئت هذا الملك هو ممدوح العلامة بدر الدين ابن الدمايني
رحم الله تعالى الجميع مدحه بقصيدة بديعية اتي فيها بجميع انواع البديع
ولا بدع ان طلع بدر التمام من ذلك الجنب الرفيع وبعث بها من ثغر
الاسكندرية الى المحصرة العلية ولكن ما استوفى له حق من حقوق
السالكين لهذه الطريقة واجازة بجائزة اذا ذكرت بين اهلها قالوا هذه
مجاز لا حقيقة * وذكر الزركشي مولاهم في شرحه لهذه القصيدة ونشر
در معانيها وان كانت هي الدرة الفريدة ان الممدوح ارسل لنادحها عدد
اياتها دنانير فاهتمرها ابن الدمايني فقال له الرسول ان مولانا جعل هذا
القدر جائزة لك في كل سنة * وهذا من طرف الرسول انظر ايها المتامل
الى كساد سوق كلاب ونفاذه في الصدر الاول في ايام بني العباس حيث
انابرا عن المدح بنلف درهم على البيت الواحد وسروان بن ابي حفصة
ممن اخذ هذا الدر في ايام الرشيد وهم جرا الامر من بعده ولكن بعض
الشرايعون من بعض والآن نحن اليوم في زمان لو مدح اعله بنظم الدر
لم يجزه احد بالخزف * وهذه القصيدة مدح بها لما افتتح مدينة قابس
وذلك انها خرجت في الزمن السابق عن ملوك صنهاجة واستقل بها
بنو جامع من الهلاليين الى ان اخذها الموحدين من بني عبد المؤمن ثم
ثار بها قرافش الارمني الملقب بشرف الدولة مملوك الملك المظفر صاحب
مصر وكان بينه وبين ابيسورفي صاحب الهدية مهادنة واستخلصتها
ملوك بني حفص في اول الدولة ثم عصت على امير المؤمنين ابي العباس
احد فافتتحها بعد حصار وجهود واسرار الدمايني الى فتحها بثولم في
قصيدته :

ومن نورة ابدا السناء لقابس فلاح لها نور على الحق يسفر
وفي ايامه اقبل عبد الله الترجان وكان قسيسا من اقسمة النصارى فاسلم
على يديه وهو صاحب كتاب تحفة الاربيب في الرد على اهل الصليب
ذكره في هذا الكتاب وانى عليه خيرا * وفي ايامه جاءت الجنوبيون

والفرانسييس في ثمانين قطعة ونازلوا الهدية واقاموا عليها نحو شهرين ، وبعث اليها ابو العباس جيسا فكانت بينهما منجات وارتحلوا عنها خائبين وتوفي رحمه الله ثالث شعبان سنة ست وتسعين ومبعمائة وسنه سبع وستون سنة ومدة ولايته بتونس اربع وعشرون سنة واربعه اشهر رحمة الله عليه * وهو الذي شيده رسوم بني حفص بعد اندلسها واقطم منار بني حفص في الخلافة ودعم اساسها وحكمت في ايام ولده السعيد ابي فارس ودرس عمر لاعراب وعمر المدارس *

الخبر عن خلافة الامير ابي فارس عبد العزيز

هو ابن الولي ابي العباس احمد بن ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكرياء يحيى بن ابراهيم بن ابي زكرياء بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص صر الهنتاني رحمه الله يبيع رابع شعبان بعد وفاة والده واقام بالامر اتم قيلم ورتب للاحوال واعطى الاموال واصالح البلاد وقمع اهل الفساد وكان شجاعا حازما تقياً محققاً في الصالحين موقراً للعلماء كثير الصدقات فظنا ذكيا فصيحاً عجا لباخبر واهله * فمن فضائله عموم صلاته لاهل الحرمين وعلماء المشرق يوجه لهم بذلك صحبة الركب الحجازي على الدوام ووظف لاهل الاندلس في كل علم من الطعام وغيره اعانة لهم على جهاد عدو الدين * ومن حسناته خزانة الكتب للمنعمات على انعامات الدواوين وجعل لها مقصورة بمجنبة المهلال من الجامع الاعظم وارقفها على طلبية العلم ينتفعون بالنظر والكتب بشرط ان لا يخرج عنها شيء من محله وجعل لها قومة يقومون بها في نفضها ومناولتها للطلبة وردها لمكانها ووقت لها وقتا محدودا في كل يوم وكان ملازما لمرآة العلم بين يديه سفرا وحضرنا * وقسمال في تحفة الاريب واطل امكسا كانت بتونس منها سوق الرهانة وكان مجاه ثلثة آلاف دينار * وحبها رحمة الطعام خمسة آلاف دينار * ورحبة المشية عشرة آلاف * وفندق الزيتون خمسة آلاف * وفندق الخضرة

ثلاثة آلاف * والبطارين مائة وخمسين ديناراً * وفندق الأدام حسين
ديناراً * وفندق الفحم الف دينار * وفندق الملح الف وخمسة * ومجبا
لاعمدة الف دينار * ودار الشغل ثلثة آلاف دينار * وسوق القماشين
مائتي دينار * والصنارين مائتي دينار * وأبطل القيان ونقى المخنئين من
البلد * واقسام العدل في جميع رعاياه بالكتاب والسنة وانصف المظلوم من
الظالم * وجاءت الوفود من المشرق والمغرب * وغزا صقلية وغنم فيها مغنما
كثيراً * وغزا طرابلس وقابس والحامة وقفصة وتوزر ونفطة وبسكرة وقسطينة
وبجاية والصحراء * وكسنت العرب غالبته على من قبله فاهانهم والزهم
الزكاة والعشر * وقال صاحب القوطاس في اخبار ملوك فاس انه ارسل هدية
الى ابي يعقوب المريني وهو بفاس والناصر بن قلاوون بعث لابني فارس
بهدية حافلة في تلك السنة * هذا لعظيم ذكره في ذلك الوقت * وفي ايامه
عظم شأن المولد الشريف * فليست رحم الله هنا الروح الركية لمل هذا
يقال امير المؤمنين * لالن استغلبت على دولته البغاة من المفسدين * ورايت
ابن حجة الحموي ذكر في كتاب قهوة الانشاء له رسالة طنانة من انشائه
جواباً عن مكاتبة للسلطان المويدي واثني عليه في تلك الرسالة بما يستحقه *
وقال ابن الشماع وافتتح مدينة تلمسان ووصل الى قريب مدينة فاس *
وقال الشيخ الرصاع رايته في حدود السنين والنمانمائة ببلد تلمسان * وكان
قاضي مسكرة ابو عبد الله محمد الشماع ومفتي مسكرة ابو عبد الله محمد المحسن *
وقرا البيعة القاضي المذكور بجامع تلمسان * وحضر لشراءها علماء الوقت
منهم ابن مرزوق وابو القاسم العقباني وابن الامام وابن النجار وجماعة من
العلماء * ونسقت من خط السيد بركات الشريف رحمة الله عليه
قال غزا ابو فارس مدينة فاس لما شكوا اهلها اليه بظلم احد المريني فغزاه
فخرجت اخت المريني الى ابي فارس فقالت له انك ميت وانهم
ميتون فعفا عنه واعاده الى بلده وادره بالعدل * قال ابن الشماع وفي
سنة خمس وثلثمائة فولت البصاري بجزيرة جربة وكان السلطان

يولد الجريد فتلافها لى أن رحلوا عنها خائبين * ومن حسناته قطع
القبالة التي كانت خارج باب البحر وبني مكانها زاوية للصلاة وللعلم * قال
الترجمان وكان فدقاً للعاصي والخمر بجباه عشرة آلاف دينار * وكان
ولده ابو عبد الله محمد ولي عهد موصوفاً بالخير والعفاف والديانة وهو الذي
انشا الزاوية التي يستحوم وجعل فيها جامعاً لخطبة ورباطاً لطلبة العلم
وسماطاً للمقيمين والواردين * وتوفي سنة ثلث وثلثين ودفن بشربة بقرب
من دار الولي الشيخ سيدي محرز نفع الله به وهو ابو الخلفاء من بعد ابيه *
وتوفي المرحوم ابو فارس عام سبع وثلثين وثمانمائة فجاءه بعد ما ظهر
وليس ثيابه * ودفن حيث دفن ولك فكانت مدة خلافته احداً واربعين
عاماً واربعه اشهر وسبعة ايام * قلت ما اطلت الكلام في هذا المسجل إلا
لكون هذا الامام هو واسطته بني ابي حص * واذا ذكرت خلافة الحفصيين
بدونه يظهر في خلافتهم النقص * والله تعالى يكافيه ويجازيه
باعماله الفاخرة * وكما رفع ذكره وقدره في الدنيا يرفعه في درجات عليين
في الآخرة * انه سميع جيب *

الخبر عن خلافة الامير ابي عبد الله المتصو

هو محمد ابن المولى ابي عبد الله محمد بن امير المؤمنين ابي فارس عبد العزيز
وتم نسبته معروف ببيع يوم عيد الاصحى صبيحة الليلة التي توفي جده
فيها ودخل المحصرة يوم عاشوراء سنة ثمان وثلثين وثمانمائة وكان شجاعاً
كريمياً عفيفاً * ولما ساء ولي الخرج مالا تصدق به على اهل المدارس
وذوي الحاجات والارامل والايتام ووجه بمال الى جزيرة الاندلس تصدق
به على المجاهدين * وامر ببناء زاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس وبني
سقاية الماء بداخل باب ابي سعدون واقف عليها ما يكفيها * وشرع في
بناء مدرسة ضخمة بالقرب من سوق الفلقة بتونس المحروسة لقراءة
العلم * وسافر بمحلة كبيرة فاجفل الاعراب بين يديه فوصل لبلد قفصة
فابتداه مرعه الذي مات به فرجع لتونس ولازمه المرض الى ان توفي

ليلة الجمعة الثانية والعشرين من صفر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فكانت مدته عاماً واحداً وشهرين واحداً عشر يوماً ودفن بتربة أبيائه رحم الله الجميع *

الخبر عن خلافة الامير ابي عمرو عثمان

هو ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى ابي فارس عبد العزيز بريح صبيحة اليوم الذي توفي اخوه فيه ولم يتخلف عنه احد * وكان رحمه الله من اجل ملوك بني ابي حفص وهو ختامهم طالبت مدته وفعل خيرات يشب ثوابها في صحيفته * فمسن مأثرة رحمة الله عليه بناء مدرسته في غاية الحسن بزنته الشيخ الولي الصالح العابد سيدي محرز بن خلف وجعل فيها مسجداً للصلاة ودرسا لقراءة العلم وداوى لسكنى الطلبة وجعل فيها سماطاً مستمرا يتصدق به كل يوم على المحتاجين وجعل فيها ماء للسيل واوقف عليها ما يكتفيها ويكفي سن بها والقومة * فلبت اما المدرسته فبقيتها موجودة واما خيراتها فلم يبق منها شيء وبني زاوية بعين الزميت وجعل فيها جامعاً للصلاة ودرسا لقراءة العلم ورباطاً للفاطنين وسماطاً قويا على ممر الايام للقيمين بها والوافدين واوقف عليها وقفاً كافياً ولم يبق منه شيء ايضاً * ومن حسناؤه اخراجه لخزانة الكتب بالمصورة الشرقية من الجامع الاعظم مشتملة على امهات الدواوين وجعل لها قومة واوقف عليها وقفاً كافياً موبدا * فلبت والكتب ايضاً لم يبق منها شيء وبعض الوقت باقى لكن لغير مستحقيه واما الكتب فقد تالشت لما ملك عدو الدين البلاد وسياتي خبرها ان شاء الله تعالى * وبني ثلثة مكاتب لقراءة القرءان واحداً قبلي الجامع الاعظم واثان بربض باب المنارة والميمنة للوضوء بدرج ابن عبد السلام في غاية الاتقان جوفاً الجامع الاعظم بتونس واوقف عليها وقفاً كافياً * فلبت وهي الى يومنا هذا بها بعية وان طال الامر تالشت ايضاً * ومنها وتكملته للمدرسة التي ابتدا بناءها شقيقه رحمهما الله تعالى التي بسرقى الثالثة على اكمال بناءه واتقنه واوقف عليها وقفاً كافياً فعمرت عمارة قوية * فلبت اما المدرسته فصغيرة واما الوقت

فقد اندرس وادركنا قبل اليوم بها طلبة مقيمين ولهم ما يسد رمقهم من العيش ثم
 نلأشى الأمر وتداركها في حدود التسعين والالف من زعم أنه يستغنم ثوابها وأراد
 أن يحيي رسومها بعد خرابها فاصح ما فسد منها وأوقف عليها وقفا لندرس بها
 وعدة طلبة فأحوى عليها من ينسب إلى الفقر فسطل بجاريها وتحمل من الرزق
 ما يقصم منه الظهر وأثارها موجودة وبخاصتها ظاهرة وصاحب التدريس
 اليوم بها شيخنا أبو عبد الله عرفته فسح الله في مدته * وكان المولى أبو عمرو
 عثمان يكرم أهل البيت النبوي ويحسن إليهم ويكرم الصيغ ويلزم الشرفي
 كل عام لقمع أهل الفساد والتفاني من الأعراب * وهنا انتهى ابن الشماع وزاد
 الزركشي نبذة ونبات بها مختصرة كما اختصرنا ابن الشماع * وذلك لوجوه
 منها للاختصار ومنها خيفة أن تذهب ديوانته كتابه * ومنها أخذنا منه
 الزبدة وتركنا الزباد والله المستعان * قال الزركشي وخرج بمحلة عظيمة في أثر
 العرب ومسك أكابره مثل نصر الدوايدي ومجد بن سعيد وأسماعيل بن صرار
 ومهلل أربعة من الألباح بعد أن احتمل عليهم حتى دخلوا المحلة فأعطى
 ألف دينار لكل شيخ وبنوا عند القواد فأصبحوا مصفدين وكفاه الله شهرهم *
 قلت هؤلاء العرب أذاهم بالطبع مثل العقرب ولو قطع ذنبها لا يبطل لدغها
 وإلى زماننا نحن منهم على وجل تسال الله أن يحصم هذه المادة بنهم * وأشار
 الشيخ الرصاع في فهرسته إلى هذه الواقعة قال تجددت أولاد أبي الليل
 من شيوخ إفريقية وحاصروا المحصرة وأعلنوا بالتفاني فخرج إليهم سلطان
 الوثق أبو عمرو عثمان فنصره الله تعالى عليهم * وكان لأمام العلامة سيدي
 أبو القاسم البرزلي يدعو عليهم بدعوات مبتكرة غير مستعملة فاستجاب الله
 دعاءه فأخذوا وأخذت أموالهم وديارهم ونصر الله عليهم الملك وذلك ببركتهم
 دعاء الشيخ * اه * وقسسال الزركشي وفي سنة أربع وخسين وقيل
 اثنتين وخسين كان عرس ولي العهد لأمير الأجل أبي عبد الله محمد المسعود
 وكان عرسا حفيلا ما ربي بتونس مثله * قلت هذا المولى لأجل لم يات
 في أبي حفص مثله من حثاف وديانة وبر وأمانة وهو أبو الجلفاء الآخرين

لم يزل أحد الأولاد من ولده * ومسات في حياة والده وهو ممنوح الشيخ ابن الخلوف وكفاه تلك الخلال التي طرزها بمدحه في حياته وهي باقية تنشر بعد موته وله مآثر عديدة منها الختم التي كتبها بيده في عدة أسفار وأوقف عليها ربحاً للاستغلال يقيم القاري بها ويقرأ فيها كل يوم بعد صلاة الظهر نصف حزب أو ربعه بحسب الأيام وجعلها على الترابيت بأزاء الربعة التي بها البخاري من حبس والده بالجامع الأعظم بتونس * وله أخبار شهيرة بأفعال البر اضربنا عنها حرفي كالأطالمة * وفي سنة ثلث وسبعين عظم الرباء بتونس قيل أنه بلغ عدد الموتى به إلى أربعة عشر ألفاً في كل يوم وحصر في الزمام أربع مائة ألف عدداً سن لم يدخل في الزمام نحو المائة ألف * وفي سنة خمس وسبعين كملت السانية المسماة بالمنصورة قرب برج الصخراء جوفي جبل الفتح وفيه ساح مسجد الصخراء وقطعة من الجبل حتى وصلت جارتها للبحر * وفي جمادى سنة خمس وتسعين توفي ولي العهد المولى أبو عبد الله محمد المسعود ودفن بمقبرة أجداده جوار ولي الله الشيخ سيدي حمزة وكان هذا المرحوم انجب بني أبي حنص غفر الله له * ومن حسنات أبي عمرو عثمان الختمة الكبيرة المرسلت له هدية من البلاد الأندلسية لم ير الرأفون أحسن منها خطاً وتزويها بالذهب وغير ذلك مما يوله العقل وأوقف على قارئين يقرءون بها قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر وقبل صلاة العصر ألف دينار سنوية وجعل لها غلفاً مرصعاً وحي الموضوعته قبالة النوايت * وبالجملة هو ختام الدولة الحفصية ونظام المحلسن الأخيرة في البلاد الأفرقيية وطالت إمامة في الملك عن سن كان قبله له أن وافاه جهامه وبلغ أجله من بهاء وتوفي رحمة الله عليه * آخر شهر رمضان سنة ثلث وتسعين وثمان مائة توفي بالامر حفيده *

الخبر عن خلافة الأمير أبي زكرياء يحيى

هو ابن المولى عبد الله محمد المسعود ابن المولى أبي عمرو عثمان بوع يوم وفاة جده وخرج إلى المحلة على حسب العادة فهربت جماعة من الجند

واخبروا ان الحلة اخذتها الاعراب وان السلطان مات ومن ثم جئ براس
فوضع على رمح وطيف به واستبد بالملك ابن عمه ابو محمد عبد المومن
ابن الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان وبويع
في رجب من السنة المذكورة * وفي ذي الحجة منها جئ بجنته الامير
يحيى ودفنت عند سيدي احد السقا وكل ذلك مفعل * ثم بعد ذلك افتصح
الامر وظهر ان السلطان بالحياة وبعد خبر يطول دخل السلطان ابو زكرياء
يحيى وفر بهد المومن واستقل ابو زكرياء بمملكه وبعد ايام جئ براس عبد
المومن وطيف به كما طيف براس الخليفة يحيى وكفى الله المومنين القتال
ورجع الى حضرته بتونس وبويع بيعة ثانية ووقع الحكم منه على الناس
وجاءته بيعة بلد الغناب وقابس وصفافس وذانت له البلاد وتم في ملكه
الى سنة تسع وتسعين وكان فيه وباء عظيم مات به خلق كثير
ومات به السلطان ابو زكرياء في التاسع من شعبان فكانت مدة ملكه
ست سنين الا شهرا وعشرة ايام *

الخبر عن خلافة الامير المولى ابي عبد الله محمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن الامير ابي عبد الله محمد السعيد
ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان بويع يوم وفاة ابن عمه ابي زكرياء
يحيى وجلس بالقبلة وبايعه الخاص والعام وكان فطنا ذكيا فصحا
مجا للخير واهله معتقدا في الصالحين وهو الذي بنى المقصورة بطرف صحن
الجامع الاعظم بتونس من الجهة الشرقية مما يلي الجوفي شارفت على سوق
الطارين وسوق الطيبين وجعل فيها كتبا مفيدة وجعل لها قومة يقومون
بها ووقت للانتفاع بها وقتا محدودا عند اذان الظهر وبعد صلاة العصر
واقف عليها وقتا كافيا وجعل سقايتها باسفل منها مما يلي الشرقي حيث
كانت سقايتها المولى المستنصر بالله وجعل النظر لاسم الجامع الاعظم وكان
لامام اذ ذلك العالم العلامة ابو البركات ابن عصفور سامح الله الجميع
وانابهم على حسن الصنيع * وفي ايامه توفي الشيخ ابو القاسم الجليزي

اول صفر سنة اثنى عشر وتسعمائة ودفن بزوايته داخل باب خالد من تونس
 وحضر السلطان جنازته * وفي سنة اربع وتسعمائة في جادى توفي الزلي
 سبدي منصور بن جردان وخرجت روحه وراسه في حجر امام الجامع ابن
 صفور بالمقصورة الشرقية من الجامع وكان عمر الشيخ ابن جردان
 خمسة وثمانين عاما وحمله الامام الى موضع سكناه بزققة ابن عبد السلام
 فغسله وكفنه وخرجت جنازته من هنالك ودفن بزوايته بحوانيت الفار
 نفعنا الله ببركاته * وفي ايام السلطان محمد كانت وقائع بينه وبين
 العرب وهزوة على القيروان ورحل تونس في ثمانمائة من الخيل * وفي
 ايامه خرجت بلاد كثيرة عن حكمه وهو الذي ملك الجزائر للتأكد عروج
 التركي وكان بها برج للنصارى صيق عليها فملكها عروج واخذ الهرج *
 وبعد السنة الرابعة التي كانت فيها الواقعة على اهل تونس كما سيأتي وتمكن
 لانباطور من تونس ارسل اليها عبارة لاخذها وكان بها حسن عافة نائبها
 من خير الدين بلنا وبها شيخ شريف واراد حسن عافة ان يهرب فبصره
 الشريف واتى امر الله فكسرت العبارة بالريح فصارت لهم ذبيمة وهو
 سبب قوة الجزائر هكذا نقلت من خط السيد الشريف بركات رحمه الله
 ومن خطه ايضا ان السلطان محمدا بعث محمدا الغربي رسولا الى سلطان مصر
 وهو الملك الغوري وذلك في اول دولة السلطان محمدا وارسل له الغوري هدية
 وفيها الزرافة قال وكان الغربي شاخ بياب السويقة فخافه محمدا فقتله
 قدرا * وقسمال اخذت طرابلس من يد محمدا سنة اربع عشرة وتسعمائة
 قام بها ابن قراب وملكها للنصارى وبعث لهم جيشا مقدمه التأكيد محمدا
 ابو حداد وكان من اكبر قواده فبارزة فبطان النصارى فاخذ ابو حداد
 بالحملة وساقه اسيرا وابو حداد هذا كان فائد توزر * والسياسان محمدا
 هذا كان ختام بني ابي حفص وسن بعده اسم لا رسم وتوفي رحمه الله يوم
 الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاخير سنة اثنى عشر وتسعمائة
 وتولى بعده ولده المحسن *

الخبر عن خلافة الأمير أبي محمد الحسن

هو ابن محمد بن الحسن بن السعود ابن المولى أبي عمرو عثمان بويح يوم وفاة والده يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنى عشر وثلثين وتسعمائة * ولمسا تولى رفع المكوسات كلها واجرى على الناس العادة العثمانية وسار سيرة حسنة في اول الامر * وهما انتهى النقل الذي قيده الزركشي ولم اطلع على ما سواه الا ما نقلتته من اهل الحاضرة ولهذا نأني به جلا لا تفصيلا ولم اعيد نفسي لتاريخ الوقائع لقلته الضبط ولم اجد من له اهتمام بهذا الامر فاقول وبالله المستعان - سمعت من يذكر من اهل تونس ان السلطان الحسن ساءت سيرته في الناس واضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعته مدينته سوسة فقام فيها صهرة القليعي * وقام عليه بالقيروان الشيخ عرفته وكان من مرابطي القيروان من ذرية الشيخ سيدي نعمون وهو جد الشابييين قام على السلطان الحسن وبيع لرجل من لمثونته اسمه يحيى ارتقمه في السلطنة وادى انه حفصي جاء من المغرب وتم له الامر وهو في الحقيقتة اسم لا رسم والشيخ عرفته ينفذ الامور * وفسر بعد ذلك يحيى من القيروان ودخل تونس في ايام السلطان اجد وهو متسكر نظف به في المراكض فقتطع راسه وطيغ به * ولمسا مات الشيخ عرفته صاحب القيروان قام بالامر بعده ابن اخيه واسمه محمد بن ابي الطيب ولم يزل يحارب السلطان اجد الى ان اخذ القيروان من يده درغوث باشا بارسال اهل القيروان الى درغوث وهو بمدينة طرابلس * فسلموا له البلاد لما جاءهم وانصرفوا عن ابن ابي الطيب وذلك ففتح سيرته في الناس وسكان يحارب السلطان اجد مدة حياتهم وبمبينهما عدة وقائع * ولما اخذها درغوث في مدة السلطان اجد الحفصي اخذ ابن ابي الطيب وعلق وغرت اشباعهم من القيروان وسكنوا البادية وهم الذين يقال لهم الشابييون * لان اصاهم من الشابية والصبية وهي بلدة قبالة المهديتة هند مسكان يقال له قبودية * والغمسرب الذين يقال لهم دريد هم

تلاميذ للشابسية وهم طوائف كثيرة لا يستحقون له تعريف في زماننا *
والشيخ عبد الصمد الذي ادركناه متن خرج من القيروان عند انزاجهم
وهو اذ ذلك دون الاربعين يوماً ولم اطلع على اسم ابيه والغالب على ظني
انه ابن محمد بن ابي الطيب واستحكم في دريد فيما بعد وشاخ عليهم
ولم اخبار ليس هذا موضعها وقام بعده ولده علي وكنيته ابو زغايتة ثم ابنه
ابو زيان * وفي ايام ابي زيان خرجت اكثر رعاياه عن طاعته ودخلوا
في طاعة الترك ومنه خروجهم من القيروان دخولها الاثراك واقاموا بها *
وكان دخولهم على يد رجل من خدام الشابييين يقال له الغالي وهو
الذي تسبب في مجي الترك لاجل واقعة يطول شرحها * اه * ولنرجع
على خير السلطان الحسن * وفي ايامه كانت قسطينة في ايدي الترك
وانما كان ولده احمد نائباً ببلد العناب * وفي ايامه تغلبت الاعراب على
جل البلاد * وكانت الشوكية في اولاد سعيد لانهم استقلوا بالبلاد بعد
اولاد مدافع والشرح لما انقرضوا فعاش اولاد سعيد في البلاد وهادنهم السلطان
الحسن بستين الف دينار على الوطن * وفي ايامه جاءت عمارة من بر
الترك لآخذ تونس ارسلها ابراهيم باشا وكان وزيراً للسلطان سليمان بن
السلطان سليم فاتح مصر ، وكان ابراهيم باشا حروب الدينار باسمه وهو اول
وزير تولى الوزارة من اولاد السراية واهلكه لادلالات والاعجاب بنفسه
ومات سنة احدى واربعين وتسعمائة وكان مجدداً لسلطانه فارسل
خير الدين الى تونس من غير اذن سلطانه فنزل تونس واخذها وفر عنها
الحسن ودخل خير الدين على تونس واستغل بقصبتها ولم اقف على صحة
خبر كم كانت مدته الا انه كان قبل الاربعين والتسعمائة والصحيح عندي
والله اعلم انها كانت سنة خمس وثلاثين او ست وثلاثين * وقام اهل باب
السويقة على خير الدين وكانت بينهم مغللة عظيمة مات فيها خلق كثير
من الدينيين * وكانت من باب القصة الى باب البنات على حومة العلوچ
وفشا القتل في الناس وانجز القتال * وبسعت خير الدين بالامان

واعتكف الفريثان . وخير الدين هذا هو الذي نفى العالم مغوشا لحوفه منه لما ملك تونس ومغوش هذا كان في دولة الحسن وجيها فخرج الى المشرق وحج ودخل الى الديار الرومية والنقى مع العلامة الشيخ المفتي بملك البلاد علامة وقته ابي السعود افندي رحمه الله * وظهرت فضائل العالم مغوش هنالك وطارح علماء القسطنطينية واعترفوا له بالفصل وترقى في ذلك العصر الى ان ام بالملك السلطان سليمان خان وكل ذلك من بركة العلم وبركة البشينة سيدي منصور بن جردان نفع الله به * ولما تمكن خير الدين بتونس جاءت عمارة من بلاد البصاري استنجد بها الحسن من قبل الانبراطور فيها مائة الف مقاتل * قسملت الانبراطور في ذلك الزمان هو صاحب اسبانية دمره الله وانما تسمى بهذا الاسم لما تحكمت على اكثر بلاد الاندلس فشمخ بانفسه وتسمى بالانبراطور ولم يكن هذا الاسم لاحد من اجداده والانبراطور من اسماء ملوك الالمان لان ملكهم قديم والانبراطور عندهم كالخليفة عند المسلمين وانما نبيئت على هذا لتلا يظن انه الانبراطور المعهود * ولما نزلت النصارى قبايلتهم الاثراك وسن انجاز اليهم من المسلمين وعددهم ثمانية عشر الفا والنقى الجمعان بخربة الكلنج شرقي تونس وخير الدين معهم وانتشبت القتال بينهم وكانت مقتلته عظيمة * وظهرت شجاعة خير الدين في ذلك النهار وكادت ان تكون له على النصارى الا والخبر انا ان القصبته اخذت وان الاعلاج الذين بها فتكوا الباب فخر خير الدين من وقته وسن معه الى المغرب * واعترضه العرب عند تبرسق فكانت بينهم حروب شديدة وتخلص منهم الى ان وصل بلد الغناب وركب البحر في عشرين غرابا وسياني بقية خبره ان شاء الله تعالى * ولما دخل الحسن الى قصبته واطمانت الناس وقعد كل صانع في صناعته واهل الربع فتكوا ربعم واطمانوا في اماكنهم دهمهم عدو الدين فهجمت النصارى عليهم على حين ففلة في قاتلته والاسواق مفتوحة فاحذوا ما فيها من الامتعة وقتلوا اهلها وسبوا خلقا كثيرا وفر الناس بعيالهم ممن قدر على الهرب

وراحوا إلى ناحية زغوان * فبعث عظيم النصارى إلى العرب وجعل لهم
جعلاً على كل مسلم أتوا به إليه فخرجت العربان في طلبهم وأخرجوهم من كل
شعب وواد وأتوا بهم إلى النصارى فكان طلب العرب لهم أصعب من طلب
النصارى وأخذوا ما شرطوا لهم والبعض فدى نفسه من العرب وباعث
فديته الرجل ألف دينار وأكثر وأقل ومن لم يند نفسه من كافر العرب
تباكر الكافر الآخر وكان هذا الخطب جسيماً * وهذه الواقعة هي
المعبر عنها بخطرة الأربعماء وكان السلطان الحسن إباح البلد للنصارى
ثلاثة أيام * وإلى هذه الواقعة أشار العالم ابن سلامة في قصيدته التي
يتشوق فيها إلى تونس ويندب أطلالها * ويذكر أيامها الراقلة في حل
الدعة كيف تغيرت وتبدلت أحوالها * ولقد سر في ثقلبات الزمان *
كل يوم هو في شأن * وقيل في هذه الواقعة أسر الثلث ومات الثلث وهرب
الثلث * وسمعت من شيوخ البلد من يقول عدد كل ثلث ستون
ألفاً والله أعلم بحقيقته ذلك وكانت هذه الواقعة سنة إحدى وأربعين
وتسعمائة * وأما خير الدين فإنه فر من بلد العناب في عشرين فراساً
ورجع إلى بر الترك فعثر على سفينة وفيها رسول من عند إبراهيم باشا فأخذ
خير الدين ورجع به إلى السلطان سليمان وكان مع الرسول دلائل الخديعة
التي لابراهيم باشا فعنا عن خير الدين وقتل ابراهيم باشا بيده * ولما تفرق
الإمبراطور عن تونس بعد نهيبها طالبته نفسه بأخذ الجزائر فبعث إليها عمارة
فكان من أمرها ما تقدم ذكره ومن ذلك الوقت لم يضع تاجاً على رأسه ولا
أحد من ذريته إلى يومنا هذا وذلك أنه لما سمع بفساد عمارته على الجزائر
رمى تاجه إلى الأرض وأقسم لا يضعه على رأسه إلا بعد أخذة الجزائر
وحلم جراً الأمر في قلبه زادهم الله خيبة * وعسند استقرار الحسن بتونس
تراجع بعض أهل البلد بعد التشتت والنهب وحسب الوطن إلى أهل من
الأيمن * واستقصى السلطان الحسن بعد هذه الواقعة الشيخ سالم الهواري
وكانت فيه رحمة للناس في تأمينهم على أملاكهم وسائر فبهم سيوة مسكورة

انا لله الله على صنعه * والشيخ سالم عند اهل تونس يقولون كانت له
صهوة ايام صباه واقلع عن ذلك واقول وانا استغفر الله معاذ الله ان يكون من
اهل ما ينسبونه اليه فان اهل المحصرة من العلماء في ذلك العصر كانوا
اهل دين وصلاح فكيف يقدمون من كانت فيه تلك الخصال الغير المرضية
اللهم إلا ان يكون بدت منه ايام الشباب واقلع بعد او هذا من اقوال
المبغضين والعلماء لحرمهم مسومته والله اعلم بذلك * وبسعد سنة الاربعاء
جمع الحسن عربانا وجمع جوعا وخرج الى القيروان اتصد افتكاكها من يد
الشبيبين فلما قرب منها ونزل باطن القرن خرجت اليه اهل القيروان
فكبسوه ليلا فانهم هو وتن معه واخذت امواله ورجع مكسورا . فانقسم لا
يرجع عنها بحال وعزم على اخذها بالنصارى كما اخذ تونس فخرج
بنفسه الى بلاد النصارى ليأتي بعمارة مثل الاولى ويأبى الله إلا ما يريد .
وكان غرض الحسن اباحت القيروان كما اباح تونس فقابلته الله على صنعه
وخبث نيته . وكان ابنه احمد عاملا في بلد العناب فلما شعر بشغل ابيه وما
عزم عليه خاف من ائتلاف المحصرة فتلافها واقبل الى تونس خفية وتكلم
مع بظانته وجماعته من اهل اريانة وعمدته الشيخ عمر الجبالي الذي
شاخ بباب الجزيرة واولاده من بعد شيوخا بالرخص المذكور وكان الشيخ
عمر ممن قوي قلبه يوم دخوله القصبه فدخلها على حين غفلة * ولما
وصل قبالة القصبه عند المكان الذي فيه سكنى المرحوم محمد باشا وبه يعرف
في عصرنا هذا جهت نفس احمد عن الاقدام الى باب القصبه فوكله
الشيخ عمر بين كفييه وقال له تقدم فتويت نفسه ودخل القصبه فلم
يتعرض له احد وانصل الخبر بالناس فهدرعا اليه وبجايعة * فقال لهم - انما
فعلت هذا لاني انفت لما حل بكم في السابق وخفت عليكم مما ياتي -
فشكروه ودعوا له وسار في الناس سيرة حسنة نضرت بها نفوس اهل
البلد من ابيه الحسن وبعث من يتعصب للحسن الى النصارى الذين
بجاني الوادي واحلهم بالخبر فهدرعا فرقاطته في اثر الحسن اخبرته بما وقع

من أخذ ولده أحد القصة واستلذله بالامر فعظم ذلك عليه وبذل أموالا كثيرة وأتى بعمارة عظيمة وجع كثيره ولما وصل الحسن بالنصارى هبطوا له الهر فسبح السلطان أحد وأهل البلد ووقعت هرجة عظيمة وخلى أهل المدينة ان يصابوا مثل المرة الأولى فنفروا خفافا وثقالا بنية الجهاد والمدافعة عن الأموال والأولاد ونسأى منادى أحد - من اتى بأسير أو رأس قتيل فله مائة دينار - وجلس عند باب القصة وجعل الدنانير في قراطيس من الكاغد وحرص الناس على الجهاد فخرج أهل الرضين بلا سلطان معهم والتفوا بالنصارى والحسن وكانت المصافى من خربة الكلخ الى سانية العناب وكان يرميها الشيخ سيدي علي المحبوب ممن حصر الواقعة فوقى عند كديته الفيران وأخذ قبضة من تراب ومسكها في يده وقرا حزب الجبر للشيخ الشاذلي نفع الله به الجميع وعند تمام قراءته رمى بها نحو الكفرة وقال - شامت الوجرة لنا - واصطف الفريقان ولم يكن بينهما قتال والناس ينظر بعضهم بعضا إلا وعلم انهم طلع من المدينة وأقبل من بين شط الجبيرة وبين نوايل سيدي ميثان وجمع مائتا رجل لا غير وأبهرهم المعلم عمر فلما رآه الناس ثبوت نفوسهم فتقدم الشيخ عمر وسكن بعد وتقدم الناس والتقى الجمعان واشتد القتال ساعة من النهار فانزل الله النصر على المسلمين ، وصدقوا في قتالهم لاعداء الدين فانهم حزب الشيطان - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - وثبت أهل دين الاسلام وحذل الله الكافرين ، فقتلوا قتلا ذريعا لم يقتل بتونس مثله ، وسمعت من أهل المحصرة من يقول كان السلطان أحد ذلك اليوم يعطي كل من أتاه برأس من الكفرة مائة دينار وكثرت الرؤوس حتى صار يعطي العشرة الدنانير وأقل وأكثر له ان اعطى دينارا ، وحصر ذلك اليوم الشيخ سيدي عبد الله بن داود نفع الله به فجاهد في الله حق جهادة حتى يبست يده على قائم سيفه والدم منعقد عليها جزاء الله خيرا ، وفسر الحسن له شكله ودخل في الماء راجلا بلا فرس وهاشم الناس لكونه مرلي أوبر فدخل أبو البول فاخرجه وهو

ملوث بالخمر فكسي برنسا وجسي به له ولده احمد فوبخه على فعله حتى قتل له - خالفت مساك الحسن - وسجنه . وكانت واقعة مذكورة عند اهل تونس بردت بها حراء كبودهم مما وقع لهم قبل ذلك . واستغاث العوام بالسلطان احمد وقالوا لا يكون ملكان في مدينته وكثر هرج الناس فاستشار احمد اصحابه في سجنه او قتله فاشار عليه ابن ابي حنزة بسمل عينيه فسلت عيناه * واسبابنا نذ امر الله فيه اخذ نفسه بزيارة الصالحين ويطلب في ذلك لاذن من ولده فياذن له ولا زال ينتقل من ولي الى غاخر حتى استاذنه في زيارة الشيخ سيدي ابي القاسم الجليزي فقال له ولده احمد - لعلك تريد ان تالحق بصهرك ابي سلامة القليعي - فقال له الحسن - وما صي ان يكون مني وانا على هذه الحالة - فاذن له فكان الامر كما قال احمد . فانه لما خرج الى مقام الشيخ الجليزي نفع الله به اناه القليعي بالليل وهرب به الى القيروان * واقام بزوايته الشيخ المجدي بركة من الزمان وكانت عجائز القيروان يجلسنه ويثن معه وانا ادركت بعض من ادركت بعض العجائز اللاتي جالسنه وحادثنه * وسمعت من الحاكي انه قال دخل عليه اولاد الشيخ عرفت صاحب القيروان في بعض الايام واتوه يربط وهو عود الملهة وقالوا له - نريد ان نسمعنا من غنائك بالعود - والزموه ذلك استخفافا به فاخذ وجسه بيده وقد كبر عليه اقدامهم بما لا يليق بهنله فانشدهم البيت الشهير بين الناس :

وكنا اسودا والرجال ثيابنا اتانا زمان فيه فحشى لارانبنا

والتي العود من يده وجهش بالبكاء في وجوههم فخرجوا من بين يديه لا يدري احد اين يضع قدمه فسبحان المعز وسبحان المذل * وكان في خبري انه مات بالقيروان لانه متبور هناك حتى وقفت على ورقة بخط الشيخ بركات الشريف يذكر فيها ان السلطان المحسن هرب الى بلاد النمصارى وهو اعشى واقى بعساة لآخذ المهدية فمات في البحر فانزل له البر ورفعوه الى القيروان فدفن بها والده امام بحقائق الامور . ويمكن ان يكون فر من القيروان

بعد ما اقلع بها وهذا هو الاصح لان اقامته بالثيرون معروفه بين الناس *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي العباس احمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى
ابي محمد الحسن بن ابي عبد الله المسعود ابن الامام ابي عمرو عثمان وبقية
النسب معروفه تغلب على ملك ابيه في حياته حكما ثم قدم ذكره *
وقيل ان السلطان الحسن لما فعل بتونس ما ذكرناه واستحكم اعداء
الدين بحلق الوادي وصارت لهم صولته وشاركوه في احكامه واستوزر الحسن
محمد بن عبد الملك السليطين وكانت مدته نحو الاربعين يوما كان المشارك
له في المحكم النصراني جوان بن جاكمو * وسكان من اهل العقد والحل
مع نصارى حلق الوادي وكان معه ثلثمائة رجل من النصارى وهو كبيرهم
وكانوا يلبسون المبطن والبرنيطة وسكنهم في الربض الذي خلف القصبه *
واول من اسكن النصارى بذلك الربض السلطان عثمان لانهم اخواله *
وانتدت شوكتهم في ايام ابن عبد الملك . وجوان هذا هو الذي قتل عبد
الكريم بن هلال صر به على راسه بفس في عاو الخليفة الحسن واشرف من
العلو على اصحابه فقال لهم اقتلوا بقيه بني هلال فقتلوا يومئذ ثلثه عشر
رجلا . ووجدت قبورهم مبنية وسببه ان جدهم علي تعلم النجمه على رجل
رباه فلخبره بان بنيه يموتون في يوم واحد ولا يجدون مدفنا فجعل
ماكثر من ثلثه عشر قبرا فلما قتلوا احدثوا بها ، ومشى محمد بن حذيفه
اليمني الى ابيهم ابراهيم بن هلال في ذلك اليوم واعدده هو وبقية بنيه
ان لم يتوبوا قتلوا بالحديد وهربوا بعد ذلك الى قسطينه وحي اذ ذاك بيد
النرك فاكرعهم ورجعوا بعد ذلك على يد القائد ابراهيم الشيخ * وقد التقى مع
علي بن حذيفه بن هلال وقال له تشوب قال نعم ، وبسوهلال من خدام
ابي فارس وجم اهل رياسه * ولمس تزايد تسلط النصارى استبدوا
بالاحكام حتى ان ابن عبد الملك لما مات قام ولده مقامه وجوان المذكور ناظر
عليه فانفى احمد من ذلك وذهب الى السنجي صلي فمدده بالبل ورافقه

في ذهابه محمد العساوي وأبو حنيفة والبرادي وعصام بن جميع وجماعة
وأخذ البلد كما ذكرنا قبل والله اعلم . وأول من راسل ملوك الترك
السلطان أحمد بن الحسن بعث أولا محمد القسبي في أيام حسن بن خير
الدين وجاء معه إلى الجزائر لأحسنه إليه . وبعث بعدة محمد
الريش وبعد ذلك بعث أبا الطيب تاج الخصار للبasha علي وهو بمدينة
طرابلس وبعث معه البasha علي إلى الجزائر ووقعت الفتنة بينهما أي بين
البasha علي وأبي الطيب وبعث مرة أخرى إلى القسطنطينية وهي
الأخيرة * ولمسما تمكن من الملك لم يجد في خزائن أجداده شيئا
لأنها انقلبت أوجه في أيامه وعاشت أولاد سعيد في البلاد كعادتهم الخبيثة
وشنوا الغارة على أن وصلوا للجبل الأخضر وساقوا بعض مواشي السلطان
فخرج إليهم بنفسه فأدركهم في سيجوم وطعن بعضهم . وكان شجاعا متداما
وفيهم فروسية حتى قيل أنه لم يضع رجله في ركاب عند ركوبه * ولمسا
استولى له الأمر أركب ثلاثة آلاف فارس وسماهم زمازمة وكانوا قبله يسمون
موحدية وأخرج فتوى من طلاء المحصرة بقتال أولاد سعيد فيمدد منهم
وأهانتهم * فسالت تقدم في خبر جده عثمان أن الشيخ أبا القاسم
البرزلي رحمه الله كان يدعو على أولاد سعيد عند خروج السلطان إلى قتالهم
كما ذكره الشيخ الرواحي * وسمعت من يقول أنه أفتى بقتلهم أيضا وبقتل
غيرهم من الجزائر من عرب إفريقية ولا فرق إلا أن هذه الطائفة الملعونة
أشد نفاقا من غيرهم * وأبسن ناجي أفتى بتحريم مبايعتهم آلات الحرب
حتى الأتمة والرواحي التي يلبسها الأفريقيون من العرب لا فرق بين
تولاء وهؤلاء إلا أن السعديين أقوى صورا من غيرهم لأنهم على مر الأيام
لا ينسون فسادهم ولا ينتهون من فعلهم الخبيث . وكان الولي أبو عمرو
عثمان مكن أذلهم ومزق جمعهم وأذلهم وأخذ عليهم أن لا يصلوا إلى نواحي
الوطن وسكنهم من إدران إلى القبلة لا يتعدونه . وإنما حدث منهم
هذا الحادث في أيام السلطان الحسن إلى أيام السلطان أحمد هذا زاد طغيانهم

فسلطه الله عليهم * وكان السلطان المذكور محبا في العدل واقامة الشروع لا يتعدا احكامه في رعيته وسن طلب معه الشرع اجابه اليه والمعتصمون عليه ينسبون له غير هذا والله اعلم * وسمعت من اهل الحضرة من يقول كان يزور الشيخ سيدي ابي القاسم الجليزي وله اعتقاد فيه * وكان المذكور يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم في نومه كل ليلة جعلته فلما جئ بالسلطان احد ميتا ودفن بزارية الشيخ الجليزي المذكور قصر عن زيارته فاعتنع من رويته النبي صلى الله عليه وسلم فلا زال يستهل بالدعاء الى الله ويستغيث الى ان يسر الله عليه فورا فيما يرى النائم النبي صلى الله عليه وسلم فقال - يا رسول الله ما جئت عنى - فقال له صلى الله عليه وسلم - لم لا تزور الشيخ الجليزي - فقال - يا رسول الله لاجل الظالم الذي دفن بازائه - فقال له صلى الله عليه وسلم - انه كان يذب عن شريعتي فزرهما معا فلو لم تكن له إلا هذه المنقبة لكانت مباحة الله تعالى * وكانت بينه وبين درغوث باشا صحبتة أكيدة ، ولما كان درغوث باشا محاربا لجرية ارسل له السلطان احد المونة وذلك ان جربة عصت عليه لظلم منه وملكتها النصارى ستة اشهر وافتكت على يد الباشا علي ارسله درغوث ، والباشا علي هذا هو الذي مشى اليه ابو الطيب الخضر وعدل معه الى الجزائر * وفي ايام السلطان احد كانت دولة الجنائزين لانه اتخذ سودانا وجعلهم جيشا له لما كان يتوقع من تعليك البلاد لقوم لغتهم غير العربية فجعل اقواما من السودان ورفع منزلتهم لتناولوا بذلك لكي يكونوا حرم المرسود بهم لما اخبره منجمه وسن يدعي الجسر وكان للسلطان احد اهتمام بهذا العلم * وكذلك ما اخبر به عن اهل هذه الصناعة ان الحكم يشغل منه الى رجل اسمه علي من غير جنس العرب وذهب ملكه على يديه فاقام مملوكا له من كالدلاج وسماه علي واجلسه في مجلسه وفرض له الامر * والقدر يجري بخلاف ذلك * وكانت له فتكات في العرب اذانهم ويدد جمعهم غير ما مرة * وفي اهل حلق الوادي لعدة وقائع

منها انه عزم على السفر الى اقرية على عادته وسار مكانه فاز ومعه
 الف فارس وارتقى خلف كل فارس رجلا وسار له ان بلغ ماظر ورجع
 من هنالك على غير طريقه الاولى له ان اتى له ناحية المعلقة فكم
 هنالك * وبسبب خيل الدالة وامرهم بالغارة على حلق الوادي
 والنصاري مطمئنون من جانب لان جواسيسهم وهم المهجرون اخبرتهم بان
 السلطان خرج عن البلد فلما اندروا بخيل الدالة خرجوا من البرج في
 طلب الخيل وانهموا امامهم فاتبوهم الى ان وصلوا له قرب المحصرة * فلما
 علم احد يعدمه جال نحو البرج ودعم الذي به على حين غفلة ووقف على
 بابيه وانذهلت النصاري عن خلق الباب وامتنع هو من اخذه ورجع ولو
 اراد اخذه لممكن منه لما هو سابق في الخيب لان القوم كانوا يرون ان
 البرج المذكور يحول بينهم وبين عدوهم المتوقعون له * ولما رجع
 السلطان عن خلفه حال بين الاعلاج الذين خرجوا فائرين وبين البرج
 فقتل منهم خلقا عظيما * وكان اهل حلق الوادي يخذون من اهل
 تونس الرمية من الصوف والخير لبناء برجهم فان اضطروهم ذلك وقعت
 الهدنة وان لم يعطوا يصيقون عليهم برا وبحرا وتصبح بطائعهم في البحيرة
 ويرمون بالمدافع وفي البر يغيرون هم ومن معهم من المهجربين فيقاسي من
 ذلك اهل تونس اكبر التعب * وان عزم اهل تونس او السلطان على غزوهم
 اندرهم المهجرون وهذا دأبهم معهم * وكان اهل تونس في شدة مع العدو
 في كل حين ولهذا كانوا يدرسون اولادهم بلعب الحجر دائما لينظروا
 بملاسة العدو ولم يزالوا يفسلون من الكثرة الشدائد له ان من الله عليهم
 بهذه السلطنة الحاقانية ابقاهم الله لمجاهدة الكفرة حسبت عن اهل تونس
 تلك الارجاس والله عزوف بالناس وسياتي بعد ان شاء الله تعالى * واخبار
 السلطان احمد يطول شرحها وفيما ذكرناه كفاية ودامت ايامه وانتشرت
 بالعدل احكامه له ان نفذ فيه امر الله لا واد لعصائمه * وهسيل ان
 ابا الطيب كان يتوقع منه التقي عليه * وهذا هو المرجح لانهم

عليه وانه دخل عليه في بعض الايام فوجده في شغل من الفكرة فحدثه بما يسليه فقال له السلطان - يا ابا الطيب لو جاءني علي من المغرب في هدد يسير ما كنت اتساءل وهذا - انه واني لفي حيرة من ذلك - فحدثه ابو الطيب بما شرح صدره واذهب عنه ففكرة فكان هذا هو الباعث لابي الطيب الى ان ككاتب الباشا علي وهو بمدينة الجزائر وحرصه على القدوم لتونس وكانت بين السلطان احمد والباشا علي صفائن في النفوس من وقت استخداهم بمدينة طرابلس * ولهذا السبب ارسل اليه ابا الطيب فيما تقدم لاتصال الحال * ولمسا بلغت مكاتبة ابي الطيب لعلي باشا تيموى عزمه وخرج بمحطة عظيمة . واجتمع اليه من صرارة وقرقة وسويد نحو من سبعة آلاف واقبل بهم * ولمسا سمع احمد بهجوي اهل الجزائر خرج ليصدهم عن الوطن والثنى معهم على بلد باجة * وكان مع السلطان احمد خيله الزمازية . واخذ معه من الرجال الفاشمائة والثنى بهم فلم يغنوا عنه شيئا . واخذت محطته وانهم احمد بمن معه . وجاءت الترك الى وادي مجردة فوجدوه زائدا فدنهم من العبور فارسل الباشا علي الى بنزرت فجاءته الالواح والفتناطر وجعلها جسرا على الوادي وقطع العسكر والثنى مع السلطان احمد مرة ثانية قرب سيدي علي الخطاب فكسر ثانيا وقيل وقع الحرب ثالث حكرة عند سيدي عبد الوهاب ولم تكن للسلطان احمد قوة فدخل الى المحضرة وقد ايس من الملك وراى الموانسة لعدوه من عسكرة وفر عنه غالب الناس وخرج في بعض الليالي الى ربح باب السويقة وقصد دار الشيخ سيدي علي المني نفع الله به وهو اذذاك بنيد الحياة * فلما جلس في صدر البيت ولم يكن الشيخ حاضرا الا والشيوخ قد اقبل ووضع يديه على طرحتي الباب وقال يا احمد فاجابه بنعم فاستفتح الشيخ وقال - قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء - الى تمام الاية فعلم السلطان ان الامر يدبر فخرج وهو ايس من الملك فرجع الى قصته وجع شخائره وامواله وبعض اهله وتن تبعه

وخرج نحث الليل فبعه العرب والبعض من أهل البلاد فدافع عن نفسه ونهب الكثير من ماله وسار على طريق رادس ولم يبق معه إلا نفر قليل وخرج في طريقه إلى ناحية البريجية وقطع إلى حلق الرادي ولم يكن البحر فامراً تلك الجهة كما هو في زماننا وإنما طغى الماء بعد . ولما وصل إلى الحصار قرع الباب فظن به العسس فاختبروا كبيرهم فأشرف عليه من فوق فعرفه أحد بنفسه ففتح له الباب فدخل وأطمانت نفسه * ولما خرج عن المدينة لم يكن لأهل المدينة قبل بمداغمة الأتراك ففتحو الأبواب ودخل الباشا علي * ودخل العسكر معه وأصبح جالساً في القصبية وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وسبعين وتسعمائة ونادى المنادي في الناس بالامان وطلع إليه أهل البلد وأخذ عنهم البيعة لسلطانهم ومن غد اجتمعت جماعة من جنود السلطان أحمد من الزمازية الذين رجعوا عنهم وسن بقي منهم وانشقوا على الرحيل من البلد فقال قائلهم - لا بد لنا من الوقوف بين أيدي الترك - فساروا بلجهم إلى باب القصبية وتكلموا معهم وقالوا - أنا كنا خدمنا سلطاننا مدة إقامته ودافعنا عنه بقدر طاقتنا وأما اليوم فإن شئتم ابقيتمونا في أماكننا وإن شئتم صرفتمونا وأرض الله واسعة - فتشاوروا في أمرهم وأبقوهم على حالهم وقالوا لهم - انتم نصحتهم سلطانكم وليس لكم ذنب وحيث أديتم حق ملككم وقائتم في طائفة اليوم معدودون من جماعتنا - فس ذلك اليوم عرفوا بجماعة الترك إلى يومنا هذا وعليهم أبو الطيب قوانين البلاد وتصرفاتها وأخذ يتصرف في الأعمال لأن القوم ليس لهم خبرة بأحوالها طناً منه انه يستبد بالحكم معهم لكونه هو السبب في اتيانهم وممن اعانهم فعاجلوه وقتل صبراً ونهبوا أمواله وإن الله لا يهدي كيد الخائنين وعوقب بتقيص مقصوده كما هي عادة الله في من ساءت نيته * ولما تمهدت البلاد رجع الباشا علي إلى الجزائر وخلف في البلاد نوبة من التوالك وزواوة أصبانها وخلف قائله رمضان حاكماً في البلد وعدد الأتراك الذين خلفهم ثمانمائة والزواوة كذلك * وكان في عسكر السلطان أحمد أربعمائة من

الأتراك ولما أراد ان يدافع اهل الجزائر كما ذكرنا قال للأتراك الذين في خدمته هؤلاء اهل الجزائر من جنسكم وانا لا اريد ان تقع بينكم عداوة فقالوا له انما خدمناك لدفاع عنك بانفسنا فاني عليهم وبعثهم الى سوسة الى ان وقع عليه ما وقع واخذت الترك البلاد فتراجعوا بعد ذلك ومكنت في ايدي اهل الجزائر ثلث سنين والعرب من برها واهل حلق الوادي من بحرهما الى ان جاءتها العمارة من الانبراطور باذن السلطان احمد وذلك في سنة ثمانين وتسعمائة . وانفق عليها اموالا كثيرة * ولما وصلت العمارة الى حلق الوادي اخرج الجنرال كتابا من عند سلطانه يذكر شروطا اشترطها على السلطان احمد فاشتمع منها وقال - مالكم عندي الا المال لا غير واما البلاد فليس لكم فيها شيء - فقال الجنرال - ان نفى بها فخير والا نقدم غيرك نفى لنا بها - وقدموا اخذها محمدا فقبل الشرط ونزل بهم الى البر واما السلطان احمد ففر الى جزيرة صقلية وسكن مدينته بلرمو وبقي بها الى ان مات رحمه الله وجميعه به الى تونس فدفن بزاوية الشيخ الجزائري بعد ما مكث ثلثة ايام ملقى في الجلازم يوزن بادخاله البلد ظنا من القوم انه حي وادخل بعد ذلك ودفن والملك لله وحده *

الخبر عن خلافة الامير المولى محمد بن المولى الحسن

امه ام ولد وهو خاتمة بني ابي حفص وبانتراضه انقرضت ايامهم قدم الى المحصرة بعمارة النصارى فلما عثت اهل تونس بمجيئهم هربوا من البلد خيفة من هول الاربعاء وحي الواقعة التي جرث عليهم ايام الحسن وهرب اكثر اهل تونس الى ناحية جبل الرصاص واخذوا هناك في الدواميس وهذه الواقعة يعبر عنها بخطرة الدواميس * وكان فيها الخطب جليلا وكانت في زمن الخريف وغالب اهل البلاد عرائس فانهتكت حجابهم واقتضحوا ونالهم من الهوان ما لم يعهدوه وصنعوا نوابيل في الغابات وسكنوا بها والسولوا بين خيام البادية ونالوا من الخوف والجوع ما لم ينله احد وتولى الحرس على النساء والذراري القائد عبد الله والقائد علي بن ابي زيد . وبعث اليهم

الشيخ المجدي يحرصهم من قلعة الطمانينة ، وبعث السلطان محمد بعد ذلك للناس وامنهم واموهم بالرجوع الى البلد ثم رجعوا فتمن وجدوا اذها وتن وجدوا بيد النصارى وكل امره لله الله ، وقسمت المدينة قسمين كفر وايمان * وفي تلك الايام اهدى المسجد الاعظم ونهبت خزائن الكتب التي به ودرست بارجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين العلم وتبددت في الشوارع حتى قيل ان البار عن شرقي الجامع حيث الثوارويين لان انما يمر على الكتب المطروحة هناك وضربت النواقيس في الحضرة * وسعت بعض اهل البلاد يقول ان النصارى وبطوا خيولهم بالجامع الاظم ونشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به الا الرمل وفعلوا ما لا تفعله الاهداء بالاعداء ، وساكنوا المسلمين وصارت الدار بالدار ، وسكن القبطان مع السلطان محمد بالقبصة ويجلسان معاً في سفيتها للحكم واستمال القبطان قلوب الناس وساسهم بعدله ومكره ومنع من التعدي عليهم ، واتحاز اهل باب السويقة على ناحية وتمعوا انفسهم من لاهانته ، واهل باب الجزيرة واهل المدينة اهدوا لانهم تحب الرميته فجرى عليهم حكم النصارى * وفي تلك المدة هجر البسثيون خارج باب البحر من تونس وفصلت اسواقهم وحوانيتهم وعمر بالكفرة ونال اهل تونس من اهل البسثيون ما لم ينالوه من غيرهم حتى كانوا يفتنون الرجل عن دينه ، وشاركت النصارى المسلمين في مساكنهم ومعاملتهم واقاموا معهم تحب القهر والاحسانة وفي تلك الايام وقعت خطرة الشكارى بين مسلم ونصراني كل منهما اراد شراءها فمد النصراني يده في المسلم فصاح المسلم واستغاث فقامت الناس لنصرة المسلم وقتلوا النصراني وكانت الواقعة بباب البنات فسمع ابناء جنسه ففزعوا وخرجوا من باب السويقة ووقعت بينهم مقتلة دام فيها الحرب من الصبح الى غروب الشمس وبقيت جناز الفريقتين ملقاة وخرج السلطان وحز بين الفريقتين وجرت النصارى موثاهم على العجل ، وسبب هذه الخطرة على يد ابن الصغار كانت دارة بالعزافين ، وقد لدركت ابنته بسكن هناك وسمعت من

ولده يقول كان ابي هو السبب في تلك الواقعة والله اعلم بحقيقة ذلك ،
وانرجع الى خبر الترك فانهم لما دمهم العدو وعلوا ان ليس لهم طاقة
بمقاومتهم سلموا البلد وهربوا الى ناحية جزيرة شريك ونزلوا على الحمامات
فغلقوا دونهم اهل الحمامات باب البلد فطلبوا منهم الفيت فمنعوهم وعلقوا
سلوقية مينة على برج عندهم وبه يسمى برج السلوقية الى اليوم وقالوا لهم هذا ما
لكم عندنا - فباتوا هنالك وجعوا امرهم الى اين يكون ذهابهم فانفتحت عارواهم على
القيروان وبها الباشا حيدر . وكان لما اليهم الخبر بما وقع بتونس فاضطرب
القيروان تلك الايام * ولمن اراد الترك ان يتوجهوا الى القيروان
لحقت بهم النصارى على بلد الحمامات فلم يكن لهم ملجأ يلجأون اليه
فقال كبيرهم نجعل البحر خلفنا ونستقبل العدو والنصر بيد الله تعالى . وسمعت
سن يقول ان اميرهم كان خير الدين وليس كذلك لان خير الدين هو
الذي اخذ تونس من يد الحسن في حدود الاربعين وهذه الكائنات في
سنة ثمانين الا ان يكون الحسن بن خير الدين والله اعلم * ولما
وصل العدو الى الترك صدقوا في القتال وصبروا صبرا لا حوار فهربت الكفرة
وركبت الترك ادبارهم الى ان اخرجوهم من الخنقة التي بقرب الحمامات
وقتلوا منهم ما شاء الله وقطعوا رؤوس القتلى وبعثوا منها اجالا للقيروان
لنسكين الاحوال فيها . ووجدت صناديق للنصارى مملوءة بالريش تصد
عن قتل منهم مسلما وشقوا ريشته في راس قائله للباعاة فخذلهم الله تعالى *
ومن الغد رجعوا الى الحمامات فحاصروها واخذوها عنوة وقتلوا سن قتلوا
عليه من الرجال وفر الباقون وسييت اولادهم وحريرتهم ونهبوا اموالهم
وفعلوا بهم الفاقة ، واتى الشيخ الجديدى فافتك منهم النساء والاولاد وتراجع
اليها سن هرب . والتحق الترك باخوانهم بالقيروان واقاموا هناك عشرة
اشهر مدة سلطنة محمد وتحكم النصارى بتونس . واشتد الامر على الذين
بالقيروان وصاقت بهم البلاد * وكان بها الباشا حيدر وهو الذي ضرب
الحيدري المشهور بالقيروان . واراد الفرار عنها لشدة الامر وكان يتردد الى

الشيخ سيدي احمد الرنسان نفع الله به فكان الشيخ يربصه ويرصده بالخير
فيثب عند اشارة الشيخ الى ان قدر الله بارتفاع الحسن * وازالة البوس
والحزن * واطهار شعائر الاسلام بالدرجة الطيبة * ونشر الاعلام الخاقانية
وتطهير الديار التونسية * من الكفر والارجاس * فسلم الله هذه المملكة
بالحقان سليم بن سليمان والله رءوف بالناس * وكاتب اهل القيروان
اخوتهم بطرابلس والجزائر فانوا بنيت الجهاد من الجزائر ومن طرابلس ومن
القيروان ونزلوا بساحة تونس في يوم واحد وناوشوا القتل لاهل تونس وصايقوها
من البر واقاموا عليها مدة فلم يفعلوا شيئا * ولما طالت اقامتهم ولم يحصلوا على
شيء عزموا على الرحيل الى بلادهم . فظهرت لهم مراكب في البحر فظنوا
انها عمارة انت لتصرة النصارى فقويت نفوسهم على الرحيل بالليل * وكان
من قدر الله ان العمارة المذكورة من قبل السلطان سليم ابقي الله البركة
في ذريته الى يوم الدين والقبطان بها علي باشا وسردارها سنان باشا فلما
وصلوا الى ناحية المرسى من حلق الوادي وحلم المسلمون الذين هناك
بانها عمارة الاسلام طلع اليهم بعض المسلمين فسالوه عن احوال البلاد فاخبرهم
بمخبر الحال النازلة على البلد فكثروا كتابا وبعثوه الى امراء تلك الحال
مخبرونهم بمجي العمارة السلطانية ويامرونهم بالاقامة في املاكهم فلما
اتاهم الخبر ايقنوا بالنصر وتكوى عزمهم الى ان فتح الله عليهم * وسمعت من اهل
المحصنة من يقول سبب مجي العمارة الى هذه الديار ان السلطان سليم
راى في منامه الشيخ الولي سيدي حرز بن خلف يستجده على بلاده وقال له
- انا حرز بن خلف - فلما اصبح سال عن الشيخ وعن بلده فقيل له تونس *
وقيل ان العمارة كانت معينة الى لاندلس فجدت بقرنطرة لان اهل قرنطرة
بعثوا يستجدونه فعزم على ارسال هذه العمارة اليهم فبلغه خبر قرنطرة وانها
اخذت في تلك الايام واحتوى عليها اعداء الدين ففتر عزم السلطان عن
لاندلس وبعث بها الى تونس . ولعل الاتفاق وقع من الطرفين والله اعلم
وكان عدد المراكب ثمانين عشر معونته ومن الغلائط وغيرها من السفن

الفا وخسمائة قطعة حرس الله هذه السلطنة العثمانية من «أفانث الرومان» وجعلها تذب على الدين الحمدي وهي بشعائرها مشيدة لأركان « ولم يزالوا مطبقين على تونس من برها وبحرها إلى أن تمكنت أيديهم بسجورها وفجرها ونزعوا ملكها من أيدي الكفرة بعد ما كانوا استولوا عليها وسابوا ملك بني أبي حصص بعد ما كانوا ملوك البلاد الأفریقیة وغيرها والله يورث الأرض وتتن عليها * وكان ابتداء ملكهم كما قدمنا ذكره سنة ثلث وستمائة وانقرض بانقرضهم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فكانت مدة ملكهم ثلثمائة وثمانين وسبعين سنة * وملك الله هذا الأقليم الأفریقی كما ملك غيره لال عثمان . وطهرة بتوليتهم عليه من أهل الشرك والصابان * وحسبناك بلغنا ما اردناه من الاخبار السابقة نصيف بحول الله وقوته ما نيسر لنا من الاخبار اللاحقة ان شاء الله تعالى لا قوة إلا به ولا انكال إلا عليه *

السابع السابع

في الدولة العثمانية والسلطنة الخاقانية

ادام الله ظلل أمنها في الخاقين . وجعلها دائمة اليعن .

والبركة قاهرة لاعداء الدين . وخادمة للجرمين الشريرين

اول تن ملك منهم البلاد جدهم عثمان وأبيه انخسايهم وهو عثمان بن ارطغرل بن سليمان شاه وكان سليمان هذا في بلاد ماهان قرب بلخ وهو من جنس التركمان الرحالة النزلة من طائفة التتار ويصل نسبهم إلى ياقث ابن نوح عليه الصلاة والسلام * وإسا ظهر جنكزخان واخرب بلاد بلخ واخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه تفرقت أهل تلك المملكة وخرج سليمان شاه المذكور من بلاد ماهان بخمسين ألف بيت من التركمان وقصد أرض الروم وعبر من الفرات فغرق بفرسه فملك وتفرقت جماعته في اطراف تلك البلاد وبقيتهم موجودة هناك إلى الآن على عادتهم في النزول والارتحال وخلف سليمان أربعة من البنين فعاد منهم إلى بلاد العجم اثنان

وتوجه انان الى بلاد الروم وقدم على السلطان علاء الدين الساجوقى صاحب بلاد قرمان وملكه اذ ذلك بقونية فآكرهما واذن لهما بالاقامة بارحهم فاستاذناه في الجهاد فاذن لهما واجتمع اليهما جماعة من التراكمة فواصلوا الجهاد في ارض الصخرة ولهم وقائع مشهورة عند اهل السير ومات ارطغرل وخلف مدة اولاد اشدهم باسا عثمان فواصل الجهاد على عادة ابيه فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فآكرمه واعزه وامده واعانه وجعل له المرتبات السلطانية . وارسل اليه نوبة خاقانية ودق بين يديه الطبل والزمر وسماه خان تعظيما له وتخيما . ولما دقت الطبول بين يديه قام هو على قدميه اجلالا لمخدومه فمن هناك صارت عادة لال عثمان القيام عند دق النوبة قانونا جاريا الى الان وجرى عليه اسم السلطنة سنة تسع وتسعين وسبعمائة . وافتتح تلك السنة قرة حصار وخطب له فيها ولما دى في فتح تلك المحصون وسامدته المتبادر لما سيكون له ان توفي رحمه الله سنة خمس وسبعمائة وتولى بعده ولده السلطان اورخان بن عثمان وهو الذي افتتح مدينة برسا في حياة والده وجعلها دار الملك . وفاق والده في الجهاد وفتح بلادا كثيرة . واجتمع لحربه جملة ملوك نصارى من بلاد الرومي وقصدوا لقاءه في بولانا طولى فسير اليهم ولده سليمان بك فجاز اليهم الى بول الرومي ودحهم على حين غفلة فمزقهم الله وفرق جمعهم وفتح عدة اماكن وعاد الى والده منصورا . ومات اورخان الى سنة سبع وأربعين وسبعمائة فمات رحمه الله . وتولى بعده ولده السلطان مراد بن اورخان بن عثمان سنة سبع وأربعين وجلس على تخت المالك سنة وفاة ابيه . وهو الذي فتح ادرنا واتخذ الماليك وسماهم يكشريم معناه العسكر الحديد والبسهم اللبد الابيض المنني الى خلف . وكانت له صولة عظيمة . واجتمعت ملوك الشرك الى قتاله فهزمهم وقتل زعيمهم الاكبر . واطهر بعض ملوكهم الطاعة واقبل لتبيل يده فظعنهم بخنجر كانت معه فمات رحمه الله ومن ثم صارت عادة عند آل عثمان لا يدخل احد بسلاح على السلطان وان ينشئ لسانه وان يدخل

بين رجلين يكتنفانه * وتوفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وتولى بعده
 بايزيد خان . وكنيته يلدزم معناه الصائفة وصره اذ ذلك اثنتان وأربعون
 سنة واقام ستة عشر سنة سلطانا . واستولى على قلاع كثيرة وغصب ملوك
 الطوائف الذين بازائه . واخذ ابن كرمان وحبسهم ففر من حبسهم وفر منه
 أيضا ابن متنسبا في صورة قلندري حلق لحيته وحواجه وابن اسفندار وغيره
 من الملوك ولحقوا بتيهور ملك التتار واستغاثوا به وحرصوه على اخذ بلاد الروم .
 وتيهور هذا من اشر ملوك الدنيا اهلك ثلثي العالم ومملكه وكان مبتدا امرة
 من وراء خراسان . ومملك ما وراء النهر والسند والهند والصين والعراق .
 وجازل الدير الشامية والحلبية ولم ينح منه الا مصر والمغرب وسنك
 من الدماء ما لا يعلم الا الله واخباره كثيرة ليس هذا محلها وقتل من
 العلماء الرافلا تحصى . وسئل بعض الفضلاء عن تيهور اي سنة ظهر فيها
 فقال - في سنة « عذاب » * واما وصل الى بلاد الروم خرج بايزيد
 الى قتاله فخذله من كان في عسكره من التتار وغيرهم . ورجعوا مع تيهور
 بامتنانهم اليهم وبقي بايزيد في جمع قليل وقائل بنفسه الى ان هجم على
 تيهور فالقي عليه بساطا فائقه واخذ اسيرا ومات عند تيهور في القيد سنة
 سبع وتسعين وسبعمائة وتسلطن بعده بنوه عيسى وموسى وقاسم وسليمان
 ومجد . ووقع بينهم القتال والتحاسد نحو اثنتي عشرة سنة . واستقل بالملك
 السلطان مجد بن بايزيد في سنة خمس وثمانمائة وصره اذ ذلك ثمانين
 عشرة سنة . وكان مطاعا مقداما واسع العطاء عين صدقات لبحريين
 الشريفيين ومهد البلاد وفتح عدة فتوحات . وتوفي بعد سبع عشرة سنة من
 سلطنته سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وتولى السلطان مراد الثاني في التاريخ
 المذكور اي اثنين وعشرين وثمانمائة فاقام الشرع في ايامه ولازم الجهاد
 على عادة اجداده وفتح بلادا كثيرة الى ان كبر ولده مجد فتخلى له من
 الملك واجلسه في حياته على سرير مملكه وتعاقد بوضاه الى ان وافاه حيا
 نسم استقل بالامر السلطان مجد خان في سنة اثنتين وخسين وثمانمائة

وعمره اذ ذلك عشرون سنة . وهو من اعظم سلاطين آل عثمان في الجهاد متوكلا على الله . واكبر فتوحاته قسطنطينية العظمى وجعلها دارا للحاك . وبنى بها المدارس وقرب العلماء واجرى عليهم النفقات . واستجلب العلماء العظام من انطار البلاد وتزخرفت بايامه الدنيا وتشرفت العلماء في ايامه . وفعل خيرات لا تحصى . وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة رحمة الله عليه . وجلس بعدك في الملك السلطان بايزيد ابن السلطان محمد في ربيع الاول من السنة المذكورة وعمره اذ ذلك ثلثون سنة . وقام بالامر اثنى عشر وثلثين سنة وفتح عدة قلاع وانتهكها من ايدي الكفرة ونزعه اخوة في الملك ووقع بينهما الحرب فانهم اخذوا هاربا الى مصر في ايام قيت باي فاكومه . وعاد الى قتال اخيه مرة اخرى فهزم وهرب الى بلاد النصارى فدمس عليه اخوه ممن قتله هناك بموسى مسمومة حلق راسه بياضه وفي ايامه ظهر اسماعيل شاه ببلاد العجم . واظهر مذهب الرافضة واستولى على تلك البلاد فغزاها بايزيد وكنان رحمه الله عنها للجهاد مداوما على افعال البر . وكانت بيضة لاسلام في ايامه محفوظة بحب الاولياء والصالحين وبنى المدارس والنيكات وديار المرضي وعرست الى بابهم اعيان الناس . ومنحه شهاب الدين ابن الخليفة شاعر مكة بقصيدة وارساها اليه فانابه بالف دينار وجعل له كل سنة مئتمنة دينار . وهي باقية في عقبه تصل الى اولاده في كل سنة الى يومنا هذا . وكانت له مدة اولاد فرقتهم في حياته على المناصب الى ان ماتوا في حياته . ولازمه مرض القوس وهو من امراض آل عثمان فعجز عن السفر ومال العسكر في حياته الى ولده سليم وتقاتل معه وعاخر الحال خلع نفسه وقدم ابنه للملك وخرج الى ادرنت فمات سبعة سبع عشرة وتسعمائة والسultan سليم جلس على تخت الملك في السنة المذكورة وعمره اذ ذلك ست واربعون سنة وايام ملكه تسع سنين . وكان ملكا جبارا سفيا كالادماء قوي البطش غزا بلاد العجم وافندك مصر من الشراكسة . واخذ مدينت حلب والشام . وهو اول من خطب له بخادم الحرمين الشريفين . وتوفي

في ثامن شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة رحمت الله تعالى عليهم ، وقسم
بالامر بعدة ولده السلطان سليمان في التاريخ ودامت ايامه في الملك سبعا
وأربعين سنة . وفي ايامه فتحت عدة بلاد وغزا بنشيه بلاد لانكروس
وغزا جزيرة رودس واخذها من اهلها وسكانها ليس لها مثل في الحصانة
واسلوها لم يعد حصار شديد وضائق عليها وعاخر الخال طلبوا منه الامان
على اموالهم وانفسهم فاعطاهم امانا فخرجوا الى بلاد المغرب وعمروا جزيرة
مالطة دمرها الله ، وسكانها افعالهم برودس كفعالهم لان عسى الله
ان يبدد شملهم عن قريب . وفتح رودس اول شهر صفر سنة تسع وعشرين
وتسعمائة وجعل بعض الافاضل فيها تاريخا وهو « يفرح المؤمنون بنصر
الله » . ولما تمكنوا من مالطة وزاد ضررهم ارسل اليهم في اواخر ايامه عبارة
لاخذها فما امله اجله . ومن فنوحاته جزيرة استنكوى وبيدرهم وقلعة
ايدوس . وسافر بنفسه الى بلاد العجم وحرب امامه الشاه واخرب بلاد
تبريز واخذ بغداد . وفتح عراق العرب وطلب الشاه منه الامان والهدنة
فاعطاه ذلك ورجع الى مقر سلطانه . والطف تاريخ قيل في هذه السفارة
« فتحنا العراق » . ولم رحمه الله ثلث عشرة شهرة على اهل النجاشي والشام
ومات رحمه الله في فريته الاخيرة بتاعة سكانه وكنم الوزير موتم وارسل الى
واده السلطان سليم فاقبل بسرعة وعند ذلك اظهر الوزير موتم السلطان
سليمان . ووضع في نابوت ورجعوا به الى القسطنطينية . وكانت مدة سلطته
ثمان واربعين سنة سقى الله ثراه من صوب الرحمة . وكشفه من الفخر ان
علامته الوجرد في ذلك العصر وهو المولى ابو السعود رحمه الله وثاه بتصيد
طائفة تدل على فخرهما العشد والمنشود . وهي من غور المراتك ومهراته
استهلها حيث قال :

اصوت صاخقة ام نفخة الصور فالارض قد ملئت من نقر ناقور
وهي طويلة اضربنا عنها وليس هذا محلها تركناها خشية الاطالمة . وجاس
بعده على شخصت الملك ابنه السلطان الاعظم السلطان سليم الثاني

وبويع يوم الاثنين لتسع مئتين من ربيع الآخر سنة اربع وسبعين
وتسعمائة ، ومولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة ، ومدته سلطته تسع سنين
وهو المبارك النقيب على الديار التونسية سلمها الله بسليهما من اوباش
النصرانية وقامت الخطباء باسمه المبارك على منابرها ولاحظت عين
السعادة منازل المحصرة واصيف فخر الدولة العثمانية لك مفاخرها ، ولما
تمسكن من ملكه تبع طريقته اسلافه في الجهاد ، فممن اكبر غزواته فتح
جزيرة قبرص بالسين المهمله ، وفتح بلاد اليمن بعد ما عصى اهالها ، وقد كان
فتحها والده السلطان سليمان فلما مات قام بها مطهر ابن شرف الدين
يحيى الزيدي واستحل امره بتلك البلاد فبعث اليه عسكريا صحبة الوزير
المبارك سنان باشا فانك البلاد ، وبلغ منها ما اراد ، وهذا الباشا السعيد
لم يكن له نظير في دولة آل عثمان ولا جاء مثله من ذلك العصر الى هذا
الزمان فكم خلف رجه الله من المآثر والخيرات حيث حل وكابه وكم بنى من
ساجد وتكيات ، يحل بها المسافر وينال من خيراتها ويحمد ذهابه وايابه
فانه كان يعمون النقيبة حيثما سار ولا استقرت قدمه باقليم الا بنى فيه
اماكن للخير والصدقة والناس كثيرون ممن شاهدوا تلك الاثار حتى انهم
يقولون ان جباية تلك البلاد لا تقى بها صنع من خيراته ، وكان سجا
لفعل الخير والزيادة لك ان مات زاد الله في حسناته * وقد سمعت سن
يقول انه كان يعلم سر الحجر المكرم ودليل هذا كثره ما خلف من اماكن
جيسة على الغبراء والى يومنا هذا يدعى له وطلبه يترحم ، وعلى يديه كان افتتاح
هذه البلاد والله معروف بالعباد * وذلك ان سلاطين تونس من بنى امي
خلص كما بيناه في اول الكتاب كان منهم من بلغ درجة الملك ومنهم
سن قاربها ومنهم سن نال الاسم من السلطنة فخط ومنهم سن تغلبت
عليه العرب واقاموه في الملك وشرطوا عليه شروطا وافى لهم بذلك وتمادت
اياهم في اقبال وادبار لك ان اتاهم ما اتى على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما
خلت منهم الديار * ولسسسا اراد الله تعالى انقراضهم وضعفوا تفرقت

ءاراهم واختلفوا الى زمن مشينهم لا حسنهم ، واطهر من مساويه ما غطى به
 حسنة احسنهم * وفي ايام تملك النصارى حلق الوادي وبنوا فيه
 حصارهم المشهور وشيدوا فيه بناء لم يشيده شداد . في ان ذات العباد .
 وابتدوا ببناء سنة سبع وثلاثين وتسعمائة . وهدموا اكثر افواس الحناية التي
 كانت لقرطاجنة واخذوا حجارها لبنانهم وجعلوا الرميثة على اهل البلاد من
 الجير والجص . وحصنوه حصانة لم يكن لها نظير واداروا به خندقا
 وادخلوا له ماء البحر لئ ان دار به دور السوار وملاوة بالآلات الحرب
 والرجال وما يحتاجون اليه بحيث صار فصحة في الحلق ، وصارت النصارى
 تكمن باخرتها ومراكبها ويقطعون في البحر على المسافرين وياخذون
 كل سفينة فصبا وعم اذا هم المسلمين وملكهم اذ ذلك باشييلية اصابها الله
 للاسلام . وكان استجده الحسن في السابق كما ذكرنا وتبع اباه ابنه احمد
 واراد ان يعد من نجباء الابناء واللعين النصراني ساعده على ضرهم ويضمر
 في الباطن بمكرة على غدرهم فاستصفي اموالهم واموال اهل البلد في واقعة
 الاربعاء وكمل على بقيتهم في خطرة الدواميس ولم يبق لاحد ما سعى *
 واما تمكن عسكرة بتونس في ايام السلطان محمد تمكن بالبلد اي تمكن
 وصار قبطان النصارى يحكم معهم في حضرته وهو له قوين وعلم بذلك
 صاحب بلاد اسبانية ان تونس في قبضته وصار يفخر بها بين زعمائه
 في قريته وقعدته حتى اذا راي من قواميسه الميل عنه يتحول لهم - داري
 عندي - يريد تونس . واراد ان يتولى عليها من اولها الى اخرها ويشعل
 فيها من اقادة شعائر الكفر كما فعل بغيرها ولما اراد ان يجعلها مأمدة قيس
 الله سليمان سليمانهم * ولمسنا نمت اخبار تونس وما حل بها الى
 ملك بني عثمان وهو السلطان سليم جعل الله النصر والتمكين في عقبه الى
 يوم الدين فاقت حتمه الى نزع الديار التونسية من ايدي الكفرة . ويبدل
 عوضهم اناسا برة . وقد تقدم ان الشيخ سيدي محرز بن خلف نفع الله به
 تعرض له في منامه واشار عليه باخذ تونس في اليقظة ولم تكن الرويا

اصغات احلام * وقسيسيل ان الباعث له على هذه العمارة وقد قدمنا خبرها اهل غرناطة فانهم استجدوه لئلا يصروهم فلما عزم بوايد بانغ استيلاء اللعين على صولتهم فثنى عزمه الى هذه الديار وعلى ككل وجه بارادة الله جرت الاقدار ، فاستدب لهذا الامر سنان باشا رحمة الله عليه وجعله سردار العسكر واصاف اليه من يسكرين له النظر على المراكب البحرية ومن كانت له بالبحر خبرة ودرية وهو قبطان البحر فليج علي باشا اعلى الله منزله في درجات الجنان وانعم السلطان عليهما بتشاريفه المعنوية وخلع عليهما وحكمهما فيما يحتاجان اليه من آلات السفر وزيادة وشحن المراكب بما يحتاج اليه من الذخائر والاموال وعلات الحرب وبرز العسكر من القسطنطينية غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وكان يوم خروج العسكر يوما مشهودا وشحنت الاغربة بالرجال وهددها مائتا غراب وثمان عشرة معونة وغيرها من السفن الكبار والصغار فالجملة الف وخمسمائة قطعة . وقد سبق التعريف بها وسارت العمارة فوق الماء مثل الطيور اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع . وان كان البر يتنشق بها فلها في البحر انساع . وطلعت على متن البحر كالطوفان . وان بردت اكباد اهلها بالامن وجسومهم بماء البحر فان مدافعهم لاء دانتهم سخنت واملت بالنيران . واجتمعت في ميناء نورين . ومن هناك توجهوا للمغرب على رءس متوكلين . واجتازوا بقلعة في بو الكفر تسمى لجة وهبطوا للبر فدعهم العدو واقتتلوا ففر العدو منهم بعد ساعة من نهار ولام هناك بعض اليات شهيدا . وظهرت علامة النصر واخذوا في طريقهم عدة قلاع وفتحوا شيئا كثيرا وفي طريقهم اخذوا مركبا مشحونا بالقصع وفي الثاني عشر من الشهر وصلوا فليبية فنزلوا هنالك واستراحوا . وفي الرابع والعشرين من الشهر بلغوا حاف الوادي ونزلت العساكر بعيدا من رمية المدافع ونزلوا اطلق الوزير سنان باشا * وكان من قدر الله تعالى قبل وصول العمارة العثمانية بيوم وصل الى تونس الباشا حيدر من الفيوان * وقد تقدم خبره ولم يكن لي علم به انه كان متوليا على منصب تونس من

قبل حتى وجدت في تاريخ انه كان صاحب البلاد واطنه خرج منها حين
دعمه العدو وكذلك مصطفى باشا صاحب مدينة طرابلس فحاصروا الى تونس
ونزلا معا بازاء المدينة في هجوم لتصد بحاصرتها * وفيه اخير اليوم ظهر
مراكب في البحر فظنوا انها نجدة للعدو فعولوا على الرحيل ليلا ولما كانوا على
اهبة ذلك جاءتهم الاخبار من عند الوزير سلطان باشا مع رجل من اهل المرسى
كان طلع للعمارة واستخبره الوزير عن احوال البلاد فاخبره بخبر الحال فبعثه
اليهم رسولا يخبرهم بتقدم العسكر العثماني . فلما صح عندهم الخبر قويتم
نفوسهم وسار حيدر باشا ومصطفى باشا في تلك الليلة في بعض الخواص
الى حصرة الوزير سلطان باشا وسليمان عليه وطلبا منه ان يتوجه معهم
بنفسه فامر طائفة من امرائه وفيهم لهم الف من العسكر واعطاهم مدافع
وزرايز وما يحتاجون اليه وامرهم بالمسير الى تونس مصحبة البكوبكيت
مصطفى وحيدر وارسل معهم ابراهيم بك من مناخق مصر المحروسة
ومحمود بك بصنحوق قبرس وبالكير بك صاحب قره حصار وصحبتهم
الفان من العسكر مع اناهم حبيب بك وتوجهوا في الحال الى تونس
واحاطوا بها احاطة السرار بالمعصم ونادواها بالقتال من كل جهاتها . فلما
راى السلطان محمد الحفصي ومن معه من النصارى كثرة العساكر هلوا
ان لا طاقة لهم بالقتال هذا مع ان قلعة تونس كان اكثرها خرابا لتواتر
المحن وقلته الاهتمام وكذلك المدينة لم تكن معمورة باهلها بل غالبها خراب
ايضا فضلا عن سعة الشوارع التي بها . فعجزوا عن تحصين البلد وقلعتها
فخرجوا الى مكان يقال له - قوملوككز - معناه بحر الرمل وعادوا به
حصارا من الحشب وحشوة بالرمل والغراب والتجوا اليه * فلبست
هكذا وجدت اسم هذا المكان مقيدا ولا اعلم في تونس مكانا يعرف بهذا
الاسم الا ما يذكر اهل تونس عن المكان الذي يعرف بالبستيون خارج
باب البحر من شرقي المدينة . وهذه الاخبار تصدق عن ذلك المكان والخبر
- وابر عنه الا ان صاحب التفسير الذي نقله عن هذه الحكاية كان

يعيد الأدار من الديار التونسية وإنما بلغه الخبر بلسان المخبر ومنه قيد ما سمع منه * ولما تحصنوا بهذا المكان وكان فيه نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كافر وموحد وشحنوا تلك البقعة بألات الحرب والمدافع الكبار ومن الطعام شيء كثير طينوا أنه ينبغيهم من خصاء الله ، فعند ذلك خلت المدينة وقصبتها ولم يبق فيها من يصونها فدخلها العسكر العثماني من كل جهة ومكثوا المدينة وقلعتها وحصونها بالأخشاب والألواح والتراب واحكموا ذلك . هذا والحرب بينهم على ساق . واهل الملة المحمدية مقابلة لاهل المشقاق . وبعثوا يخبرون الوزير المعظم سنان باشا بما وقع لهم ويطلبون منه المدد بالاعانة ومن ينصروهم فلما بلغ الوزير ما هم عليه هول على من يقوم مقامه ويستوفيه فبعث لنصرتهم القبطان قلعج علي باشا رحم الله الجميع فتوجه بجمع من العساكر المنصورة من طائفة السليمانية ليكفوا اعانته لمن تقدم قبلهم من صجركم . فلما وصل الباشا قلعج علي الى تونس وشهد تحصن البستيون وكثرة التصاري والاعراب المرتدين الذين به رداء حصنا عنيفا فبعث الى الوزير يطلب منه عدة مدافع اخرى وزيادة عسكر فبعث له الف ينشري وبعث معهم علي باشا ساحدار الباب العالي وثمانية مدافع وستة زرايز والحقهم بالقبطان قلعج علي باشا . فلما وصلوا اليه اجتمع امرهم ان يدوروا بالبرج من كل جهاته وكانت الكفرة وتن معهم من المرتدين كثيرين ما بين فارس وراجل وجاءت لنصرتهم طوائف من العربان وخرجوا من قلعتهم مرارا ودهموا المسلمين واقتتلوا مرارا ومات عن الفريقين خلق كثير . فريق في الجنة وفريق في السعير . وأمدد الامر على المسلمين والمدد متصل باعداء الدين . وبلغ الخبر الى الوزير سنان . فجاء رحمه الله بنفسه الى اصلاح هذا الشأن . هذا والحرب متصل بين اهل خلق الوادي وبين رجال من العسكر العثماني قويي الهمم غلاظ شداد . ولما نظر الوزير الى حصانة القلعة التي هي البستيون اشار براهيم السعيد على ما اقتضاه نظره السديد بالتدبير . وامر بتوزيع طوائف العسكر من

كل جهاته . وعين لكل موضع من يتقدم به من رجاله وكمائمه . وأشار على القبطان والبيكر بكيت بما رآه من الصواب . وهون على الجميع حسن العاقبة ورتدهم بنصر الله واحسن اليهم بالخطاب . فاشتدت نفوسهم بكلامه ورويته . وايقنوا بزيه ومشورته . وعاد من يومه الى محل اوثاقه من حلق الوادي وقصد لاهم فالاهم وان كان كل موضع حصل فيه فصل الجهاد . ويأتي تمام الخبر في عمله ان شاء الله تعالى . وما استطردت الى هنا إلا لارتباط الحديث لان اول الحرب وقع في هذا المقام عدة ايام . ولما تيسر ابتداء الفتح بحلق الوادي كان في البستيون التمام . ولنرجع الى خبر حلق الوادي ومآثره . ونسوق الكلام ان شاء الله من اوله الى اخره . تقدم ان العمارة المنصورة بلغت الى مستقرها من حلق الوادي يوم اربعة وعشرين في ربيع الاول ونزلوا للبر على بعد من رمية المدافع ونصبوا اوتاقاتهم . وارتجت الارض باصوات مدافعهم . ورين مكاحلهم ونزلوا المدافع الكبار التي اتوا بها لهذا القصد . ورموا بها من البعد . الى ان علا الدخان وصار النهار يحاكي الليل . وبرز الامر من الوزير ان يتقدم العسكر على عادته . وان ياخذ كل انسان اهتبه لما يعلم من صناعته . فنهض متفرس متدرس بالحرب والجلاد . ومنهم من عادته نقل التراب والرمل وقلع الاصلاذ . وصاروا يتقدمون قليلا قليلا ويسوقون التراب ويستثرون به ويحفرون خنادق في الارض وينزلونها . ويجعلون متاريس ويستثرون من خلفها . وهذا تاب العسكر العثماني في كل مكان . ولم يزالوا على هذا لاسلوب الى ان احاطوا بالبرج من كل جهاته ورموه بالمدافع والمخنيقات والبندقيات ورموا عليه اصنافا من آلات الحرب . وكان هذا الحصن لم ير مثله في الشرق ولا في الغرب . وكان للنصارى به اهتمام وحصنوه بما قدروا عليه من المبتدأ الى التمام . واداروا به خندقا واجرؤا الماء فيه . والماء من البحر الى البحيرة والسفن تجري فيه . وهو منع من كل جهاته . واسواره مشيدة مشجونة بحصانه . وقد كنت منذ زمان وقفت على رسالته بعضها بعض من شاهد الواقعة لبعض الروساء بالديار العثمانية واخبر فيها

بها شاهد من شدة الحرب وندعة الحصار وكثرة رجاله وذخائره وسعته وطوله بما يعجز عنه الوصف ومن شاهد بقیة عايشة حاكم بصحة ما وصف ولكن طال عني وبعد زمانها ولم يحضرنی إلا القليل من اخبارها ساذكرها في اوانها * ومسسن جلته ما قال فيها ان سعة السور يسير عليه سبعة من الخيالة من غير ازدحام . وان البناء الذي به ما ساء طائر عقل ولا عنه حام . وعدد الدور التي حوله لسكنى المهاجرين ازيد من مائتي دار والبحر من جميع جهاته . والخندق به دائر ودور المهاجرين من ناحية المغرب وعاثرها باقية . وكل ما ادموه من البناء اهدمه الله على ايدي المسلمين وبددت صنائع المشركين فهل ترى لهم من باقية . وكان عمق الخندق ستين ذراعاً وقعره متصل بالبحر وفي حافته قبة منيعة اعدوها للتحصن فيها ونقبوا تحت الارض نقبا طويلا يتصلون منه الى تلك القبة . وكافت قريبة من ناحية الوزير فظن بمن كان فيها فسار الوزير اليهم برجالهم وقائلهم قتالا شديداً وملك القبة وقتل من كان بها . واعجزهم امر الخندق فما وجدوا له حيلة إلا ان يملأ بالتراب فبعث الوزير بأمره السعيد الى العسكر ان يجتهدوا في نقله فامتثلوا له ان نقلوه في ثيابهم * والرسالة التي تقدم ذكرها يقول فيها ومما رمي به في الخندق من الصوف مقداره بالعدد سبعون الف شليف . والشليف عبارة عن حل الجمل ووضع في كل شليف قطاران من الرصاص ليثقل به ويغوص في الماء * قسمت هذا المقدار الى اربعة اقسام فاشتملت قيمته كمائة مائة من الالوف فكيف غير ذلك من الاجفان والاث الحرب وبارود ومصروف من الاموال على الرجال هكذا تكون والله ملوك الزمان . ولولا ان السلطان سليم رحمه الله من البشر الذين بعد النبوة قلنا انه سليمان ولكن هو ابن سليمان . واخبرت من اهل تونس ان الصوف الذي القوة في الخندق جي به من نجح دريد اكثره ومن شهرة ائمه * واظن ان المشيخ عبد الصمد من حضر الخطبة

كما ان جده اجد بن نويرة المحمودي حضرها هو وجلته من العرب الذين
بارض طرابلس جاءوا عسكرة المحطة التي بها مصطفى باشا * ولما القوا
في الخندق الصوف القوا من فوقه الحطاب والتراب والاششاب واهتم
العسكر بنقل التراب كل الاهتمام وادعوا بينهم غاية الاقدام لى ان ملاوة
من اوله لى اخره وصارت فوقه كيمان كالجمال ، وجلت الرجال من
التراب ما لا تحمله الجمال ، وكانت لتلك العساكر نية صالحة ، بلعوا انفسهم
واشترىوا الجنة فكانت لجاراتهم راحة . وسسمعت من نقل عن شاهد
تلك المواطن انه مر برجل من العسكر وهو حامل على ظهره حملا من
الحطاب لكي يلقيه في الخندق وبع عدة جراحات وهو على اخر رمق قال
قاربت ان اخفف عنه فابى ولم يزل سائرا به لى ان الفناء في محله .
ومات لوقت بحضور اجله . رجم الله وعامله بنيتهم عن عمله * ولما امتلا
الخندق بالتراب بنوا المتاريس فوقه وصار المكان املا من حيطان الحصار
واتفق هذا الواقع لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني من السنة
المذكورة هذا والحرب نارها متقد في كل الجهات ، واخرج الله الصبر على
عصابة المجاهدين والحزبي على الطغاة ، ونصب الوزير مدافعه فوق الحصار
ورمى من كان به من الكفرة من افواجها بالنار ، فالتفتهم النار الى النار .
ورصل في اثناء ذلك رمضان باشا المتولي على مدينة الجزائر في التاريخ معه
ثلاثة الاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير سنان باشا وطلب منه خدمته
يودها فارسه ومن معه لى اعانة الذين بتونس ، فتوجه اليها وحظ عليها
مع من هنالك من العساكر والبايات ، والامراء والغزاة ، واستمر الوزير في
تحرير المسلمين على الاقدام الى البرج الذي بحلق الوادي وتشديد الحرب
عليه من كل جهاته لى ان وهنت نفوس اهل العناد ، ومن قدر الله
سبحانه ان محمد عرب كان بعسكر من ناحية رادس فعزم اهل الحصار
ان يدهموا ليلا على حين غفلة وتكون وصمته على المسلمين فخرجوا عليه
عند الفجر فوجدوه يتبظا على اعمه فاقوع بهم فانبرسوا بين يديهم فشتبهم

يقتل فيهم لئلا يدخلهم الى حصنهم . ووافق الخال ان الوزير حين من
العسكر من يقدم بنفسه لئلا يبرح ويبيع نفسه في مرضات الله وجعل
لهم مطايا سنية لاول فالاول من الف دينار وقل وعين لذلك من جميع
الجناس . ووافق دخول المنهزمين من ناحية رادس وهم ذاهلون ولم
يستطع احد اضلاق الباب والمسلمون على اهبته فحملوا حلة رجل واحد من
كل الجهات واعلنوا بكلمة التوحيد وارتفعت الاصوات فتزلزلت الجبال
بحماتهم . ودخلوا القلعة والقصر المشيد بيوتهم . واخذوه عنوة بالسيف .
وقتلوا من فيه من المقاتلين بغير تشبيه ولا تكليف . وكان هذا الفتح
التقريب والنصر الغريب . الذي مر به البعيد والتريب . لست مصيب
من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة والله الحمد والمنة * وشنموا
ما كان فيه من الذخائر التي لم يوجد مثلها في مكان ومن العدد والسلاح
وعالات الحرب ما لا يوصف . واخبر الوزير ان الذهب الذي انتهبته
العساكر ليس له حصر فسامر الوزير بتفتيش الاخبية والرجال فوجدوا
شيئا كثيرا . واخبرني بعض الناس قال اخبرني جدي وكان ممن حضر
الفتح واصابته جراحات يوم الدخول للحصار قال بينما انا واقف اذا بعض
اصدقائي وضع تحت فراشي من الدنانير التي انتهبت فلما دخلوا الى الحيا
الذي انا فيه ووجدوني في حالة المرض انصرفوا عني وسلم ما كان تحت
الفراش وكان ازيد من ثلثة آلاف دينار . واسر قبطان الصاري صاحب
البرج والحاكم عليه . ومر السيف على من وجدوه من الصاري المجرسين
والمرتدين من ساكني البرج وما يليه . وشاع في الخاضقين خبر هذا الفتح
المبين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين * وكان هذا الحصار من
اعظم ما شيد بنيانه فوق الارض . فانشاء جيش السلطان سليم وقال امرة
السعيد نريد ان ينقض . وكذا وقع الهدم على ذلك البناء العالي الى ان صار
هبا . وحظ من اعلاه الى اسفله وتفرق من كان فيه بايدي سبا . وراى
الوزير ان ابقاء على حالته الاولى لم يامن عليه من الافات * وكان

انتقامه بالفعل الماحي فوق عليه الأمر بجزم الفتح فخطي أن لا يتم له الرفع
فيما هو ذات ، ولم يبق من اثره إلا ما هو معلوم عندنا اليوم ، وهو المكان الذي
كان مسكنا لقبطانهم وباقيه مسكنا لليوم * ومن عجيب الاتفاق انه
رسمت معاليه في سنة سبع وثلثين وتسعمائة ومكثوا في تحصينه مدة ثلاث
واربعين سنة لم يبطل لهم يوم بلا تحصين * ولما اراد الله سبحانه وتعالى
نزعهم من ايديهم اخذ في ثلثة واربعين يوما عدد ما ملكوه من السنين ،
فكان كل يوم من ايام الفتح يقابل مما ملكوه بسنة ، وأن كان طغيانهم تزايد
في تلك المدة وانتهبوا لاخذ البلاد فانه كان سنة ، والله تعالى يديم عز هذه
السلطنة العثمانية ليدوم بها عز المسلمين ، ويجعل سيفها قاطعا بحده في
الحُد وفي رقاب المشركين والمنافقين ، وارسل الوزير البشاقرة الى الباب
العالي ، وكتب بما يسر الملك والامراء والموالي ، ولولا تدارك الله هذه
البلاد بنصرة هذا الملك العظيم ، لكان الكفر استحوذ على اكبرها حتى لا
يكون بها سليم * وقيل ان ملك النصارى لما سمع بهجوع العسكر
العثماني اطعمته نفسه ان يمد اهل الحصار بمدد من عنده ، ويرسل
عمارة مشحونة بذخيرته وجنده ، وطم ان باب الاستدراك واسع ، ولم يعلم
بان الحرق اتسع على الراقع ، فبعث رجلا من حكمائه يتطلعون احوال
القوم ، فذهبوا ورجعوا في زمن قريب كأنه يوم او بعض يوم ، فسألهم عما
شاهدوا من احوال العسكر وابصروه ، فلم يكتموه بنصيحتهم واخبروه ، وقالوا
راينا ما اذهلنا ، وحير افكارنا وشغلنا ، وذلك انا وجدنا كل صاحب صناعة
مشتغلا بشغله ، وكل سن هين في مكان للجهاد ملازما لفرضه ونظمه ،
والقوم بين طباج وجزار ، واسواق ملثانة بالباعة من كل صنف والمشتري
بين دلال وسمسار ، وحداد ونجار وبيطار ، واكثرهم مشتغل بجمع الدرهم
والدينار ، ومنهم من يتداول الحرب ويعتمد عليه ، ومنهم من همته شان
نفسه ولا يلتفت اليه ، وليس لاحد علم بما صنع الاخر ، وعسكر المغائلة
ليس له اول من آخر ، ولو تبعث اليهم بجميع النصرانية ، لم يثن ذلك

شيئا ولم يبق منهم بقية . فبطل عزمه وزعمه . وحام ان الهم دهمه واهمه .
فاستوحش لما اخذله الله بعد الثمانس . وانهب الله رجسه الذي كان
يتونس * ولسا اتم سنان باشا ما فتح الله عليه بحلق الواد . ثنى عزمه
المبارك الى البلد التي لم يخلق مثلها في البلاد . فرجع بعسكرة المنصور الى
تونس واجتمع بالغزاة المحاصرين قلعة البستيون وهم في اشد القتال ففرج
البكرو بكية والامراء بقدومه واشتد ازهرهم به واطمانوا وتقدم معهم وحاولوا
على من بالقلعة حلة لاسود الصارية . وتعلقوا باطراف الحصار من كل
ناحية . وعمات السيوف والمدافع بين الفريقين . ومات خلق كثير من
المتين . وتواطى المسلمون على الاقدام الى ان دخلوا عليهم بالسيف وقتلوا
منهم زهاء ثلثة آلاف . ورمى بانفسهم من اهل الحصار الى اسفل زهاء
خسة آلاف وبعثوا رمية سهم ثم ارادوا ان يتسوسوا بالتراب لان العسكر كان
مشغولا بالنهب فتداركهم الوزير قبل ان يستحكم امرهم فتقاتلوا قتالا شديدا .
وعلم اهل الكفر ان لا مانع لهم من الموت الا الموت فاقدم كل على صاحبه
وتضاربوا بالخناجر وعانق بعضهم بعضا الى ان بدد الله شملهم وقتلوا عن
آخرهم الا من نجا منهم الى شكلي ولم ينج من قضاء الله . وملككت
المسلمون البستيون واخذوا ما كان فيه من امنة واسباب واليوسات والاث
حرب ومدافع وبارود كثير وبشمات اعدوة لخصارهم واخشاب والواح استعدادها
لانقار حالهم * وكان البستيون اقوى ضررا على اهل تونس من غيره
لانهم ارادوا ان يبنوا فيه حصارا ومدينة وقد ابتدوها وفصلوا شوارعها
واسواقها وكادت ان تستكمل لولا لطف الله باهل تونس ولو تلخر العسكر
العثماني قليلا لكان ثم لهم ما ارادوه ولكن قدر الله اصجلهم عن انمام البناء
وانقانه . ولو تكمل بنيانه لكان اصعب من غيره ولو لم يهتتم السلطان
سليم بهذا الفتح لاستاصلوا افريقية بالجملة ويتفرعون من تونس الى طرابلس
ولم يكن لهم مدافع هذا مع شدة نفاق العربان الذين بافريقية لانهم او
اكثرهم لا يراعون الا ولا ذمة والكفر اقرب اليهم من الايمان فجزى الله

خير هذا السلطان علينا وعلى جميع المسلمين . وجعل السلطنة والنصر في عقبه الى يوم الدين . ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر مائتين بالاسلالم والاغلال وربما اهل البستيين كانوا يشتون الناس عن اديانهم وما عسى غير ذلك . وكان اخذه بعد حاقى الروادي بسبعة ايام وقيل خمسة عشر يوما وقيل غير ذلك والله اعلم . واسروا قبطانه فاراد ان يفدي نفسه بالمال فصرهوا بغيره لانهم وجدوه ببني في رودس وايتنا في جربة لما اخذها درغوث باشا وهذه الثالثة في البستيون فارجح الله منه لاسلام . ثم ان الطائفة المعونة لما تحسنت بشكلي طلبت امانا عن الوزير فامتهم : وقد رأى في ذلك مصلحة فاجاء اليه زعماء مائتي منهم واخبروه بامور مهمة منها ان عندهم مائتين وخمسة من رجالهم اهل صناعات غريبة . منها صل الطوب الذي يعجز عنه وتدريب الحديد والنحاس وعمل المدافع الكبار وغير ذلك من الصناعات فاعطاهم الامان واخذ اولئك المعلمين وشرط عليهم تقربغ المدافع وسبك النحاس وتكون في ارجلهم القيود ويتكفل بعضهم ببعض فوضوا بذلك واعطاهم على هذا الشرط الامان وكساهم وجعل لهم العلوفاة واستخدمهم للباب العالي ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار . وكان هذا التسخ لاخير المباركة يوم الخميس لخميس بقين من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة وقيل في الثلث الثالث عشرة آلاف مقاتل . ومن المسلمين ذلك القدر ختم انه لهم بالسيادة . ورواهم دار الرضى لما ختم لهم بالمحسنى وزيادة . ومات من اعيان العساكر المنصورة امراء اعلام . فمن مشاهيرهم صقر بك صنجق الاسكندرية . ويازيد بك صنجق ترحالة . واحمد بك صنجق اوونته . ومصطفى بك صنجق اسيس . ومن امراء الاكراد خضر بك وفرهاد زعيم البشرية ورأس زمرة البغامين . وكثير من الزعماء واهل الثمارات وغيرهم عدد كثير . واخذ الوزير من الاماكن الثالثة مائتي مدفع وخمسة مدافع كبار غير الصغار وزرايز وترك لحفظ تونس خمسة وثلاثين مدفعا وارسل للباب العالي مائة وسبعين مدفعا من الكبار العظيمة للامانة هناك . وارسل بصورة التسخ الى

الابواب الشريفة خلد الله سلطتها . وانفذ في الخائفين كلمتها . ورفع درجاتها
ءامين . ولا يطن السواقف الى هذا المجموع اذا سمع لفظه حصار حلق
الوادي انه كجملة الحصارات الموجودة كلا بل هذا اعظم حصارات المغرب .
ولاعيت ان النصارى نكثوا في بنيانه واتقانه طول المدة التي ذكرناها .
وهدموا لاجل ذلك الحناية التي يعجز العالم عن ددمها فما عسى مبناعا . واخذوا
حجارتها المنحوتة من عهد ابن النمرود . وافرغوا عليها من آلات البناء حتى
قيل انها من صنع دارود . وانما اطلق لفظ حصار على هذا المكان بجازا . وانما
هو مدينة على الحقيقة والبحر بينه وبين من يصل اليه بجازا . وشكل ذلك
المدينة مربع . واربع حصارات في تراكنها الاربع . والبحر من قبلتها
والبحيرة من ناحية الجنوب ويلتقي البحر والبحيرة من ناحية الغرب ولهم من
جمع البحرين قبة وهي المعبر عنها بالبريجة في يومنا هذا . وادخلوا خليجا
من البحر ءاخذا من القبلة الى الجنوب ءاخذا في طريق الناحية الشرقية .
وخليجا آخر مارا من الجهة الغربية ويدوران بالمدينة دور السوار بالمعتم
وتدخل ثلاثتهم من البحر الى الخليج لاخذ من ناحية الغرب وتكون
مرسعا عند باب مدينتهم . والباب تحت الحصار الذي على ربع المدينة ما
بين المشرق والجنوب والخليج المار من شرقيها فيه مرسى الغلائط الكبار .
وغربي المدينة على صورة الرضح الدور التي كانت سكنى المهجرسين وستن
سواهم من الكثرة ازيد من مائتي دار ولهم حاجز بينهم وبين من يصل اليهم
مثل الصور . وبناء المدينة بوجهين داخل وخارج كل وجهه حجارته من
اعظم شيع يكون وما بين الوجهين حجر دقيق مفرغ عليه الجبير والرمل كافرغ
الرصاين بحيث لا تعمل فيه العاويل ولا النيسمان بل ولا البارود الذي هو
بل ريد . ويشهد لما قلناه ان في اماكن من هذه القلعة عدة مواضع كانوا
جعلوا فيها الغاما فلم تغن شيئا . وءانار هلك الالغام باقية . وءانار المحيطان
على حالها راقية . وفي وسط الحصار كنيستهم باقية ءانارها ايضا ولهم عدة
مواجهل لاجتماع الماء الذي ينزل من الطر وهي مثل الدواميس مشبو عليها

من اعظم ما يكون وهي باقية الى اليوم . وبكل ربع من الارباع منها حصار مستغل بنفسه مبني على اقيسة يحير العقل في وصفها وصورة لاعلى كالاسفل في الاتقان . وهذا قليل من كثير . وانما شاهدناه من بعد التدبير . ولم يبق منها الا الربع الذي بين القبة والمغرب وهو الحصار الموجود في زماننا هذا ومفتح الباب لان الى ناحية المغرب . وهو باق على حالته الاولى ولم يتغير منه الا شيء يسير . ولما نزلت بساحتهم العمارة العثمانية صباحا وانذروا باخذ ما احكموه « فساء صباح النذرين » . ولما اخذهم الله اصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم الظالمين . ونزول العمارة من ناحية المشرق وامتدت الى ناحية المغرب ومن هنالك وقع الوباء الذي القوه في المخذق كما ذكرنا سابقا وجعل فوقه المتاريس الى ان صارت مدافع المسلمين اعلى من فوق رءوس اهل الشقاق . والوضع الذي اخذ منه الشراب والنوة في المتاريس انحصر فيه الماء واختلط بماء البحيرة حتى صار كانه منها يسمونه انغديرة الكحلء لكثرة مائها وعتفها . وصار السمك فيها كثير . والمان الذي كان مينا للمراكب من كل الجهات صار ملاحته يسعى الملح منه الطائفة المرتبون لان لحظ الحصار . ودارت تلك المصانع مشهورة وانما وقع الوباء على الدور التي كانت من خارج المدينة وعلى الاماكن المرتفعة منها . واما الجدران فهي الى ان يشهد اهلها بانها كانت غاية لا تدرك وانها كانت حصينة منيعه ان ملك او يتملك وطولها ... (مختص) ... واما المكان الذي يعرف بالستيون فمعروف لكن ليس فيه عائل بقاء الا ما وجد فيه في حدود الخمسين بعد كالف في ايام حاكم تونس وهو مراد دمي لما امر بتقل الازبال التي اجنعت هناك وانتم اهل المدينة ان يشلوها ويضعوا في المكان المختص ما كان في المرتفع فوجدوا من كور المدافع شيئا مستكبرا يستدل به على ما وقع هناك من شدة الحرب ونابيك بمكان اجتمعت على اخذه اربعة بحال واربعة باشوات حيدر باشا ومصطفى باشا صاحب طرابلس واجد باشا صاحب الجزائر وكان منفصلا عنها في التاريخ ورضان باشا كان

ممثلها عليها . والمدد الذي امدهم الوزير به وهو ابراهيم بك من صنایق مصر
ومحمد بك صبيح قبرص وبالكبير بك صبيح قره حصار كل هؤلاء ما منهم الا
ومعه عسكر الفاندر من عسكر السلطان والى رجل من الطجبة لخدمة المدافع
والى ينشري وهى عاشر ساجدار الباب العالى وجاعته والطاعة الكبرى
وخلج على قبطان البحر حضر مع هؤلاء المذكورين وعدة مدافع وزوارى امدهم
الوزير بها ومشاهدة الوزير لهم المرة بعد المرة . وبعد هذا لم يحتوا عليه الا
بعد فراغهم من حلق الرادي . وان سكان هذا الخبر قد سبق ذكره الا
انني اذنته هنا لزيادة التعريف بها وقع من البلاد في وقعت البسنيون وانلا
يظن الظان ان هذا المكان ليس بشي . واما جزيرة شكلي ادركها بها اثار
البناء وقد سبى التعريف بها في اول الكتاب . وهذه الاماكن المذكورة
اعجزت سلاطين بني ابي حفص ولم تكن لهم قوة عن حسم هذه الطامة
واهل تونس معهم في جهد جهيد . ونار حرب كانوا قيل لها هل امتلت
فتقول هل من مزيد . الى ان سن الله تعالى على هذه المملكة بتن نظر حالها .
وفك بعد ما استولت عليها ايدي الكفرة عثمانها . وهو سلطان البرين والبحرين .
وخادم الحرمين الشريفين . ودامع الطغاة والمفسدين . السلطان ابن نسل
سلطان السلطان سليم بن سليمان . خلد الله سلطنته . وابدها في ذريته .
وجازاه في دار الكرامة بما فتح بسيفه وحسن نيته . ورحم الله وزراءه الذين اخلصوا
له بالطاعة . ولم يشقى احد منهم العصا ولا خرج من الجماعة . خصوصه
تن كان هذا الفتح على يديه . الوزير الاعظم سنان بانا عامه الله بما جرت
من الصالحات على يديه . ولما تم له هذا الفتح . الذي حصل له به الربح
والنجاح . بعث بالخبر الى الابواب العاليت . وبهر بان الكافر بن ليس لهم
باقية . وانعم على تن كان في ركابه من الزعماء والاكابر . وبذل احسانه
لمن كان معه من العساكر . وانعم على كل صاحب مرتبة بما يستحقه . ومرى
ذلك على الباب العالى فبلغ لكل احد حقه . ومهد البلاد وامن العباد .
وقمع وخافه اهل الفساد . وترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار

الينشيرية وهي الواحدة بعد المائة على ما هو المتعارف بينهم . والجاري على عادة القوانين العثمانية وتن سلك طريقهم . ورجع إلى تلك الديار . ويختلف من ذكره ما سارت به الركبان وطارت به الأخبار . واخذ قبطان البصاري وقيده وحمله في مركبه وحمل السلطان محمد آخر بني ابي حفص وهو آخر العهد وبه انطلقت دولته بني ابي حفص من هذه الديار . ولم يبق من نسبهم إلا ارامل وعجائز وبيبات وابكار . وانشد لسان الحال *
كان لم يكن بين الحجون الى العشا انيس ولم يسر بمسكة ماسر
ولسنا تكن قدم العسكر العناني في تونس كما ذكرنا ورثب الوزير
سنان باشا قوانين صارت من بعده ذابته الرسم . واطهر ناموس الملك وقدر
فيها المرتب المعلوم . رجع إلى دار سلطانه بالديار الرومية . ويختلف هذا العسكر المعبر عنه بالينشيرية . فضبطا ملك تونس ودعمت قوادعهم . واستمرت بأيديهم خلفنا عن سلع والربان مساعدتهم . واصبحوا ما نسد من بنيان فاعنها . وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها . وهي المعبر عنها بدار الباشا . وكذلك الدبوان كان يرسم بها وجعلوا قوانين يتميزون بها وهذوا في اول امرهم في الاحكام حذود ديوان الجزائر . والمنصرف في احكام البلد بأسا الوقت ونظر العسكر الى آعاهم . ودرنت الدواوين وخرجت الولايات والجهات . ونشرت في بلادهم كلافوقى باسم السلطنة العثمانية الرابات . وتوزم الخطباء على المشايخ باسم السلطان العناني وحرب اسمهم على الدرهم والدينار . واصيقت إلى مملكة المشرقية هذه الديار . واستمرت طلبها الرلافة العثمانية . وجاءتها من الفسطاطية زعماء الروساء ونصحتهم فبها البانوية . وجعلوا اصطلاحا على عادة اهل الجزائر التحكم في الديوان والعسكر جماعته البوكباشية . ولكن ساروا في احكامهم بعفتهم على تن دولتهم في العسكر ووقع منهم الجور حتى ان الواحد من البوكباشية اذا كان عنده صبيان وهم المعبر عنهم بالعزوبة تكون له حرمة وافرة وربما مد يده في اليبلاش وما حسى تن دولته فسيتم نفوس العسكر واضمروا لهم الشر وتعاقبوا بينهم على

الفنك بهم في يوم معلوم وهو يوم جمعة * وكان وكيل المخرج في الديوان واحد منهم اسمه طبال رجب وله عقب الى اليوم فساعدتهم على ما ارادوا ووعدهم انه لا يحضر ذلك اليوم لتكون البيوت التي فيها السلاح مغلقة بحيث لا يجدون سلاحا يذوبون به عن انفسهم . فلما كان اليوم الذي نواءدوا فيه واجتمع اهل الديوان دخل عليهم العسكر على حين غفلة ووضعوا السيوف في سن وجدوه هناك ولم يفتح إلا سن لم يحضر ذلك اليوم وتبعوهم في منازلهم وقتلوا منهم من ظفروا به . ولم ينج إلا سن فر بنفسه وكانت هذه الواقعة في اخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمائة * وكانت اشارة الشيخ النشاش قد تقدمت بما صار لهم لانهم كانوا طالبة بمال ليستعينوا به على مرتباتهم لان الشيخ كان ينفق انفاقا من لا يخشى الفقر من كثرة احسانه للفقراء واحياء الزوايا التي في المدينة والخارجة عنها واطعام الطعام وفك الاسارى وافعال البر حتى قيل انه كان يصرف في انفاقه من كونه الله فسولت لهم انفسهم ببطالته فطالبوه وارادوا اكراهه فبعث جماعة من الفقراء الى المجازر التي بتونس وامرهم بشري ريس الكباش فاجتمع له منها شيء كثير وفي اثناء ذلك حل بهم ما حل فكانوا يرون هذه الواقعة من كرامات الشيخ نفع الله به ءامين * ولما فعلوا فعلتهم تحزبوا احزابا وصار كل حزب منهم له ريس فاجتمعت عدة روساء وصار كل ريس يدعوا باسم الداي وهذه اللفظة معناها خصال باللسان العربي وهي هندهم تكبيرة بمن ينادى بها وصارت جماعتهم تقرب من ثلاثمائة رجل * واذا حل بهم امر تجتمعوا في القصبه وتشاوروا بينهم الى ان يتفقوا على رأي واحد ولكن لا يتم لهم رأي من كثرة دبايتهم * وكان اكبرهم اذ ذلك ابراهيم داي اشتهر بينهم بشجاعتهم وكثرة جماعتهم إلا انه لم ينفرد بينهم بالحكم فمكث على حاله ثلث سنين وطاب منهم دستوروا لزبارة الحرمين فاذنوا له وفارقهم ولم يعد اليهم وعاد الى بلاد الروم فاستوطنها وعاش الى بعد الستين والالف * ولما خرج من بين اظهروهم قلم مقامه موسى داي واراد ان ينفرد بكلمته في الحكم فلم يتم له مراده فلما رأى الاضطراب في العسكر

والهجر بينهم ذلت نفسهم فكث نحو سنته وطلب منهم المسير إلى الحج كما طلب إبراهيم داي فأذنوا له ، فلما خرج من بين أظهرهم بعثوا له ان لا يعود اليهم فما رجع بعد ذلك ، ثم تدايعت فيهم الرسالة وصار كل واحد منهم يريد الاستقلال فقام من بينهم انسان احدثهما قاره صفر والاخر عثمان وكان عثمان اقل من في الدايات جعا وذكرنا الا ان الوقت سائده والقدر موافق له فوقع بينه وبين صفر داي مشاجرة فذهب كل واحد منهما إلى منزله ولبس لامته حربيه واقبل إلى القصبه ، فسبق اليها عثمان فدخلها وجلس في سقيتها واجتمع اليه بعض جاعته فلما رأى صفر داي تبالا إلى القصبه بعث له من رده وامره بالخروج من البلاد فخرج على وجهه ولم ينتطح بينهما عنزان فخرج صفر داي وسافر إلى ناحية الجزائر ولم يزل هناك الى ايام يوسف داي فاعاده إلى البلاد ولم يكن له اسم بعد وعاش إلى قريب من الخمسين والالف ومات بتونس بعد ما تزوج بها وكان له ولد وادركت صغرا هذا رايته ، واما عثمان فانه لما نفى صغرا حابه من سواده واخذ في تشتيت اكابرهم وخائفه اكثرهم فهربوا من بين يديه وسكن غالبهم في اطراف البلاد خيفة منه ، وهو اول داي انفرده بالكلمة في سنة سبع والفسه ، فباشر الولاية بجاش متين وصولته زائدة وكانت فيه شجاعة قوية بحيث يباشر الامور بنفسه ، وربما سمع ببعض الجنات في الغاية للفسدين من الانراك ينتهبون الغلة فيخرج بجاعته في طلبهم حتى يظفر بهم ، وكان اهل البساتين قبل ولايته اذا طابت غلاتهم طلبوا من اهل الديوان من يحرسهم ممن يجترى عليهم من العسكر لنهب غلاتهم فيعينون لكل مكان ساقجا يحرسهم ويجعلون له جعلتلى ذلك ، فابطل عثمان عادتهم وصار يحرسهم بعنايته فخافه الناس وجعل تلك العادة ياخذها الساقجي من الباعة الذين يلوجون في الاسواق فاسان على كل واحد ، وانحسبت لاشرار من العسفر في الجنات والبساتين ، وقام بالدولة احسن قيام لا ترد كلمته ، واذا نكلم لا يراجعه احد ، واراها ان يفتالوه مرارا فلم يتم لهم ذلك لانه ياتي اليه من

يعلمه فيتمكن منهم ويقتلهم اشرف قتلته * ولما تم له الامر نفى
اهل جربة القاطنين بتونس لانهم كانوا تحت حكم اهل طرابلس فاجلاهم
من تونس * وكثرت في ايامه غنائم البحر حتى كانت لا توصف وفي
ايامه كبر صييد محمد باي بن حسين باشا وكان قبطان البحر بغلاتطه وجر
عدة غنائم مشهورة . وكان عثمان داي اذا جاءت غنائمه طاع الى حلق
الوادي ويعد الغنيمات هناك فيبع للتجار ربح قوي * وفي ايامه جاء
دال قبطان من بر النصرى وحصر ما بحلق الوادي من المراكب ومنعها
من الخروج فخذاهم عثمان داي الى ان دبر به واسره وسجنه في القسبة
وبها مات * وفي ايامه كان الفناء لاظم وذلك في سنة ثمان عشرة واربع
عشرة بعد الالف وهو مشهور بين اهل الحضرة بحيث اجتمعت تلك مسائل
الوباء والغلاء وتغيير السمكة في زمان واحد فكان اهل تونس يرون هذه
الابور من اعظم شئ حل بهم بحيث بلغ نفيز الحنطة ثلثين دينارا . وادركنا
من كان يستعظم هذا الامر ولو ادرك ما وايناد في عصرنا لاستصغر ذلك لانا
شاهدنا الغلاء المفراط الذي لم يسمع بمثله في افريقية قط بحيث بلغ النفيز
من الحنطة اضعاف ذلك وبيع الصاع من الحنطة بنصف ريال فيكون ثمن
النفيز قريبا من المائة ريال وذلك في محاصرة التتمة والمدينة في الكائنة
العظمى التي حرقت فيها ابواب المدينة وسياتي لها ذكر بعد . واجتمعت
مسائل ثمر حلك * وفي ايام عثمان داي كثرت غنائم البحر كما قدمنا لان
النصارى كانوا في غلته عن الاستعداد لتسحين المراكب الكبار . وانما كان
يسافر الغزاة في الفراقط وما ظهرت المراكب مثل الشيطيات والبطاشات وغيرها
من السفن الكبار الا في زمن عثمان داي . وكذلك في بلد الجزائر وتنادى
الحل الى اليوم وسافر عثمان بنفسه المحملة مرتين بتلة الجريد وهي التي اخذ فيها
بلد سدادة وحلته الصين . ومهد البلاد وجعل قوانين للرعايا يكون العدل بها
ويسمونها قوانين عثمان داي وقد تغيرت لان تلك القوانين * وفي سنة سبع
عشرة قتل عثمان داي محمد باي بن الباشا حسين لانه اراد الوثوب على عثمان

فطن به . وكان اتفق مع جماعة مستفيضة وأطلع على أمرهم ساقلي وجب
فأخبر عثمان داي بذلك وقيل كذب عليهم وفي سبب قتلهم اختلاف
وانذر محمد باي فتفرقت جماعته وهرب بنفسه الى ناحية أفريقية فخانته
تلك العرب وقبضوا عليهم واتوا به فسمع عثمان داي فبعث من قتلهم قبل
ان يدخل تونس خيفة من الفتننة * وكان عمر محمد باي اذ ذلت عمان
وعشرين سنة وذكره طبق بلاد النصارى وفعل بهم الناقرة ورزق سعادة
في البحر لم يسمع بشئها وكان نسيج وحدة وجه اللد وعفى عنه * وفي هذه
السنة والتي نلها جاءت لاندلس من بلاد النصارى نظام صاحب اسبانية
وكانوا خلقا كثيرا فوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق صناعاتهم على الناس
واذن لهم ان يعبروا حيث شاءوا فاشتروا الهشاشير وبسوا فيها واتسعوا في
البلاد فعدت بهم واستوطنوا في عدة امكن . ومن بلدانهم المشهورة سليمان
وبلي ونيانوا وقونبالية وتركبي والمجديدة وزغران وخبربة وقربش الراد وجزاز
الباب والسلوقية ونستور وهي من اعظم بلدانهم واحضرها والعلية والندغة وغير
ذلك بحيث تكون عدتها تزيد من عشرين بزدا فصار لهم مدن عظيمة
وغرسوا الكروم والزيتون واليسنتين وهذيرا الطوقات بالكاراريط للمسافرين
وصاروا يعدون من اهل البلاد * ولمستقام استقام لعثمان داي ما ارادة
عاجله حاكمه واتى عليه ما اتى على غيره ولحق بربه في سنة تسع عشرة
بعد لالاف ولم يثب الى يومنا هذا * وقسمت بلادهم بعلة يوسف داي
وهو اول داي استقام امرة بالانجب وكان عثمان داي رشحا في حينه وزوج
بابته وام يدخل بها وكان في مرضه سألوه من يلي بعده فقال لهم - صاحب
الامر عجم داي - (وكان غائبا في بلد بانجة لان فيه شهامة) - وان اردتم
هنا انفسكم فقدموا يوسف لان لان فيه لنا . وكان قصده توليته لانه صبره
فلبا مات عثمان بعثوا الى عجم رسولا واصبحوا منتظرين في أمرهم وتجمعوا
عند دار عثمان داي * فبينهم اهم كذلك اذ دخل علي ثابت وكان من
اصحاب يوسف فلبا راي جمعهم اقبل بجسارتهم وقبل يد يوسف داي

وبارك له فلم يبق من الجماعة احد الا وفعل مثله فبايعهم كبار العسكر
وظاهوا به الى النصبه واجلسوه على عدلتهم وجاءه الناس وبايعوه على طبقاتهم
وتبع له الامر . ومن عند اقبال عجم من باجه خاني الامر قد فانه فلم يسعه
الا المبايعه فكان يوسف داي يكرمه فيها بعد . واخذ علي ثابت في تدبير
المملكه وصرف نية يوسف داي عن النزوح بائنه عند ان داي فتخلى عنها
وتدبر عليه بنزوح حضائيا من بنات كاتالاج لانه خاف من مصاعته لا يولد
صداق داي والزهاني جدهم ليسند هو بالاسر وحده فكان كذلك فلستقام امره
وساعده جده الى ان بلغ رتبة لم يبلغها احد قبله وسياقي له خبر . وفي
ايام يوسف داي تحضرت البلاد وكثرت عماليتها وكان مغرما بتجوير الراكب
في البحر لغزو وبعثت عدتها خمسة عشر مركبا من الكبار . وفي ايام
كثرت الروساء في البحر وكانت لراكبه سمعة وديرة . ومن اعظم رساء
عصره قبطان صمصوم وقبطان وزديت حكائنا نصرانيين لساغرا في ايامه
وجاء على دينهما ولما بعد وكان لهما صيت في البحر . وساعده الايام
بالغنائم من البحر والهناء في البر فبنيت في ايامه عدة اماكن في المدينة
منها سوق التوك امر بتحصينه على ساحل دايه الينم وكان على غير هذه الخلد
فجاء من احسن الاسراي التي بتونس وبني اجماع المشهور به وجعل اماره
من الطائفة الخديوة وجعل له اوقافا للذين والقراء والمخدمه فجاء من
احسن ما يكون وبني بارقه مدرسة تعرف به ايضا وفيها عدة بيوت
للغاطنين بها وتدرس على مذهب الامام ابي حنيفة وجعل مرتبا للغاطنين
بها والمخدمة وارقب عليهم اربعة من الخبز لكل من المؤذنين والامام والطايطه
وقد تلاث اشكر ذلك . وبني المجهة التي تحت الثوية ينفع بها كبر من
الناس وكذلك الثوية التي فوق البيضة وجماعت من احسن ما يكون
وجعلها وفعا . وبني السوق الذي به الخرابه ملوى لتجارهم وهو من اعجب
الاسراي وكذلك الحمام الغريب من السوق المذكور وبني عدة فنادق لسكني
الطائفة اللوند . وكذلك السوق الذي يباع فيه الرقيق من السودان

وغيرهم ويقال له البركة وهي من اجل لاسواق * وكذلك فتح باب
البنات بعد ما كان مسدودا وبوبه وجعل فيه عدة حوائث فجاء من اهل
لاسواق وبني قريبا منه سوقا يباع فيه الغزل وكانا قبل اليوم في غاية
العمارة وقد نالني امرهما ولم تبق الا رسومهما وعبثت تلك الناحية بعد ما
كانت خرابا من مكان بعين بواشحة حرة الى باب البنات وكان المار
من هنالك في السهار يخاف على نفسه فعبثت تلك الناحية وهي اليوم من
اجل حارات تونس . ولم غير ما ذكر من الخيرات التي بقيت بعدة تذكر .
ومن اكبر حسناته ان جلب الماء العذب على الخانية المشهورة بدورها ماءها
في المدينة في عدة اماكن منها انقبة المرحمة التي تحث العوامة الملائمة
لتجماع الاطعم ومنها في راس سوق التوك وفي اماكن اخرى وانفع الناس
بهذا الماء زمانا وقد تعطل في زماننا هذا فخرت من ينزل في شارع واهمال
الحكام له ولا حول ولا قوة الا بالله * ومن خيراته ما يراه المتدبر العجيب
التي على وادي سجدة من ناحية بلاد طرية وجاءت من اجل الظاهر وفي
اليوم من اشجب المنزهات التي لها ذكر بن الناس . وكان عليها برج في
حياته ثم زاد فيه من بعده مائة التي نصحها ثم نزل به وانه المرحوم
احد سلبه وصنعه، ثم صار من بعده الى حليدة ابي الحسن على بني فرادة
صنعاته الى ان صار يضرب به المثل وجاء بسعدته على اجل شكر وسبني
لذلك زيادة اصحاب . ومن في عدة اماكن غير ما ذكر في باب السراجل
كلاماكن المعطشة وجلب ابي الماء من اماكن بعيدة بنوع الساعرون بها
وصنعات له صدقات عديدة منها انظاره للورديين بنه لاله المريد
الشريف خسة ريبالات لكل مكتب حتى ان المكتب ولو تعطل في مدة
السنه يجي في هذه الليلة لاخذ ما هو معلوم انابه الله على صنعه * ومن
زان ايام دولته . وسلك في فعل المعروف طريقته . وكان يصدر عن رايه
في قومه وقعدته . المرحوم بوجه الله الخراج على قباث وهو وجه الله له الى
حسة من حسرات يوسف داي . وكان صاحب احسان المبررات والمساكين

ولم ذكر عند أهل تونس لاحتياج إلى تعريف * ومن بعض حسنة
تخصيصة للمسجد الذي بآزاه داره داخل باب الجزيرة وجعل له أوقافا وكذلك
تشيده للجماع خارج الباب المذكور والمبعضات التي بسوق الترك وجاءت
من أجل ما يكون ويتفع بها الغريب وجعل لها أوقافا لمن يقوم بها وكانت
في غاية الحسن إلا أن بعض حسنة استولى عليها وأمرها مصير إلى التلاشي
ولم اخبار احتياج إلى ديزان ومات رحمه الله في سنة إحدى وأربعين والف
وهو من كان يعين يوسف دلي على فعل البر ولو تتبعنا حسنة يوسف دلي
لطال بنا التسبع لها * وفي أيامه في سنة اثنين وعشرين والف كانت محلة
الجزائر الأولى ولم يقع بينهما قتال * وفي أيامه كان النداء لأعظم الذي يقول
له أهل تونس وجاء سيدي أبي الغيث لأنه فيه توفي الشيخ رضي الله عنه
ونفعا به وكان في سنة ثنتين وأحدى ولثنتين والف ومات فيه خلق كثير
وفي أيامه في سنة أربع وثلاثين أخذت غرابان من غربته مالطة وجي
بهما إلى تونس وزينت البلاد لأخذهما * وفي سنة سبع وثلاثين كانت
البراقة العظمى بين عسكر الجزائر وعسكر تونس ومات فيها خلق كثير وكانت
في شهر رمضان من السنة المذكورة واستجابهم الشيخ ثابت بن شرف
وأطعمهم في البلاد ونسا الثني الجمعان كانت الدائرة في أول يوم على أهل
الجزائر حتى طابوا الأمان ثم إن الأعراب خذت وكان أعظمهم أولاد سعيد
فانكسرت محلة تونس ونهبته وعانت الأعراب في الوطن ومشت جماعة
من مشيخة البلاد مثل الشيخ تاج العارفين العثماني والشيخ إبراهيم الغرياني
والشيخ مصطفى شيخ الأندلس وغيرهم وتم الصالح بين الفريقين * وفي سنة
ثمان وثنتين كانت محنة الكدلي لقيام بني شرف وكابد هذه الأهوال مراد
باي وكان صاحب دعاء . وفيها أخذت النصارى ثلاثين لأهل تونس .
وفي سنة إحدى وأربعين توفي الحاج علي ثابت وفيها جاء منصب الهاسالك
لمراد باي . وفي النبي نالها أخذت جماعة من أولاد سعيد وركبوا على الخوازيقي
في المراكض وفيها ظهرت نجمة محمد باي . وفي أيام يوسف دلي فتحت

الحمامة بعد نفق سبعمائة سنة ولم يزل رحمه الله الى ان سار الى رحمة الله مشكور السعي عند الناس وكان مغرماً بالصيد يخرج الى البادية ويقيم عندهم اياماً ويصطادون معه ولم يكن له منازع في البلد ومات عن سن عالية ليلة الجمعة الثالثة والعشرين من رجب الفرد سنة سبع وأربعين وألف ودفن في مسجده المعروف به وبني عليه ولده تربة بديعة الشكل ورحم الله تعالى هذا الروح الطيبة وجازها بما هو اهلها * ومنها صمم اصطفا مراد بن عبد الله من الاعلاج بوبع صبغة الليم الذي مات فيه يوسف داي واثق على تقدمه جماعة واكبرهم مامي من اكبر عماليك يوسف وكان يرى نفسه انه احق بالامر من غيره الا انه خاف من العسكر انهم لا يقدمونه وراى انه يقدم اصطفا مراد فان رضوا به دبوا في خاعه واستبد هو بالامر . فعاجله اصطفا مراد لما تم له الامر ونفاه الى زغوان وقتل هناك ولما تم له امره باشر الولايت بجاش مئين . واول ما امر به قطع الخصارا التي بين الازقة وكانت كثيرة وابطل برج البستيون وابطل بيع التمح الذي كان يباع به وابطل ايضا باعة السيل والدقيق ونظر في معاش المسلمين احسن نظراً وكان الرغيف الذي يباع بناصرى زنة ستا وثلاثين وقتير وبيع المالح في زمانه بناصرى الرطل في فصل الشتاء وكان الناس في ارغد عيش وامر بنثنس الازبال التي خارج باب البحر وكانت كيمان كالجبال وخدم فيها الربضين والدينة نوباً بينهم وكان يحضر بنثسه وجماعته كل يوم . وفي اول سنة من اياه جاءت غلايط الجزاير الى تونس وسكان عددها ثمانمائة وسافرت مع غلايط تونس وهي ثمانية ايضا انتصرا للسلطان في حرب اولونه فحصرتها عدة البندقية في مكان استحال الخروج منه فكان من رايهم انهم نقلوا الى البر باجمعهم وتن معهم من اسارى النصارى واحرقوا الغلايط كلها وتوجهوا برا الى قسطنطينية فانعم عليهم السلطان بغلايط من عنده ورجعوا الى بلادهم وكانت هذه الواقعة سنة ثمان وأربعين * وفسبها جاء الخبر بان السلطان اخذ بغداد فزيت المدينة سبعة ايام وسكانت هذه الزيت من

احسن ما شهد في تونس من الدعة والسنة . وفيها جاء الخبر بوفاة السلطان
مراد وتولية اخيه السلطان ابراهيم . وكانت ايام اصطا مراد هذا من احسن
الايام . وقد انقثت جاعة على القيام عليه فططن بهم وقتل منهم جمعا كثيرا
وفر سن فر منهم . وكانت له صولة عظيمة وهيته وهو اول سن جعل
الغواد يلزمون بابه كل عشية بقصد لانصاف لمن يشتكي منهم ولم تكن
هذه العادة لمن تقدمه * وفي ايامه بني البرج الذي بفشار الملح على يد
المعلم موسى وامر ان تبنى هناك مدينة واستنفر الناس الى السكنى فيها
وسلهم دراهم للتعمير والاعانة فاستوطنها جمع من الاندلس وغيرهم وهو السبب
فيه حتى صار من اجل المراسي التي يبلاد لاسلام وكان قبل ذلك مكنة
للنصارى فانحسم ضررهم وهذا بعض من حسناته . ويعد قنيز التمع في ايامه
باربعة دنانير نواصر ومطر الزيت بدينارين ومنع خروج التمع لبر النصارى
ودخلت هيشه في قلوب العسكر والعامه من الناس حتى ان الذمي كان
لا يجار عليهم ولا يظلم بشيء . وكانت كلمه لا تزد ولا يراجع احد ولو
كان ولده . وهو احد من راس في والبحر لانه كان خدام فيه قبطانا
ورزق فيه السعادة التي لم يرزقها احد من قبل * وكانت ايامه في
البحر من اجل الايام ولما تولى الحكم بتونس كانت ايامه عند العامه
كذلك الى ان توفي الله وقدم عليه بعلمه وكانت وفاته سنة خمس
والفب رحمه الله تعالى * وقسم بالامر بعده احد خووجه ويقال
له اوزون خووجه بانفاق من العسكر ولم يختلف عنه انسان لانه كان في
اول امره وهو خووجه بالديوان يعامل الناس بالرفق واللين وخصوصا الايتام
من ابناء العسكر يهش لهم ويتحنن عليهم فمالت اليه القلوب وتدموه عن
رضى منهم فباشر الولاية بجهروت وغمامة وكان جمعا لجال * وفي
اول ولايته جاءت افرية مالطة ودخلت الى طلق الوادي واخذت منه
هدة مراكب احدها مركب بو شاشية وحرقت مراكب اخر وقلوا فعلا عظيما
ولم يمنعهم البرج الذي هناك فعند ذلك امر ببناء برج اخر لخمانة المرسى

ويوشد ايضا سكان الغلاء المفرط الذي لم يسمع بمثله وفعل قيمه سرا
ظيما المرحومان محمد باشا واحمد شلي لانهما جعلوا صدقات من الارغفة
للضعفاء تقوى عليهم كل يوم ويقع نزاحم بين الناس في مكان الشرفيق وربما
مات بعض من الارواحام بدقرية من زاوية الشيخ الجايزي وانقطعت
تلاعات من الفم والشجير ولكن كانت مدة يسيرة ، ثم تدارك الله سبحانه
عباده وتراجع الحال واثت السنة في غاية الخصب وارتحم الناس * وفي
اول ثولته وقعت المحاسبة بين المرحوم محمد باشا وسليمان باي وظهر قبل
سليمان مثل اخذ عرض محمد باشا فلياطم والزندانة والسانية التي براس
الطانية فوجب كل هذا لاجد خوجه وهذا يدل على سخاء الباشا المذكور ،
وفي سنة ثلث وخسين كان الفناء الاعظم ودام سبع سنين * وفي سنة
خمس وخسين كان ابتداء العمارة لكندية وجاءت الاوامر السلطانية لقصد
العسكر والمراكب اعانة للسلطان فندب احد خوجه الساس وجعل على اهل
المدينة والريصين امرا لتجهيز المسافرين وعين جمعا من الرعية لسفر ولكل
واحد جعل من ذلك المال مقدارة ثمانون كرونة لكل رجل وعين جلته من
المسحي والقيسان والفقاف وبعثهم في المراكب وكذلك في السنة التي
بعدها تم قطعت بعد ذلك ، وفي ايامه ابتدا المرحوم محمد باشا بتزويل الزمول
وتويت شركته على العربان وسقى فيهم الهوان ، ومات سليمان باي في
ايامه وانفرد الباشا بتدبير وطنه ولم يكن له منازع وحصلت بينه وبين احد
خوجه مشاحنة ادخل بعض الماكرين بينهما فسلب الله من شرة وتحكم فيه
ومات على يديه في اشد اهانة وكان اسمه جيدة عاشور فانتقم الله منه
واستقامت احوال احد خوجه وكان مطاعا في عسكره بحيث انه استنفر
العسكر الى غار الملح لاجل واقعة يطول شرحها فلم تكن اذ ساعة من النهار
حتى خرج العسكر عن اخره ولم يبق بالمدينة احد وهذا من نفاذ امره ،
وكانت قريته من موته فلم يعش بعدها اياما يسيرة وبعده مرضه الذي
مات فيه وكانت وفاته سنة سبع وخسين والى * وتسولي بعده الحاج محمد

لاز في صبيحة اليوم الذي مات فيه اجد خوجة وبسويج في جمع من اكابر
العسكر في سقيفة احمد خوجة وطلعوا به الى القصة وجلس على بابها وجددت
يعتد هنالك وكان مسكنه داخل القصة فكان يجلس عند الباب لتعاطي
لاحكام في كل مشية الى ان انتقل الى داره الجاورة لتربة الشيخ ابن خريسان .
وفي اول ولايته كانت الولية الكبرى التي لم يسمع بمثلها في اقليم المغرب
وهي الولاية التي صنعها المرصم محمد باشا لولده المرصم مراد باي بالخرة
الجليلة ابنته يوسف داي رحم الله الجميع واظهر في العروسية من ابهة الملك
ما لم يكن ثغرة في الديار التونسية ومكث اربعين يوما في الاحتفال
لها وانفقت فيها اموال تجل عن الحصر وشاهد الناس ما اذعاهم مما لم يسمع
بمثله وفي جملة الايام لاسطة ممددة بالاطعمة الشخرة مما يكمل منه
الوصف واكل منها اهل البلد قاطبة ولم يرد احد منها وجاءت الناس من
اقطار الارض والمغنيون من سائر البلاد ولم تخل ليلة من الليالي من الفرح
ويسرج من القناديل ما لا قدر له ويوقد من الشموع كل ليلة بما يشهد
له العقل انه لا يكون إلا بديار الملوك الضخمة وكانت تلك الايام تعد
من الاعمار وجاءت القود من كل بلد لتهنئته وانشدت الاشعار واجيزت
اربابها ووصل من الاحسان والبر لمن يستحقه وتحقق عند اهل تونس انهم
ما سمعوا بمثلها حتى في زمن بني ابي حفص وهي اول ولاية صنعها ساجحه
الله تعالى وفقر له بنده وكرمه * وفي ايام الحاج محمد لاز تقوى امر بنقاسم
المنستيري في الامارة ومنته نفسه بالغرور وذلك بمعاونة كشك مراد مملوك
الحاج محمد لاز وكان لاز المذكور يصدر عن راي مملوكه * وفي ايامه صودر
الثائد عبد الله ابو خوران واستصفى امواله وايقن بعد ما كان قدئد القواد
على يد المرصم محمد باشا * وفي ايامه صادر الباشا المذكور بنقاسم
التفصي واخذ جملة امواله واعتقل في زاوية الشيخ سيدي ابي الحسن
الخلفاوي ثم رضي عنه فيما بعد ورد عليه ما اخذه منه وبعده استصفى اموال
بني صندل ونكحهم علي يد مكاتبهم احمد المناري وتقوى شان علي هوي

الترجمان بمساعدة الباشا له حتى اعجبته نفسه ومتمه بالجمال فنكسب على يد الباشا واراد ان يفتك به فعاجل نفسه بان اكل السم ومات وهذا من حسن نية الباشا بحيث لم يفته من اعدائه احد ، وفي اول ولايته الحاج محمد لاز كانت الطاعة الكبرى وكادت ان تكون فتنته لولا ان تداركها الله براي الباشا المذكور وهي التي بيعت فيها عدة نواصر من مرتبات العسكر على يد القائد داود اليهودي الذي كان صرافا فكادت ان تكون فتنه بين العسكر فهدى الله الفتنه براي السيد ورد لكل واحد ما نقص من مرتبه ودفع المال من عنده وحل من ذاره سلك الديوان اكياسا على اعناق الرجال وكان شيئا مستكثرا وسلم الناس من الفتنه وهذه النازلة نعد من مائة الحسنه الجميله . ودامت ايام الحاج محمد لاز الى ان توفاه الله ثلث وعشرين خلون من شوال المبارك سنة ثلث وستين والف بعد مرض طويل ودفن بترتبه عند باب القصبه وقسم الامر بعده الحاج مصطفى لاز ببيع في صبيحة اليوم الذي دفن فيه الذاي المذكور وذلك بمشورة الباشا وهو اذ ذاك باي المحال فبعثوا يشاورونه في سن يتولى دايا قباشار بتولية الحاج مصطفى لاز فعندما جاء امره السيد بايعه العسكر . وعند جلوسه بباب القصبه دخل الباي المذكور من غد وكان قد رجع من سفره فاشند به عند الحاج مصطفى لاز . وكانت جماعة غيره اعناقهم ممتدة للولاية فطاح ما بايدهم ويسوا . ولما استقر في الحكم وتمهد امره زوج الباشا بمجارية من جواربه وجهازها بجهاز معتبر كاحدى بنائه ووهب له دارا من اجل الدور وفعل معه من الجميل ما لا حد له . وفي اول ولايته نكسب بالشاس المستيري على يد الباشا لانه كان حاقدا عليه لامور بدت منه وكذلك نكسب الشيخ مصطفى الكاندلسي واستصفت امواله وحرب الى وطن الجزائر ومات هناك وكذلك نكسب الشيخ صالح وفعل به ما فعل بغيره . وفي ايام الحاج مصطفى جاءت مراكب الانكليز الى غار الملح واحرقت مركبا كان خارج الرسي ورمث على الحصار بالمدافع واستنفر العسكر الى غار الملح

وكانت واقعة مشهورة وذلك في سنة خمس وعشرين والفس وفي السنة التي تليها كانت الوليمة الثانية من الولايم المشهورة التي صنعها لولده محمد باشا الحفصي على ابنة عبد الرحمن باشا وكانت ايضا تعد من عجائب الدهر . وفي ايام الحاج مصطفى بعث محمد باشا هديته المشهورة مع ابن قلمان ولم تدخل لك الديار الرومية هدية افخر منها من بلاد المغرب وطلب منصب البشارية فاجيب الى ما سال وجاءته الاوامر العثمانية سنة ثمان وستين وخطوب فيها الباشا ابن الباشا . وفي ايام الحاج مصطفى لاز كانت الزينة المشهورة التي ضرب بها المثل لما كان بها من الدعة والترف وجاءت من احسن ما يكون وهي بشارة باخذ السلطان اقليما من بلاد النمسة . وكانت ايام الحاج مصطفى ايام هناء وراحة لان غالب تدبير الامور كان يصدر عن رأي الباشا رحمه الله ولذا فالحاج مصطفى كان لين العريكة ويكوه سنك الدعاء لدا ما كان من واجبات الشرع واكثر الاحكام يقد فيها الشرع . وفي ايامه كانت الوليمة العظمى التي اجتمع فيها ثلثة باشاوات وهي وليمة احمد باي بابنة عثمان باشا صاحب طرابلس واحتفل فيها المرحوم محمد باشا غاية الاحتفال وكانت سنة تسع وستين . وطالت ايامه الى ان توفاه الله ليلة الجمعة التاسعة عشرة من ذي الحجة سنة خمس وسبعين . وقسم بالامر بعده الحاج مصطفى قرة كوز جلس عند باب القصبية في صبيحة اليوم الذي مات فيه الحاج مصطفى لاز من غير اتفاق من العسكر وانما قدم نفسه بنفسه واستولى على الامر بشهامة وكان مهابا وفيه اقدام فهابه الناس . ويوم ولايته ظهرت عليه سكينته وابتدا امره بتنقية اهل الجرائم ومعاقبهم بالشنق والخنق على ادنى شيء وخصوصا سن انهم بالسرقه فكان لا ينظر في امره بشيء ولا يعرف لدا لفظه جبل فنشق خلقا كثيرا وفر من المدينة كل سن كان بينهم بشيء وتفرقوا في البلاد ولم يعد اكثرهم لدا بعد موته . وكان فيه بعض هرج وتعطل غالب الاحكام في ايامه وصار غالب اهل الديوان وغالب الحكام لا يتصرفون

بشيء خيفة من بأسه وشدة وربما تعطلت بعض أحكام الشرع وهو الذي
 عزل الشيخ مصطفى بن عبد الكريم عن منصب القضاة وقدم عرضه الشيخ أبا
 الحسن يوسف شهر درغوث فباشق القضاة بعفاه وصلابته في الدين والحق
 سلكه إن توفاه الله شهيدا كما سيأتي وهو يعد من حسنات قره كوز . وفي
 أيامه كانت وليمة محمد باي ابن المرحوم مراد باي باهنته أحمد شلي ابن
 يوسف داي واحتفل الباشا كعادته في غيرها من الولايم . ولم يزل قره كوز
 في تشديده على الجناة والافئام على سفك الدماء حتى إن أكثر المعاملات
 كادت تبطل وانحسم الشرع عن الناس وخافه البعيد والقريب وانقطعت
 السرقة من البلد إلا ما قل ونزلت العافية حتى في البادية ولكن لم تطل
 أيامه . وكان في سن الشيخوخة وقبض الله له قرناة منهم أحمد صنايلي والحاج
 حسين شاقال فذهبا به كل مذهب وعاجلاه بان اطعماه سما فتغيرت امزاجه
 وتضاعف ما كان فيه من طبع السوداء حتى صارت تحدث له حالات
 متناقضة ولم يفعلها به ما فعلا إلا ليتم لاحدهما الامر بالولاية . ولما ازدادت فيه
 السوداء انتفى جماعة من الاكابر ووافقهم بعض رؤساء الرق فخلعوه وقدموا
 عرضهم الحاج محمد حاج اغلي . وفي شهر رمضان علق الحاج علي الفلاري
 وكان ترجسانا . وفي عشية منه أيضا علق خمسة أنفس على دعوى من غير
 اثبات . وفي آخر دولته توفي المرحوم برحمة الله محمد باشا وبموته انتفى
 الرق وصار كل احد بقدر اجتهاده وانفتح باب الخلع على الدايات فخلعوه
 أو آخر ذي القعدة سنة سبع وسبعين والفق وأخرجوه من القصبه الى داره بحومة
 كتاب الوزير فلم تطل أيامه ومات في العشر الاول من ذي الحجة من
 السنة المذكورة . ويوم خلعه نفى من المدينة حسين شاقال وأحمد صنايلي
 ولم يتم لهما ما أملاه الله سر في تقلبات الزمان . فتسولى الامر الحاج محمد
 حاج اغلي المتقدم الذكر جلس على باب القصبه يوم خلع قره كوز وأبى أن
 يدخل دار الامارة حتى أخرج قره كوز منها فعند ذلك دخلها وهي دار معدة
 لمن يتسولى هذا المنصب . والحاج اغلي هذا سكن تريس في المراكب وكان

يعد من القباطين المشهورين وكانت فيه سكينته زائدة فلاجل ذلك قدموه
طنا منهم انه يحسن السيرة في البلاد فظهر منه خلاف ذلك فقل تدبيره
وصار لا يامر بشيء إلا فيما قل وربما يامر بالشئ وينهى عنه كأنه ما امر
به وتلاعبت لايدي في الاحكام ولم يرد احد عن مراده . ونفى جماعة من
الاكابر وسال عنهم بعد ذلك وقيل انه لم يامر في امرهم بشئ وصارت
الاحكام تصدر عن غيره ويوهمون انها صادرة عنه . وصار الكائنان اللذان
بالديوان هما صاحبا الحل والعقد وهما شعبان خوجة والحاج محمد بيشارة لا
تسود لهما كلمته . وفي ولايته امر بخدمة الزبلة التي عند سيدي عبد الله
الشريف نفع الله به وخدم فيها الربصين والمدينة عدة ايام وكان يحضر
بجماعته هنالك ودام على حاله الى اول سنة ثمانين وقيل احدى وثمانين
فخاهوه كثيرة واخرج الى داره بمقربة من دار الديوان وبعد ايام حجر عليه ولم
يبتدئ الى ان توفاه الله وقيل انه خراط في عمله فلهذا خلعه . ومنه اسم الحاج
شعبان خوجة المذكور جلس مجلس الدايات في القصة في السنة المذكورة .
وفي تلك الايام كانت الوليمة التي صنعها مراد باي لاخيه حسن باي
ولولده علي باي وجاءت من اجل ما يكون ومشى على طريقة والده وأرى
عنه واطهر من الاحتفال ما لا يوصف . وفي ايام الحاج شعبان كانت الزينة
العظمى لاخذ كندية في ذي القعدة من سنة احدى وثمانين . واول امره
باشرف الولاية بتغلف ونظر في معاش الناس وربما باشرف بنفسه ميزان الخبز
في الاسواق وكان مهابا وسكناه بالقصة فاخذ له المرحوم مراد باي دارا
ووزن ثمنها وزاد الحاج شعبان في بنائها على ما كانت عليه فجماعت من
اجل الدور وسكن بها . ثم خالطه بعض اهل الفساد واغروه بمعاودة
البايات ميزنوا له كل قبيل واضمر ان يفتك بهم وفسد الخبر بين الناس
وبلغ الى ارباب المملكة فمكروا به قبل ان يمكر بهم . والذي اغراه على
ذلك ابن القائد جعفر ومحمد بن احمد خوجة على ما قيل . فسما رجع مراد
باي من محنته محلة الشتاء سنة الثمانين وثمانين ابي ان يدخل الى المدينة

واضمر الشر لشعبان خوجة فلما فطن لذلك خاف على نفسه وكان مراد
 باي كاتب اكابر الدولة واخبرهم بما نوي الحاج شعبان فمالث قلوب الناس
 عنده وتحقق ما اضمره بما صنع قبل من امور فيها بعض هضم في جانب
 البيات فلما احس بالشر بعث بجماعة من اصحابه الى الباي يستعطفونه
 وحلف لهم بايمان وكان الباي مراد لم يظهر ما في ضميره الا بعد ما استحوذ
 على القائد احمد بن جعفر وعلى محمد بن احمد خوجة واراد ان يجعلهما سنة
 فلما وصلت الجماعة الى مراد باي تكلم معهم في خلعتهم فخلعوه بالحلة واخر
 ذي الحجة من السنة المذكورة وقدموا عوضه الحاج محمد منتشالي ويوم
 دخولهم المدينته دخلوا لقببتها واخرجوه منها الى بستانه براس الطايبة وبعد
 ايام بعثوا به الى زغان فاقام بها يسيرا ومات يوم الثلاثاء لسبع عشرة مضت
 من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين والقب وحيي به الى تونس ودفن بازاء
 دارة وقبره معروف هناك * ومنها اسم الحاج محمد منتشالي بويج في
 المحلة كما سبق وحدث بيحه يوم دخوله القصة واستوطنها وكانت فيه
 بلادة لم يجرب الامور وغالب الاحكام في ايامه تصدر عن البيات وهو مساعد
 لهم لا يخرج عن امرهم بشئ وتنع بالمنصب واسمه قلام على سيرته اقل من
 سنة وانفقت جماعة من اهل الفساد وزين لهم الشيطان ما نووه فدخلوا
 القصة على حين غلظة وحاصروا منتشالي وبعثوا الى الباشا صاحب المنصب
 اذ ذاك وكان منتفقا معهم فخلعوا منتشالي وقدموا الحاج علي لاز واخرجوا
 منتشالي وبعثوا به الى زغان الى ان مات هنالك وحيي به الى تونس
 ودفن بتربته قبالة دارة وقبره معروف هنالك * ومنها اسم الحاج علي
 لاز بويج في النصف من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين يوم الثلاثاء ووافق
 ذلك اول يوم من الحسوم فتطير الناس من ذلك وساعدة قوم غيره راضيين
 وزينوا له مجالث عقيمة ويوم ولايته فر محمد باي الحفصي ولحق باخيه
 مراد باي ودخلت محلة الشتاء ولم يدخل مراد باي ولا اخوة الحفصي وكان
 اجتماع الحفصي باخيه مراد باي فوق القيروان ثم انهما توجهما الى ناحية

الزواريين ، ولما استقروا مشى بينهم الرسل وكل منهم حاقد على صاحبه وصامر له سوء وحدثت في المدينة احوال تؤذن بالفساد وتحزبت جماعة الحاج علي لاز وزاد ضررهم ، ولما علموا ان مراد باي اخذ حذرة منهم عزولة واقاموا عزمه محمد عاغا ولبسوه قنطارنا وركب في المدينة ونادى المنادي بولايته ولما أخذ يستجلب الناس والرعايا وينفق الاموال وهو لا خبرة له بالامور . وبعد ان كان ذلك كذلك بعث مراد باي بعدة اوامر يحذر الناس ويناديهم الى الرجوع مما فعلوا فلم يزددهم الا هورا ثم بعث اليهم اعتقادا من الخيل وغاروا على ما حول البلد فخرجت اليهم جماعة علي لاز وخيله فالتقى الفريقان ووقعت بينهم الحرب في عدة ايام . وعاخر الحال جاءتهم جماعة من اولاد سعيد والثالوث وغيرهم من الاعراب فخرجوا بمحلة ظاهر البلد وكانوا قبل ذلك جعلوا سوالا وحكم فيه القاضي وافتي فيه بعض الفقهاء بما وافق اغراضهم فعند ذلك نهبت ديار البايات وغالب عائلاتهم وكان الخطاب جليلا . ولما خرجوا واقاموا بظاهر البلد وجاءتهم البايات وظهرت طلائع خيلهم بادروا الى لقاءهم وخرج من المدينة كل من يتول بقولهم والتقى بعضهم ببعض فلم تمكن الا ساعة من نهار حتى انهم محمد عاغا ودخل المدينة مكشوف الرأس وخلف صكرة فتحكمت فيهم ايدي اصحاب مراد باي فقتلوا منهم خلقا كثيرا ولم ينج الا من بعد اجله وهذه الواقعة تعرف بخطرة اللاسين وكانت بعقبة الجزار ونهبت لاعراب ما حول المدينة وتخص الحاج علي لاز وجماعته بالقصبة ومن قد أصبح بابها مغلقا وبانت المدينة في سوء حال . وبعث الباي الى باقي العسكر بالامان وامرهم بتولية الحاج عامي جمل فبعثوا له وبايعوه في الديوان وبعثوا له الحاج علي لاز واصحابه فخرجوا بالامان ومشوا الى زاوية الشين سيدي محرز بن خلف فلم تكن عنهم وحوصروا بها ومات هنالك اكثرهم وبعث بالحاج علي لاز الى الحمامات فقتل بها ونهبت عدة اماكن بالمدينة وتبع الباي عائل المفسدين فقتلهم وكانت وقعت لم يسمع بمثلها بحيث مكث القتل اكثر من شهر . وكتب

الباي اوامر وبعث بها وفودا الى الباب العالي مخبرا بما وقع وجاءه الجواب
بما في مراده وزيادة والقصة اطول مما ذكرنا وكانت هذه الواقعة منتصف صفر
سنة اربع وثمانين * ومنهم الحاج مامي جمل بويغ منتصف
صفر كما تقدم وسار على سيرة منشالي في مساعدة الزمان الا انه كان فيه
مرح وغلطة وكان يظهر التدين والعفاف ويبيع للفقراء وذلك منه لامر
ما وفيه امساك ويشتكى من الفقر وما اذان اول دولته الا براى البايات
ثم تغير حاله فيما بعد . وفي ايامه نافق ابو القاسم الشوك بوسلات فقاتله
مراد باي وحاصره وفرغ له من سائر البلدان والتم عليه جيع العمالة فطاب
له الجبل وقطع راس الشوك وجاعته وجمي براسه الى تونس والقصة طويلة .
وفي ايامه اخذت غياطة محمد باي اخذها عنو الدين . وفي ايامه
مات المرحوم مراد باي في جادى الاولى سنة ست وثمانين . وفي ايامه
وقع الخلاف بين محمد باي واخيه علي باي وقدم عنهما محمد الحفصي .
وفي شهر رمضان من السنة المذكورة سافر محمد الحفصي الى بر الترك . وفي
ايام الحاج مامي قويت الوحشة والفتنة بين الاخوين واكثرها بساءدته
وغلبت على امره جماعته من اصحابه فكانوا يهونوا عليه الصعب ولم يزل امره في
تشنيت الى ان خلع بالحاج محمد بيشارة اواخر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين
والف وخرج من القصة ودخل الزاوية القشاشية الى ان كان من امره ما
حذكرة بعد . وفي ايامه كان الوباء العظيم وابتدا في سنة ست وثمانين
وارتفع سنة سبع وثمانين ومات فيه يوسف باشا وقبره بمقربة من الشيخ
سيدي محرز نزع الله ببركانه وقبر معه ولداه وبنيت عليهم قبة حسنة . وفي
سنة سبع وثمانين المذكورة خرج علي باي الى ناحية المغرب . وفيها
كانت وقعة وسلات مع محمد باي ومات فيها خلق كثير وسياتي طرف
من ذلك . وفيها جاء محمد الحفصي من بر الترك ولم يقبل . واضطربت
اراء الحاج مامي حتى خلع آخر ذي الحجة كما تقدم واقيم بدله الحاج محمد
بيشارة * ومنهم الحاج محمد بيشارة بويغ في المحلثة على يد الاعد

علي باي آخر ذي الحجته المذكور وحيي به الى تونس فجددت بيعة
واخرج الحاج مامي ولم يتعرض له بمكره واستنفر عسكريا لاعانة علي باي
وبعث بالمدافع الى الكاف وسكن بالقصبة ايام ولايته وكان فيه طيش في
احكامه وهو من كتبتة الديوان في السابق وكان يظن ان فيه سياسة فلما
تولى لم يظهر عليه شيء منها وكتبه علي باي في مسائل تصلح به فلم يقبل
منه . واخذ العسكر في ايام مرتبا واحدا وبعث الى الحاج مامي مرتبه وهو
مقيم بالزاوية . وطلع في منتصف صفر من سنة واعيد الحاج مامي الى
الولاية وذلك حين احتوى محمد باي على المحلة عند الكاف ورحل علي
باي الى الجريد كما سيأتي خبره فبعث محمد باي الى تونس وامر باعادة الحاج
مامي فخرج من الزاوية وطلع الى القصبة واخرج بيشارة ونفاة الى راس
الجبل وبعد ايام امر بقتله ولم يف له بما فعل معه ومن يوم رجوعه لم يهنا
له شيء . وبعث بجمع من اصحابه الى الكاف لكشف الخبر والزم اهل البلد
بالعسس لئلا وجعل العسكر على الابواب نوبا ومشي طارق الفتن في غالب
الاقليم وبدا نفاق القيروان ومكنت تونس في جهد من العسس نحو من
اربعين يوما . ومن اغرب بلادته وهرجه ان الجماعة الذين ارسلهم للكاف لما
رجعوا وجدوا رجلين في الطريق مسلوبين فسألوهما - من فعل بكما هذا -
فقالا - اصحاب من جماعة مصطفى سبنيول وهو بمكان كذا - . وكان مصطفى
المذكور طرق ذلك الجانب فلما سمعت الجماعة من الرجلين ذلك مالوا
من ذلك الطريق واتوا على فيرة خيثة من السبنيول المذكور ولما اخبروا
الحاج مامي بذلك لم يصدقهم فقلوا له هذان الرجلان المسلوبان فسألهم
فاخبراه بالصدق فامر بضربهما فضربا اعادنا الله من قلته التوفيق . ولم يزل
يترقب الاحوال الى ان فشا بين الناس ان علي باي رجع من الجريد
والتقى مع اخيه في الفحص وهي الكائنة العظمى وهرب ابو رخيص وابن
ثمان وجماعة كانوا في تونس في صندل من البحيرة . وبعد اسام جاء الخبر
مع بلوك باشي وحسين بن مامي قرأش فعند ذلك هرب الحاج مامي الى

الزاوية كعادته وبقية المدينة بلا حاكم فاضطر العسكر الى داي فوقع اختيارهم على اوزون احد فهرب ايضا ومن غد اخرجوه غصبا وقدموه دايا بعد ما شرط عليهم شروطا رضي العسكر بها فبايعوه نصف النهار وبات حاكما ومن غد خرج الى الناس ولم يثبت الا وقد تبين خلعه فكان الواجب ان لا يعد من الدايات * ومنها — اوزون احد ببيع في السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين واقام يومين ولم يبرز حكما وكان بعث فيه علي باي ان يولوه فهرب الى الزاوية كما سبق خبره واعد الجواب الى الباي فعند ذلك بايع بالمحطة محمد راييس طاباق وبعث به الى تونس ولم يعلم احد بذلك فلما سمع اوزون احد بعث بجدافة من العلماء الى الجبل الاخضر لان مصطفى سبنيول كان هناك محاصرا للدينته ومنع عنها الداخل والخارج والزم الباعة ان يجلبوا بضاعتهم للجبل الاخضر وامر الجزارين ببيع اللحم هناك وانقطعت المادة عن اهل تونس فوصل الداي محمد طاباق ولم يكن لاهل المدينة علم فلما وصل الفقهاء برسالة اوزون اجد وبالشروط التي اشترطها وجدوا الناس قد بايعوا طاباق فطاح ما بايديهم وبايعوا مع الناس ورجعوا فاختبروا اوزون احد فهرب الى الزاوية الى ان كان من امرة ما سيأتي ان شاء الله * ومن اعجب الاشياء ان المورخين يعدون اهل المناصب من الخلفاء والسلاطين وان السادس منهم يشتل او يخلع وانبتوا كثيرا من اخبارهم وجاءت على انفاقتهم في الاكثر الا ان حك الدولة خالفت جميع الدول لان السنة اندايات الذين كانوا مستقلين لم يجر على احد منهم الخلع وهم عثمان ويوسف ومراد واحد ومحمد ومصطفى كل هؤلاء كانوا مستقلين وماتوا في ولايتهم ومن بعدهم ثمانية على نسق واحد وقع الخلع عليهم قارة كوز والحاج علي والحاج شعبان ومنتشالي والحاج علي لاز والحاج طامي وببشارة اوزون احمد هؤلاء المخارصون ويمكن ان يقال لاولون ثمانية ايضا لان ابراهيم داي الاول وهو الذي تسمى بهذا الاسم ومن بعده موسى داي لم يقع الخلع عليهما لانهما سلما باختيارهما * فهكذا من اعجب

الاتفاقات والله الامر وهو العليم الحكيم * وممن الديات العظام
واحد الرقب النخام الذي جاء في اخرهم وهو كاولهم لامجد الانجد
محمد داي عرف طباق معدود من الروساء الذين بلغوا درجة الثبطنة
ونال سعادة وافرة وعلا اسمه وجرت له امور اضربنا عنها الى ان بلغ هذا
المنصب على يد المكرم علي باي بويغ له بالحلقة بالفحص ءاخر ربيع لانور
سنة ثمان وثمانين والف واقبل الى تونس فنزل بالجبل الاخصر وبعث
الى تونس جماعة من اصحابه فقبضوا على الحاج مامي جهل وجانته وسيروهم
اليه وكان ذلك ءاخر العهد بهم * ويوم الخميس ءاخر الشهر خرج الديوان
الى لقائهم ودخل المدينة ويوم دخوله كان بعض الناس يغضي من جنبه
وبعضهم راي عليه مخايل الولاية ولما نزل عند باب القصة جاءه الناس قبايعوه
هنالك وتكلم بكلام يدل على لينه ولم يعلموا ما وراء ذلك ودخل القصة ومن
الغد امر باخراج من بها ما عدا جماعة وبعد ذلك باشر الامور بشهامته
وحدة ونفى جمعا من الاكابر وشنت كثيرا من المخالفين وقام بنصرة الباي
احسن قيام * وفي ايامه ابتدا الغلاء واجتهد في ضبط السعر غاية الاجتهاد *
وبعد ايام بعث الباي احد المماليك واقامه خليفة للباشا * وفي شعبان من
السنة المذكورة جاء خليفة الباشا من بر الترك ودخل المدينة بزي الباشوات
واجتهد في امور المملكة وغير السكة لانها كانت غير مرضية فجاءت على
وفى المراد وفرح الناس بها * وفي ايامه تقوي الخلاف في القيروان والمنستير
وصفاقس وبعث ارسالا للقيروان والمنستير فلم تقبل منه * وفي ذي القعدة
من السنة زادت لاراجيفي في البلاد وطالت غيبة الباي وخبرة من
الناس * وفي ذي الحجة كانت الواقعة العظيمة التي احرق فيها
ابواب المدينة وتعطلت المساجد من صلاة العيد والجمعة وكان الخطب
جليلا ودخلت جيوش محمد باي المدينة وعاشو كيف شاءوا ولم ينازهم احد
وانخذل اكثر العسكر واستنفرهم مرارا فلم ياتوا اليه ومكث ثلثة ايام يتدارك
الامر وفاق باب القصة هو ومن انصاف اليد وانحصروا هناك وكان قد عيا

خليفة تقوم به وبايع العسكر في مدة الحصار ساقسلي حسن ورموا على
 القصبه بالبندقيات ودام الحصار والحرب ليلا ونهارا ورمي على الحصار
 بالمدافع عدة ايام وحفر تحتهم لغم واطلقت فيه النار وجعلت المتاريس في
 عدة اماكن ونار الحرب مشتعلة في كل جانب وانقطعت الاسعار من المدينته
 حتى بلغ صاع القمح نصف ريال عبارة عن مائه ريالان الويبتة فكان
 مبلغ الفيز مائة وتسعين ريالا وهذا شيء لم يسمع بمثله في تونس * والنزم
 اهل المدينة والربضين بالعسس في داخل المدينة وخارجها وعظم البلاء واشتد
 الخوف وانقطع البار من عدة اماكن من الطرق ودعم الناس ما لا قبل لهم
 به ولم تنزل الحرب في المدينته والابواب مهدمة والناس في جهده اربعة
 وعشرين يوما * وفي تلك الايام قبض على جماعة من اهل البلد والزوا باداء
 المال وقبض على العالمين المنتسبين الشيخ محمد فنانت والشيخ يوسف درغوث
 فاعتقلا فاما الشيخ محمد ففر ليلا واما الشيخ يوسف فقتل * وبعده الامر استنفر
 محمد باي العسكر فخرجوا معه اذ قليلا منهم فكان من امرهم ما سنذكره بعد
 وفتحت القصبه رابع المحرم او سادسه سنة تسع وثمانين وعصى اهل باب
 السويقة ووقع منهم حرب لاهل المدينته وبني باب السويقة حاجزا بين
 الفريقين فهدموا وجاهروا بالعصيان وجاءت لآخبار بهزم العسكر الذي
 خرج ثم تناقصت وهرب اهل النوبة التي بحلق الوادي حتى لم يبق به الا
 رجالان وبعث هوضهم رجال اخر فاطهروا الخلاء وكانت لاراء مختلفة في
 كل مكان الى ان جاءت رعوس القتلى وحطت عند باب القصبه ومات خلق
 كثير من اكارهم ساقسلي الذي نولى دولاتي وكان في ايام الحصار الحاكم
 في القصبه طاباق وفي المدينة ساقسلي المذكور * وفي تلك الايام ارجف بهوت
 علي باي من مرض كان اصابه وعافاه الله منه ثم اخذت الفتنة في الانحطاط
 وتمادي الغلاء الى ان من الله بهراكب جاءت من بر الترك بالقمح فحط
 السعر قليلا كل هذا وطاباق مكابدهة الاحوال ومنتهل لصعاب الامور صابر لها
 وزاد لتجماعته التي كانت محصورة مع خمسة تواصر ترقيا لكل واحد في مرتبه

وهذا لم يسبقه اليه خيرة وصفنا عن الذين لم يدخلوا معه القسبة وعلم عليهم وكان الذي حله على الصبر معاصدة الباي له الى ان تم له ما تم فعند ذلك هابه الناس قاطبة وخافوا باسمه واطهر شهادته على من خالفه واشتدت شوكره * وفي آخر شعبان اقبل محمد باشا المحضمي من الديار الرومية في ذي حبيب ودخل المدينة بشعار السلطنة بما لم يدخل به احد قبله ومعه من الاعلاج والطبول والانفارة والآلات الباشوات ما لا يوصف فكانت التوبة تعزف عند العصر فيلنذ بسماعها خلق كثير ويقع لذلك ازحام كبير واحضر معه امر السلطان نصره الله للمكرم علي باي برفع ركابه وتعظيمه واجلاله . وفي ثالث شوال من سنة تسع وثمانين والى كانت الزينة العظمى وبقيت هذه الزينة سبعة ايام بلياليها وفي الثامن منها وقعت الوحشة بين الباشا والداي فخرج الباشا مغاضبا وسكن في برج كرنباية * وفي تلك الايام نزل الباي على المنستير وحاصرها اياما ورحل عنها . وفيها جاء الخبر ان محمد باي ركب البحر * وفي ربيع سنة تسعين رجع الباشا الى سائيمه براس الطابية ولم يتبع بيده وبين الداى اتفاق * وفيها خرج الباي الى محلة الصيف واقام هنالك وخرجت له محلة الشتاء قبل اوانها فارسلها للجريد نصيان البرج الذي في توزر واخذ في سنة احدي وتسعين والى . وفيها استنفر الداى العسكر للكاف ومنعهم مرتباتهم . وفي ربيع الثاني من هذه السنة بعث الداى العسكر نجدة لاهل سليمان . وفي جمادى الاولى جاءت الرسل من الجزائر لاجل الصلح وقابلهم الداى بعنف . وفيها صادر اهل المرتبات ومنعهم لقلته استمصاصهم اسرة وسيفه رجب خرج الباشا الى القيروان وكان من خيرة ما سيأتي ذكره . وفي شوال خدمت صفاقس . وفيه جاءت رسل اهل الجزائر ونزلت محلتهم في الحدادة . وفي الحادي والعشرين من شوال جاء الخبر بخدمة الكاف وفرح الداى بذلك . وفي ذي القعدة جاء الخبر برضاء الباشا مع الداى . وفيه خدمت اولاد سعيد علي باي وتعطلت مرتبات العسكر في

هذه المدة الى ان دخلت سنة اثنتين وتسعين والفس ، وفي اول ربيع الثاني منها قام العسكر على ساق وطلبوا مرتباتهم فالان لهم الداي القول فابوا فغلق باب القصبه واحس بالشر ومكث ثلثا وكانت هرجة عظيمة لولا ان تداركها الله بالباي فقمع اشراهم وهدن السنة ووعدهم باخذ مرتباتهم * وفي سابع ربيع الثاني كلف اهل المدينة والربضين باداء الرميّة فامتنعوا ثم اذعنوا وتشي الاداء في الوطن كله * وفي جادى لاوولى كان الختان في برج باردو لحفيد الباي وكانت تلك الايام تعد من الاعصار * وفيه قوميث الوحشة بين الداي والباشا * وفي ثاني جادى الثانية سافر الباشا الى الديار الروميّة وبقيت البلاد بلا باشا والمرتبثات والحجابي تحظ في الديوان * وفي هذه الايام وقع الرخاء العظيم وكثرت الغلال والخيرات بحيث وصل قفيز القمح الى اربعمت ريالات واقل من ذلك والله تعالى يلهم هذا الداي للسداد والصلاح . ويصلح حال من تسبب في اقامته بهذا المنصب ويبلغه النجاح . كيف لا وهو حسنة من حسنات الامير علي باي نسال الله تعالى ان يوفقه لما يحبه ويرضاه *

وحسبك اثبت بجملة من اخبار الدايات وجب ان ناتي بنبذة من اخبار البايات وان كانت هذه التي جعلتها لم تدون قبل وانما تلقيتها عن من كان قبلي واخبرني ومنه اعتمد في نقلها على سبيل الاختصار وذلك ان في مدة بني ابي حصن سلاطينهم كانوا يخرجون بمحالهم لجباية خراجهم وفي ايام الدولة العثمانية تقسمت البلاد بين القواد وصار اعظمهم يخرج بالمحلة وكانت الاعراب في قوة واستحوذوا على جل البلاد كعرب افريقية اولاد ابي الليل واولاد بوسالم واولاد جزة وغيرهم واولاد شنوف بوطن الكاف واولاد سعيد واولاد مدافع واهل الجبال غالبهم مصاة وكنان صاحب المحلة يعاملهم بالمخادعة والرفق والقواد يتعاقبون في التزامات المحال فكانت احوالهم مضطربة وكثرت الحكم بالمدينة فكانوا في جهد مع الرعيّة والعزب اشد شوكة في اول الامر فكان يعسر الخلال معهم وخصوصا اهل

جبال عمدون وجبل وسلاط وجبل مظاظمة * وأول من سما وأظهر ناموسا لهذه الطريقة وتسمى بين هذه الرعايتة بهذا الاسم على الحقيقة القائد رمضان من الألاج وأصله من أهل الجزائر وخدم المنصب هناك وانتقل إلى الديار التونسية وتحصل على هذه الرتبة وكانت فيه سياسة وتديبير فاقنى الماليك وصلت هتمة وتخرج من مماليكه عدة رجال اخذوا المنصب في حياته وتسموا بهذا الاسم قبل مائة فينبهم مراد باي ورمضان باي وحسين باي هولاء مشاهير مواليه وكان اعظمهم همة وابعدهم صيتا مراد باي وكان فيه حذق زائد عالم بتدبير الرعيه وجبايتة خراجها استولى في حياة استاذة على الولاية الضخمة واستخلفه في حياته وكان يتفرس فيه النجايتة عن غيره حتى عن أخيه رجب * وكان مراد أيضا يتفرس في مماليك استاذة حتى أتى سمعت ممن سمعه يقول عن مملوكي استاذة حسين ورمضان أما حسين فلا يموت حتى يفتقر ويعمى وكذلك كان يطلق على رمضان اسم الفقر فنجمت فراسته وكان يتنخر بنفسه ويقول أنا ملازم لخدمته استاذي وعندي كذا وكذا مال وعندي شيء معتبر ولم يزل يترقى إلى ان صار بعد استاذة في هذه الرتبة * ولمسا مات استاذة في أيام يوسف داي أراد أخوه رجب باي ان ينفرد وحده فسمى عند يوسف داي فتال له من أصبح عند باب الصغير ابن صندل فهو باي المحال لما يعلم من ذكاء ابن صندل وكان اذ ذلك قد هرب إلى الزاوية فاصبح عند باب مراد فخدمه فاحتوى على المنصب وزاحم رجب باي واستخدم أولا خاخم فلم يتم باعاء المنصب كقيام ابن صندل فاذا خرج مراد بمحلة جباها على وفق المراد دون غيره وربما اشركا * وفي أيام محلة الجزائر كان كل واحد بمحلة وهرب غالب مماليك استاذة اليه فكان يستخلف حسينا * ولمسا وقع عليهم في محلة الجزائر وعاد من سنته إلى محلة الكفاف ساس امورها على وفق مرادة وكثرة الروساء مصرة لافتراق الكلمة ولم يزل يعلو وغيره يسفل إلى ان متته نفسه باعلى المراتب فبعث إلى الباب العالي وجاءه التقليد

من السلطنة وذلك في سنة احدى واربعين و الف * وكانت فيه سياسة لم تكن لغيره الى ان تم له ما اراد بحسن تدبيره وتنزل به عظام الامور فلا يتعصعصع لها وكان مغري بقتال اولاد سعيد وتمزيق شهابهم وكانت له القدرة عليهم الا انه لم ينفرد بتدبير البلاد لمشاركة الغير له فيها * وفي اخر غزواته التي جلاهم فيها وقطعهم واخرجهم من البلاد الى وطن طرابلس ولم يستقروا به وهي اخر محاله جاءه خبر المنصب وهو على مدينته صفاقس وتسمى باسم الباشا وتختلف لولده على المحال وباشر هو منصب الباشوات ولكن لم تصف له الايام ومات من سنة ودفن في تربته بازاء الشيخ سيدي احمد بن عروس نفعنا الله به ثم نقله بعد ذلك بزمان طويل ولده لاسعد محمد باشا وجعله في تربتهم بالجامع الذي اخترعه وسمي به وجاء من اعظم المساجد وسباني ذكره بعد ان شاء الله تعالى رحم الله الجميع وتجاوز عن سيئاتهم انه سميع مجيب *

* محمد بسبسي *

من احبي رسوم البايات في الديار التونسية وشيد معالمها في البلاد الافريقية واظهر من ابيه الامارة ما لم يظهره غيره وفعل ما لم يفعله ملوك بني امي حنص في زمانهم ولا غيرهم لاميير لاجد ابو عبد الله محمد باي ابن المرصوم بركة الله لاميير ابي الظفر مراد باشا رحم الله الجميع استقل بالامر بعد وفاة والده وكان والده تخلى له عنها في حياته لما ترقى الى الباشوية فلما مات ابوه انفرد بالامر وباشر الولاية بجنان قسوي وقابل الرعية برضى واحسان وقرب القاصي وقهر العاصي وهو اذ ذلك في سنوان شبابه ، وكان رحمه الله معتدل القامة تلم الخلقه ازهر اللون بديع الشكل لايمتلي منه الناظر لحسن اعتداله ولم يكن في زمانه احد من امثاله فيه حدة ولين وصقل وزين مثله كاتبه ووزيره الصغير بن صندل وكان كاتب ابيه من قبل وخليفته في السفر رمضان باي وحسين باي وجعفر باي ومصطفى باي استبدلته في اخر الامر وكل من المذكورين لم يميت وسدعت

وذلك بين الامراء ورفعته وحواله هم المشهورون من عمالكم وخدمته ركابهم .
ممن لا بد لكل واحد منهم ان يشتمل لامرته ويتف ببابهم . وتخرجت من
مواليهم عدة رجال . ممن باشر الامارة وجباية الاموال . وغيرهم جم غفير لو
تبعنا اسماءهم لصاق بنا القرطاس . وكفاه شهرة ما لهجت به البلاد وروثه
من اخباره الناس . وكانت له اخلاق رضية . ونفس آية . وفيه ذكاء مفرد
ويراي مصيب . اذا اضمر شيئاً لا يبدي سره لاحد ولا يظهر عداوته اذا اراد
المعاداة محبا لاطهار الفضائل بذال الاموال وربما يعطي عطاء من لا يخشى
الثمر وهم احسانه البعيد والقريب . وشهد له بذلك العدو والحييب .
وكان مجلسه يجمع العلماء والفضلاء ويكرم اهل العلم والصلاح ويحب الغرابة
ويود الفقراء ويستحسن ان ترى ثروته على احابه ويعجل بالاحسان لاهل
حصرت واصحابه وبمجلسه العلماء والادباء وتتبع بين يديه المباحث ولم
مشاركة بنهمه الذكي . وجعل لاهل مجلسه المرتبات السنية بحيث يعم الجميع
بالانعام وجعل لهم دفترا فيه اسماءهم ويعطوا على قدر مراتبهم وتجري
عليهم عاداتهم من البر والغنم والبقر والتمر والتفصيل والدرهم وغير ذلك مما
هو من عاداتهم . وكفاه فخرا ان العلامة ابا عبد الله محمد بن مصطفى الازهري
فزيل تونس كان يقول - لو سئلت من ثلث لاجبت بلا ولو قطع راسي -
وقد تقدم ذكر السوالين والنائث الموعود به - ولو قيل لي هل رايت اكرم
من محمد باشا لقلت لا - فكفاه مدحا شهادة هذا العلامة . التي بقيت في
وجنات الطروس كالشامة . فان قال قائل - ما صدرت هذه المقالة من الشيخ
إلا بنا غيرة به من الاحسان . ولهذا وجب عليه ان يمدحه باللسان والحنان .
لقوله صلى الله عليه وسلم - جبلت القلوب على حب من احسن اليها -
وهذا الشيخ من كثرة ما احسن اليه اطلق لسانه بالمدح وخلف هذه
المقالة تروى منه - قلنا له - سلنا لك هذه ولا نسلم لك غيرها مما هو مشهور .
وإذا جاء الحق ذهب الباطل والزور . هذه خبراته باقية من بعده .
يصنع به تفرقت بين الناس وحسنات اكنسبها بحجده . والناس مطبوعون

على مدح وثموة سعده ، ولا يخلو ارباب الصدور في كل وقت من اصدقائه
واعداء ، وهذه المحاسن شهد بها الصديق والعدو ، والتحمل ما شهدت
به لاعداؤه ، وسيتلى عليك بعد هذا ان شاء الله ، ولو تتبعنا محاسنه لاحتجنا
الى تاليف ممتثل ، ولكن ناتي في اخر الفصل بما هو مشهور ويصوب
به الشل ، ونرجع الى الاول فنقول لما استتل بالامر بعد والده كان المشارك
له في المنصب رجب باي ثم سليمان باي وكانا لم يبلغا شواها ، ولم يجريا
جراه ، الى ان لحقا بالله وانفرد بنفسه ، وفي ايام مشاركتها له في الولاية
هانت لاعراب في غالب الاقليم ، وخصوصا منهم زريعة الخبث والاصل
الليثيم ، اولاد سعيد لا اسعدهم الله لان طبعهم الفساد في البلاد ، ويهتكون
بالحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، لان امرهم كان ممسكتا مدة من
السنين ، الى ان ظهرت على اهل تونس الواقعة المشهورة بين العسكريين مئة
سبع وثلثين ، وقد مر ذكرها فقامت قيامتهم على ساق ، وتمادوا في النفاق
والشقاق ، وغالب اوقاتهم بجار على منهاج الضر ، وبقيت نفوسهم الخبيثة في
الكر والفر ، وكان الحرص مراد باشا مقاوما لهم وحرصا على تبديد شاملهم فعاجله
جامه ، ولم يبلغ منهم مرامه ، وكانوا ياجتثون الى بلد الحامة ويتحصنون بها
لانها ساعدتهم في نفاقهم نحو سبعة اصوام فكانوا بها يتحصنون واليها ياجتثون
وعرب افرريقية كذلك الا انهم اقل ضررا من غيرهم واولاد شتوف متغلبون
على وطن الكاف الى ان من الله تعالى بهذا الامير ، فقطع دابرهم والحق منهم
الغني بالفقير ، فخرج بمحلمه الشتائية سنة احدى واربعين والف ، وشد ازر
بلاد القيروان بعدما كاد ان يقع بها من اولاد سعيد الخفيف ، واستوثق امرها
واولى عليها مملوكه القائد علي الحنوشي وكانت فيه غروسيه ، ودخل
بمحلمه الى بلد الجريد وخلص حياها وظهرت همته ورئاسته وبلشر اموره
على وفق مراده ، وتقدم انه كان معه عشاركا في وظائف رجب باي
الا انه لم تكن له فطنة ، وانما بلغ باسم اخيه من قبله ، وتقدم ان
اهل تونس يذكرون ان فلتة من الرجال كانوا نجباء ، وكل واحد منهم لم

أخ ومات الثلثة قبل اخوتهم فلم يبق منهم احد مقام اخيه احدهم رجب باي المذكور لان اخاه رمضان باي كان في غاية الذكاء فلم يبق رجب مقامه وانما نال ما ناله بسايقية اخيه ولما مات خلف ولده سليمان فدخل بمخالبه بين معترك الفرسان فلم يتم له مراد . وانقرد المرحوم محمد باشا بامور المملكة واخذ في تهديد البلاد . وجمع اهل الفساد . واغرى بين اولاد شوق وسلط بعضهم على بعض . الى ان حاصرهم من الارض . والتفت الى الحمامة فخرج اليها بهجته سنة اربع واربعين والف وارسل الموثنة في البحر والعسكر في البر وحشد اليها من جميع البلاد . وكانت على نفاقها سبع سنين وهي مناجاة كما قدمنا لاولاد سعيد . وكان نزوله عليها يوم من السنة المذكورة فنصب عليها المدافع والمنجنيقات وحفر الخنادق واما بقطع النخل فتطعروا منه شيئا كثيرا وحاصروها من كل جهاتها وداوم عليها الحصار وكان تقدم منه اذار لهم مع المرابطين وامنهم فلم يبق شيئا فعند ذلك اقسم انه لا يوتحل عنهم او يحكم الله بينه وبينهم فناوشهم القتال وجعل العساكر نوبا في مقابلتهم وداوم بهم الحصار وضائق عليهم ومات من الفريقين خلق كثير . وجاء اليها المدد من اخوانهم المتمردين فلم يجد نفعا لكبير منهم ولا صغير . ومع ذلك كان يبالح في ارسال اليهم بالاعذار والاذار ليقيم الحجته عليهم فلم يزدهم الا طغيانا . كآن لكل متمرد منهم شيطانا . وكنانت الحمامة هذه في غاية من الحصانة . ولاهها خبرة بالحروب ومكانة . وهي في مكان منيع والنخل محدد بها . ولها خندق دائر من كل جهاتها . ولما نفذ القضاء دارت عليها الدوائر وكان المتعصبون يقولون لو مكث عليها صدة اعوام . لن يتيسر له بها مرام . والاقدار مخالفة للظنون . وما قدر الله به يكون . فداوم عليها الحصار . والقتال لا يفتقر بينهما في الليل والنهار . وهم كل يوم في مدد مزيد . وتتمرد من غوايته شيطان مرید . ولا مير يستخدم في الرجال . ويجود بالمال . الى ان يسو الله عليه بفتحها . وانتقادت له بعد جمعها . فقتلت رجالها . وسبيت

نساوا وتهدت أموالها ، وبيعت أولادهم بيع الرقيق ، وصبغت صخورها
بدماء أهلها صبغ العقيق ، وخرّب المساكن ، وأجلا منها الساكن ، وكانت
وقعتها مشهورة ، وأخبارها بين الناس مذكورة ، ولما تم له ما أراد منها ،
أمن الذين هربوا عنها ، وأمرهم بالسكنى خارج البلد ، وضرب أهلها بسيف
العفر بعد سيف الحد ، وأذعنوا لأداه الخراج ، ودخلوا في طائفة فاجراهم
على أحسن منهاج ، وكان هذا الفتح أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين
والف ، ولما سمعت بهذا الفتح جيرانها من البلاد العاصية ، جاءت الوفود
مستأنين من البلاد القاصية ، وشاع ذكره بين البلاد ، وعم اسمه الحاضر
والباد ، وصارت له سمعة عند أهل الطلق ، وطار خبر أخذ الحامة في
الافاق ، لأنها مكثت نحو سبع سنين حامية في صلالها ، واستصعبت
عن غيره إلى أن أخذها وكان من فحول رجالها ، وكان جبل وسلات قد شخ
بأنفه في هذه المدة ، فلما بلغه ما حل بالحامة لانت صخوره بعد الشدة ،
ولما تم هذا الفتح رجع إلى حصرتة العلية ، وقد سار الرعب في قلوب
الرعية ، وعلم أن طائفة أخذ في الصعود ، وطالع أعدائهم في السعد الذابح
وهو في سعد السعود ، ثم تهيأ لأولاد شنوف وقاومهم بالكفاح إلى أن أنزلهم
من صياصبيهم ، وقتل جل رجالهم وجلا باقيهم وجز نواصبيهم ، وما زال يتبع
فلهم واحدا بعد واحد إلى أن أفناهم ولم تبقى منهم بقية ، ومن نجا بنفسه
صاقت عليه الأرض وطلب منه الثغية ، وكانوا قبل ولايته تغلبين على
الكاف ورعيته وهم أهل التنتة بين العسكرين وقد مر بعض أخبارهم ،
وكان من تقدمه من البايات عاجزا عن أن يحمل بدارهم ، إلى أن يسر الله
لهذا الأمير ما لم يتيسر لغيره ، وفتح له كل صعّب ورزقه من خيرة ،
واحتوى على ما كان بيد أولاد شنوف ، وأجلّاهم من مساكنهم وديارهم
وانزل من تبقى منهم منزلة الخوف ، ولم يبق شيئا من دارهم ، وكانت لهم
سمعة في البلاد بين عرب افرقيته ، وتحكموا في وطن الكاف مدة من
الاعوام وجبوا الجبايات من الرعية ، إلى أن قتلهم ، ودخلوا تحت أمره

وأذلهم . فدانت له منذ ذلك جميع العربان . وحلث بهم الفاقة ونزل بهم الهوان . ثم التفت الى اولاد تميم . الذين لم يكن لهم رئيس الا ابليس . فاخذهم بيكرهم ولحق اولهم بأخروهم . الى ان قطع دابره . فحرم عليهم بغزوات حوثارة . الى ان جعلهم في الحضيض لا يهد رفع الله بما فعله بهم درجاته في الاخرة . فمارسهم المرة بعد المرة . وانكى عليهم بمحاله الكرة بعد الكرة . الى ان اذاقهم الذل والهوان . وفك ما بايديهم من جباية الاوطان . وحل بهم الصغار . والزهم اداء الدرهم والدينار . وصاروا يفزعون من انتسابهم الى النسبة السعيدية . وان سئل منهم احد عن نسبه فر الى النسبة اليهودية . وتشتتوا بعد اجتماعهم . وركنوا لاداء الخراج بعد امتناعهم . وتفرقوا ايدي سبا في الخائفين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . وامن الله البلاد والعباد . وقمع بهذا الامير اهل البغي والفساد . وامنت السبل في ايامه من الاغاث العادية . وصارت الظعينة في ايامه رائحة غادية . ولو لم يكن له من المزايا الا قطع هذه الطائفة الرذيلة في ايامه لكانت له من اعظم المنصائل . ولو توصل بها في الدار الاخرة لكانت من اكبر الوسائل . ولم تنم لهم قائمة مدة حياتهم . الى ان بعثوا من قبور الذل ولكن بعد مائة . صلى الله ان يقطع دابره . ويهلك اولهم وءاخروهم * ومن وقائع الباشا المذكور ادخاله عرب ورضته في عمالته . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم من طراد العرب فادخلهم في طائفة . ونظمهم في سلك اهل جبايته . ولهم خبر يطول . ويعجز له الوصول * ومن خزواته المشهورة ووقائع المذكورة اخذه لجهل مطامته وكان مستمرا على النفاق . فخرج اليه بمحالته سنة سبع واربعين وثلث واثم واقام فيه الحرب على ساق . فلزمه بالحصار . وصيق على اهله من جميع الاقطار . الى ان سلخوا له باداء الخراج عن رؤوسهم . ورضوا منه بالامان على اهلهم ونفوسهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم انهم اهل حرب ومنعة . واستعصموا بجبلهم الذي لم بين الجبال رفعة . واداء البربر الذين كانوا من اهل جالوث . فسلط الله على ءاخروهم هذا الامير

كما سلك على أولهم طالوث ، وبنى في جبلهم حصارا ، وجعل فيه انصارا ،
والزبهم من الخوارج ما طابث به نفسه مدد السنين . وعطف بعنانه
وقابل قوما آخرين . ومن وقائع المشهورة التي اذاعت اهل ميدون
المرار . وفعل بهم ما فعل بغيرهم والزبهم البوار . بعد ما كانوا متحصنين
بجبلهم ويصعب الوصول اليهم . ولا تسمح نفوسهم بشيء من الادياء إلا ما
هان عليهم . لان جبلهم في شايمة الحصانة . ولهم به قوة ومكانة . فنزل
عليهم بخيلهم ورجلهم . وضايق بهم الى ان دانوا له وداس جبلهم برجلهم .
وسمى منهم النساء والاولاد . بعد ما قاتلهم وقتل منهم وابدأ . ودخل جبابهم
عنوة . وقطع منهم السندة والنخوة . وعفا عن بقيتهم بعد ما ذهل كل خليل
عن خليله . واجراهم كاخوانهم جرى الادياء وسيلهم . وذلك في ايامه العربان
والزبم الصغار لمن كان لهم منهم شان . مثل اولاد ابي الليل الذين كانوا
في زمن بني ابي حنيفة اهل حل وحقد . فاهانهم الى ابن سمحوا بادياء
الماشية والنقد . وكذلك اولاد حرة واولاد صولته . وغيرهم ممن كانت لهم
شوكته وصولته . ولازم مدة حياتهم في تتبع اثارهم . الى ان محاذركهم
واخلي ديارهم . وهؤلاء ممن كان يشق العصا في السابق . فللازبهم الادياء
الى ان اتصل لاول باللاحق . وهذه الطوائف ممن اتقى ابن ناجي بتحريم
مبايعتهم الاث الحرب . وكذلك البرزلي قال عرب افرقيته اهل حرب .
وكذلك الشيخ اللعاني ضرب بهم المثل قال المحاربتة من عرب افرقيته
وبالجنلة فان صرهم كثير . وهم من الذين لا يراعون إلا ولا ذمة ولا
ينبتك مثل خيبر . فحسم الله هذه الطوائف الخبيثة في ايامه . الى ان
صار المسافر يتوجه حيث شاء ببطانتهم يهز باكمامه . وامنت السبل
والطرقات . وانقطع التمرد والطغاة . ودانت عرب افرقيته ولزبهم الدين .
واشتهرت عليهم الجباية في كل حين وحبان الحين . ولما مهد رسوم عرب
اوطانهم . وجعل كل واحد منهم مشتغلا بشأنه . انفتحت الى عظماء مشائخ
العربان . مثل علي بن عبد الصمد وولده من بعده ابي زببان . فشاركهم في

عربيتهم ، واجلامهم عن معاقبتهم واطوانهم . وشنتهم في القفار . واخلى منهم
الديار . واصناف دريد الى رعيته . واحسن للحسن منهم والزم الجاني
بخطيتهم . وركب منهم عدة من الفرسان وجعلهم من جللة رجاله * ولما
عزم على ممارسة قبائل العرب شرع في تزييل فرسانهم . فجمع منهم
عددا وجعل كل زمالة في قج من فجوج اوطانهم . ولكل زمالة رئيس من رجاله
القائد حسن النسب لحسين باي وهو اشجع رجاله وعقبه موجود وهم
جماعة من اولاده واحفاده كلهم معدودون من فرسان العرب وسياتي ذكرهم
والقائد علي الحناشي مقدم زمانه ايضا والقائد احمد الرقيعي هولاء مشاهيرهم
وغير من ذكر كثيرين وركب عدة رجال من صكر زاوة يقال لهم الصبايحية
وجعلهم بركابهم حيث سار يسيرون . وجعل صبايحية اخر وقرر سكانهم
ببلد القيروان وجماعة منهم ببلد الكافي وجماعة ببلد باجة لتأمين الوطن
فامتت الطرقات في جميع بلادهم * ومن اشهر سعادتهم ممارسة لطايفة العرب
في وقتهم الشيخ خالد بن نصر الحناشي . وكان خالد المذكور اشهرهم
سمعة بين قبائل العرب ولم منعة وعدة وقائع مع عسكر الجزائر عمر عمر
طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بانفتته على العائلات التونسية ويبتد
في وطنها لانه مجاور لها ويتعرض الى محبتهم فيستكفون شره ويهادونه
بالهدايا الى ان قبض الله له هذا البطل الهمام فتنادى على مديارته الى
ان هزمه سنة اربع وخمسين والى بمكان يعرف بصراط . وهي واقعة
مشهورة وكان تعرض على الوادي وحال بين الماء والمحلة فراجته فرسان
الرجال . وكان ازعمهم في ذلك اليوم القائد حسن وظهرت منه شجاعة قوية
ضربت بها الامثال . وهو اول من باشرة بالخراب فرحل عن الماء ضوة
بعد قتال شديد وانهزم هزيمة شناعة ولم تلم له بعد ذلك قائمة مدة
حياته واخذ يلاطفه ويهاديه ويهادنه ولم يكن له ذكر بعد ذلك . ولم
يمت الباشا حتى خدم ركابه اولاد خالد المذكور ووقفوا ببابه واحتاجوا
اليه * ولما سارت هذه السمعة بين القبائل من العرب خافوا من سطوتهم

فأذعنوا بالطاعة وجاءته الوفود من كل مكان وهادوة على قدر مراتبهم وأتوه من جميع الجهات بالتهنئة ودانت رعائهم وبلغ مناه واقفل اليهم شعراء العرب وشعراء الحواضر والتمدوة اشعارهم واجازهم الجوائز السنية وانتشر ذكره في الافاق الى ان طبق الوجود ولم يسبق حي من العرب إلا وعندة خبير من سعادته فنكمش كل متمرّد بعد ذلك وود كل شيخ من العرب ان يكون مملوكا . وكذلك شيخ مشايخ العرب الذين في ناحية الغرب الشيخ ابن علي دخل في سلك الجماعة . ولم تسعه إلا الطاعة . وكان من المتمردين على عسكر الجزائر وهزمهم مرارا عديدة * فمن سعادة الباشا المرحوم انه كان يتصرف من اذنه مدة حياته . وأوصى بأولاده اليه بعد مائة . فكان لا يتشيخ احد منهم إلا بعد مشورته . وإذا اصابهم عييم دخلوا في مائه * ولما دانت له جلته هذه الجابرة وصفاله زمانه حمل رعيته على احسن طريق . وانقطعت قلوبهم مع بعد اوطانهم من خوفه الى ان صار كل مسافر لا يحتاج في سفره الى رفيق . وربما سافر عدة ايام وليس معه إلا زاده وبضاعته ولم يلف من يتعرض له في الطريق . وامتدّت المسافرون في جميع الافاق . ولم تكن مدة حياته قبيلته من العرب تميل الى الشقاق * ولما ساعدة القدر على مراده حظ بكلكمه على من اراد ان يكون من اصداة . وذلك ان جماعة من اكابر المحاصرة والقواد كانوا يريدون التنقص من ايمانهم . ويخطاؤون الى وثبتهم . والقدر يقول له انت امير دولتنا . تصرف بما اردت انك باعيتنا . فرد عزمه الى اهل البلد وبدا باكبر قولدهم القائد عبد الله بن خوران وهو اذ ذلك قائد القواد فصادرة واستصفي ذخائره وامواله بعد ما كان متحرفا عليه . فدخل في طاعته وجث بين يديه . ومن كان يانف من مقامه . ويانى ان يكون من خدامه . الشيخ مصطفى شيخ لاندلس مكث عدة سنين في انحرافه وخلافه فاذاقه هوانا . والبسه من ثياب البذل الوانا . واستصفي جميع ما كان له ومات طريدا في غير وطنه * وكذلك شيخ حرب طرود الشيخ صالح اخذه مثل ما اخذ غيره . ودمر ذكره واستصفي خيرة . وتم له الامر وما بقي له

منازع في دولته ، وهلك عدة رؤساء ممن كانوا في خدمته ، مثل الصنادلثة الذين حم كتابه وأبي القاسم القنصى وعلي هوا كل هولاء من المخولين في نعمه لما كثروا بها اخذهم اخذة رابية واسترجع منهم ما كانوا اقتنوه من اموالهم ولم يبق في المملكة إلا من كان مطابا له ويتصرف بامرهم ويتف مند حده ونال سعادة لم ينلها احد ممن تقدمه من الماضين ، وجلس في رتبة فضاهي رتبة بني ابي حفص وكان يعد من السلاطين ، وتصرفت المملكة من نهيه وامره ، ونال ما لم ينله احد في دهره ، ولما صفا له الوقت من اقرانه ، وخلف كل احد مشتغلا بشانه ، نادى لاهل زمانه هل من مبارز فلما لم يجبه احد جل الدهر على كاهله وتصرف كيف شاء ، والله سبحانه وتعالى يوتي ملكه من يشاء ، وكانت مجاله السعيدة اذا خرجت كعادتها لم يكن لاهلها تعب وكانهم يتنهزون في العمالة والاموال تجي بلا تعب واكثر مغيها حسون فيما * وهو اول من اتخذ قاصيا لمجاله كعادة بني ابي حفص واتخذ الكروضة لوفائية السفر وشالب احكامه لا تخرج من احكام الشرع إلا ما تدعو اليه الضرورة من قمع فساد او سد ذريعة مما يستحكم بالفرائين ، وتخرجت من مواليه عدة زعماء لا يحصى عددهم كل واحد منهم يعد من الملوك وجاءته التشاريف الملوكية ، والامام الخاقانية وطار صيته في البلاد الرومية ، وبعث الهدايا الجليلة الى الاصاب السلطانية ، وهاجر الى حضرته العلماء والادباء وجاءه ككل طالب برحقى من البلاد الهجازية ، وانتشر ذكره في جميع الافاق ، وهداه من مصر ومن الشام ومن العراق * ولما تم له ما احب من دهره تاقث نفسه الى الرتب الملكية ، واراد ان يتظم في سلك الفرائد السلطانية ، فطلب من الباب العالي منصب الباشوية ، فبعث هديته حافلة لم يدخل من الغرب مثلها للديار الرومية ، وعرضت على الحضرة العثمانية ، فسيرت له الخناع الخاقانية ، وكانت هديته في ستة ثمان وستين والى صحبته ابن كليان فكانت يضرب بها المنل وبلغه التخليد في اواسط رجب من السنة نفسها ودخل الى الحضرة

ببشارة السلطنة * وكان يوم دخوله يوما مشهودا تباشرت به اهل البلاد
وباشر الولايت على اكمل حال ولم تقع في ايامه مظلمة مثل ما كانت في
زمان فيرة ، وشمل الناس بعدله وخيره ، ومدحته شعراء وقته ، والاب كلا منهم
من قدر مرتبته ، وتمشت المرتبات على احسن حال وكان الناس في ايامه
في هناء لم يروا مثله ، وايامه حدث من حسنات الدهر تقبل الله منه سعياً
وفعله ، واستمر في منصب الباشوية الى سنة ثلث وسبعين والى ثم بعث
الى الباب العالي واستغنى من المنصب وجله فقبل منه ورفعا عنه وكان
خليفته بالباب في رتبة صالية وله الشفاعات عند اهل الدولة وكل ذلك
بهمة استاذة ، وبعد انفصاله من الباشوية طلب الراحة لنفسه وكان
سابقاً تخطى عن جميع بلادة لاولاده وقسم بينهم المناصب فقدم ولده الاكبر
مراد باي على المحال وخراجها وجعل بيد اخيه الذي يليه وهو ابو عبد
الله محمد باي صنجق القيروان وصنجق سوسة والمنستير و صفاقس وجملة
رماياهم ، والمذكور هو باشا زماننا ، وميائي لم خبر بعد هذا وقدم ولده
حسنا على صنجق افريقية وكلهم تسوا في حياته وتلقبوا بالقباب البايات
وكل واحد منهم له صيت وسعة ولم يخرج من الدنيا حتى راي ماسرة
من بنيهم وبني بنيه وتلقب بنو بنيه بالبايات في حياته ولا زال متماديا
في افعال البر والاحسان ولاخذ بقلوب اهل العلم والصلاح وتن اصابته
فأثبته من اهل البلاد ياجا اليه فياخذ بخواطرهم ويتجاوز من هفواتهم الى
ان لحق بالله تعالى وكانت وفاته رزاً على اهل تونس سلحه الله بمنه
وكرمه ، ولندكر نبذة من مآثره التي بقيت بعده على سبيل الاختصار ولو
تبعناها كلها لاحتاجت الى مجموع مستغل فمنسبها تشييده منارة
الجامع الاعظم ببناء ضخم وجعل في اعلاها درابز ثقي الموزنين الحر في
الصيف والبرد في الشتاء وجعل رخامة تقابل الناظر اليها ، ومزجورا اسمه
عليها ، وتاريخ البناء بابيات من انشاء لاديب الشريف السوسي *
ومنسبها الحنايا المجلوب عليها الماء من مسافة بعيدة من ابار قصة

صاحي بها الحنايئة القديمة في ضخامة البناء وانفق عليها أموالا لا تُدخَل
نحت حصر وتم بناءها في عدة سنين وأدخل ماءها الى المدينة وفرقه في
أزقتها وأوقف عليها أوقافا للقيام بإصلاح ما يتعطل منها فانتفع بها الناس
إلا أنها في هذا الوقت تعطل بعضها من شدة الفتن * ومسن حسانتهم
أنشاء المارستان بحومة العزافين وفيه عدة بيوت في أسفلها وإعلاء للمرضى
وجعل له أوقافا للقيام بلوازم الذين يحلون به منهم وخدمته يتخدمونهم
وطيبا ينظر في علاجهم وما يحتاجون اليه من اشربة وأدوية ومن
طعام وكسوة وفراش وغير ذلك وجعل له ناظرا ينظر في أوقافه وهو
اليوم جار على أحسن أسلوب تقبل الله منه * ومسن حسانتهم بناء الجامع
الذي بازاء تربته مقام الشيخ سيدي أحمد بن عروس نفع الله به وكان
موضع دورا فاشترها من أربابها بثمن طابت نفوسهم به وبلغه شيء
كثير وبناءه في غاية الحسن والضخامة بحيث لم ير في المغرب أمر منه
وضخامته نبي عن ضخامة بانيه وأوقف عليه أوقافا جليلة لامامه
وللمؤذنين والقراء وما يحتاج اليه وجعل فيه مدرسا للعلوم الشريفة وجعل
امامه من السادة الحنيفة تقبل الله سعيه . وجعل فيه تربة بديعة وهي
لم تكمل الى اليوم ونقل اليها جمة والده وقبره بها ومن مات من أهل
بيته وبقيت فيه أماكن لم تكمل الى زماننا هذا قابله الله بأحسنه *
ومسن محبته في الفعل الجميل ما سارت به الركبان افتكاكه المراكب
التي أخذت للجزائريين من ايدي النصارى المرة بعد المرة بمال جزيل
وأنعم على الماسوريين وكساهم وأحسن اليهم وصرفهم الى بلادهم وعدة أسارى
من سواهم بعث بطلبهم من بلاد الكفر وخلصهم * وكذلك أحسانه
الذي كان لأهل القيروان في كل سنة يفرق بين صغائهم وأهل البيوتات
منهم * ومن سخائه وعلو همته أنه سحبت نفسه في يوم واحد بما قيمته
مائة ألف دينار وهي الواقعة التي جرت بينه وبين سليمان باي عند
مماسيتهم أداء واحد منه العلياطة والزندالمة والسانية التي كانت لبني أبي

حدث في رأس الطابية فسمح للجميع لاجد خروجهم الذي كان سردار العسكر في ذلك الوقت * ومسن المائر التي بقيت من بعده ما اجاء من منازل باردو وشيد بها القباب الرفيعة وزاد على ما كانت عليه في ايام الخفصيين فمن شاهدها حكم بعلوشانها على من تقدمه وكان موكبه بها كموكب السلاطين ويحضر موكبه في سفرة وحضرة جماعة من المغنيين والمهيين والعلماء والمتكلمين والشعراء والادباء ويجلسون في مجلسه على طبقاتهم ولهم جوائز سنوية ومرتببات سنوية تزيد على الخمسين الفا دون ما يتبعها من هدايا وملبوس وهذا غير ما يصرفه في عسكرة واصلاح شأنه وما يحتاج اليه اهل بيته وعلمائه وحشمه واتباعه ومرتببات اجناده وهذا شيء لم يسمع به لاحد في اقليم المغرب * وبعث بصدقائه الى الحرمين الشريفين وجاءته جماعته منهما فاحسن اليهم وكان فضلاء الحضرة يحضرون سجده وقت اقامته بتونس وجعل لاهل القيروان صدقة سنوية وكان يميل بيرة ورافقه عليهم ومن اهل سيوة من كان يقد اليه في غالب السنة ، ونال وجاعة عنده مفتياها الشيخ ابو العباس احمد عرف العلي والشيخ ابو عبد الله محمد عرف العروي وهو شاعره ومادحه له فيه وفي ولده القصائد الطنانة ، وكان اديب وقده وشاعره من غير مدافع ، وكان يجمله ويحسن اليه ويانس به . وللشيخ المذكور ولد نجيب قدمه والده في حياته للثريا وكان يروي مسند البخاري بحضرة والده في مجلس الباشا في السنة التي مات فيها وقد ابتدا به موضعه فكان يحضر الاستماع للتبرك بالمحدث الشريف وبه ضعف وهذا من حسن فية بحيث ختم عمرة بهذا الختم الشريف ختم الله له بخير الاعمال * وربما نائي لم يحسن اخر في غير هذا الموضع عند ذكرنا محاسن تونس وخائمت هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * ومن رحمة الله في شوال سنة ست وسبعين والفي وجل على الاعناق وكان له مشهد عظيم ودفن في تربة والده في جامعته الذي بناه وكانت وفاته رزقا في المدينة ساحة الله وحقا عنه * ومنهم لاسر الضخم ، وصاحب الفخر لاسم ، قاصع المنردين من اهل النساد ، المرصوه

بهجرة الملك الجواد . ابو النصر مراد باي انشرد بتدبير الاوطان بعد وفاة
والده المرحوم وكان تخلى له منها في حياته ولما توفي والده تم له الامر *
وكان صدرا من الصدور تمام القامة بديع الشكل اشهل العينين واسع
الصدر بعيدا ما بين المنكبين علامت الملك ظاهرة على شمالك من رءاه
ادركته حيشه منه ردا بتدبيره لا يتكل على احد قد تروى في فخرة الملك من
والده ولم سطوة وصولته قامعا للاعراب لم تقم لاحد منهم قائمة في ايامه
متشددا لاحوال ريشه فخرا من عاواه مهد البلاد كتمهيد والده واجرى الامور
على عادته يحب الصيد والقنص ومكاتبه صهوات الخيل وهي بنده من انتم
الفرص ولم تجر في ايامه حادثة تفكدر منها النفوس إلا الواقعة المشهورة
التي يعبر عنها بواقعة الملابس والتي قبلها الواقعة في تغيير دولة شعبان خوجه
لما اراده الله تعالى من تغيير النعم . وبهذه الواقعة انفتحت ابواب الفتن *
واهدا اهل تونس الشدة والباسة وصدروا بالحن . ونذكر بعضها على وجه
الاختصار . وذلك ان الباي المذكور لم يكن له اهتمام إلا بامور الرعايا التي
في الاوطان . ومدير المدينة واهلها على مثل ما سبق هو الدولاني والمستولي
في هذه المدة الحاج شعبان داي وقد تقدم ذكره فاغراه بعض الاعداء
من اتباع الباي ومن كان تحت نظره * وقصد سولت له نفسه ان يقوم
مقامه فانفق مع جماعة وحسنوا للداي المذكور ما لم يكن حسنا ولا راد
لامر الله وانتقت اراوهم الفاسدة على الفتك به وذلك موجه الحسد لما
خوله الله من خيرة واطلع على ما اصمرة من الشر وكتب اليه بعض
اصدقائه بالخبر فلما ثبت عنده ما اصمرة رجع بمحلتهم كعادته وكتم سره
ولم يظهره إلا ان يثق به من بطانته * ولما قرب من المدينة بهرحلة
خرجت وجوه الناس كعادتهم الى لقائهم وخرج ابن احد خوجه واجد بن
القائد جعفر وهو احد مماليكهم وثبت عنده انهما اصل الفتنة وهما اللذان
اغريا الداوي فلما سلبا عليه قبض عليهما ورجع بهما الى محلتهم فلما شعر الداوي
بذلك علم انه المطلوب فبعث جماعة من اكابر دولته يعتذر الى الباي وانهم

ما اراد شيئا وانها اخبار كاذبة وحلف بايمان ولا امر ثقرر بخلاف قوله
فلما وصلوا الى المحلة التقى بهم واعلموه ما ارسلوا به له فاجبرهم بدلائل
قاطعة فانفق معهم على خلعهم فخلعوه بين يديه وقدموا هنالك من اراد
وهو الحاج محمد متشالي وبايعوه بين يديه ورجعوا به الى تونس وعند
وصولهم القصبه دخلوا على الداي الحاج شعبان وخلعوه واخرجوه وجلس
متشالي مكانه وكفاه الله شر ما ارادوه ودخل الى حصرة تونس مريدا بجورا
فخافته نفوس اعدائه وتصرف في البلد بنفاذ الكليته وتيسر له ما لم يتيسر
لابائمه وبعث باين احد خوجه الى بلد تستور وجسه هناك ففر من
محبسه وابن القائد جعفر ارسله الى بلد الجريد فكان ذلك اخر العهد
به وهذه الواقعة سنة ثلث وثمانين والى ولما اطمان بحصرتهم احسن
الى وجوه اهل الدولة وفرق فيهم اموالا واستجلبهم وطيب خراطهم واطمانت
نفوسهم والتجأ اليه محسنهم وخافه مسيئتهم وتصرف كيف شاء ونشئت
الامور على ما اراد وخرج في السنة المذكورة كعادته الى بلد الجريد
لجباية الخراج فجاءته الاخبار ان اهل طرابلس وعسكرها عصوا عن باشاهم
وحاصروه في قلعتها الى ان مات بها وانه اوصى باولاده الى الباي المذكور
فسار الى طرابلس ليكشف الخبر فخرج اليه عسكر من طرابلس فاعتز اليهم
وحذرهم واندبهم فابوا الا قتاله فقاتلهم وقتل اكثرهم واسر باقيهم فعفا عنهم
وجاءته مشايخ البلاد والمرابطين وطلبوا منه ان يرجع عنهم ولا يتعرض لاحد
بمكره فقبل منهم ورجع الى بلاده وانتشر الخبر فخافته نفوس اعدائه واضمر
له اهل الشر في قلوبهم داء فعجل لهم بدوائه وذلك ان جاعة من العسكر
زرع الله في قلوبهم الحسد على ما رزق من النعم وارانوا الكفر به كما
فعل الذين من قبلهم فغوبلوا بالنقم فالتفتوا في غيبته هذه ودخلوا القصبه
البلد على حين فتلوا وخلعوا الداي الذي بها واجلسوا عوضه دايا اخر وهو
الحاج علي لاز وقدمر ذكره وتعاقدوا بينهم على الكفر بالبايات جميعا وبهم
ثعلبهم كان يوم الثلاثاء وهو يوم دم واول يوم من المحسوم فابتعثت اهل اعتدل

بإرافقة دهم ، وحكمت بحسبهم * ولما فعلوا ما فعلوا خرج الكرم محمد باي
 ولحق بأخيه واتزر بعضهما ببعض ورجعا الى بلد الزوارين من ناحية الكافي
 وبعث الحاج علي لاز يحاديهما فلم يفده شيئا فعند ذلك امر ان تنهب
 ديار البايات فلخذوا من متاعهم ما قدروا عليه وصارت هرجة في المدينة
 وخرج الى الباي جماعات ممن ينتمي اليه وكرة الناس هذه النازلة لما وقع
 بسببها من الفساد في المدينة واستعظموا الامر * ولما فعلوا هذه الفعلة قدموا
 على انفسهم محذرة اذت وجعلوه مقام الباي وركب في الاسواق وطيف به
 وجلس في بعض منازلهم واخذ يستعد لحربهم وبعث الى طائفة من العربان
 واستنصر بهم وخرج بجملته ونزل بالملاسين وبه سميت واقعة الملاسين وهو
 المكان الذي في طريق سيحوم فبعث اليهم الباي يحذرهم على فعلهم فلم
 يرجعوا عنه لانهم جماعة من اشرار العسكر وروساءهم لم تكن لهم عقول
 للتمييز وغلبت اشرارهم ايجابهم فبعث الباي اليهم بعثا بعد بعث فكانوا
 يخرجون كل يوم الى خارج البلد ويستنشقون معهم من هو على رايهم
 وجاءتهم مشايخ العربان وسخروا بهم وهونوا عليهم الامر واخذوا منهم دراهم
 وثيابا على الرحيل فلم يجدوا من يحملهم فلم تكن الا ايام يسيرة حتى اقبل
 الباي اليهم باجنادة وزمولة ونزل بمقرية من سيدي علي الخطاب وتاهب
 لقتالهم فلما سمعوا به استنقروا بقية العسكر وخرجوا الى المكان المذكور واخرجوا
 مدافع كانت معدة لهم وتقدموا الى مكان يعرف بعتبة الجزار فطلعت عليهم
 الخيل من ناحية الباي وكان الباي في مرادة ابقاء الحرب الى غد فلما التقى
 الجمعان وتناوشوا القتال لم تكن الا ساعة من نهار حتى ولوا على اعقابهم
 منهزمين واخذت مدافعهم وانتعهم وقتلت منهم مقتلة عظيمة لم يسمع ببثائها
 فيما تقدم ومن نجا منهم دخل المدينة والتجأ الى القصة بقية الجماعة واغلقوا
 عليهم الابواب والحصنوا بها * وهذه الواقعة كانت يوم الجمعة في النصف من
 صفر سنة خمس وثمانين والقب ومن غد أصبحت القصة مغلقة الابواب واهل
 البلد في حيرة لم تكن في حساب وعاشت الاعراب في اطراف البلاد وكان

الخطب جليلا . ويوم الاحد قدموا دايا اخر وهو الخراج ما مي جمل وبعضوا
 اكابر العسكر الى الباي يعثرون اليه فثبل منهم وامرهم باخراج الفسدين
 من بينهم فبعثوا الى الجماعة المتحصنين بالتصبة فمخادعهم الى ان اخرجهم
 ومشوا الى زاوية الشيخ سيدي محرز فلم يغب عنهم فاخرجوا منها وقتلوا . وتبع
 الباي كل من ركن اليهم ولافعالهم وقتل اكثرهم وما نجا الا اقلهم واسترجع
 ما نهب من امواله الا ما قل * وهذه الطائفة فعلت الاوابد وافسدت
 وخربت ولم يكن فيها صاحب عقل وكادت ان تخرب البلاد لولا ان تداركها
 الله بهذا النصر . وكانت هذه الواقعة عبرة لاهل العصر . وتدارك الباي
 المذكور احوال البلاد فصرف عنها العرب الذين اتوا معه فردهم الى اوطانهم
 وامن الناس على ما بايدهم وكفى الله المومنين القتال واقام بمنزله في
 باردو واخذ يتبع اهل الجنائيات الى ان افنى بعضهم واجلا بعضهم وكتب
 اوامر وبعضها مع جماعة من كبار العسكر الى الباب العالي وجاءه الجواب
 على مقتضى مراده . ومن هنا زادت صولته وعلت همته وسافر في سنته الى
 افريقية كعادته والامور الاحكامية تنفذ في المحصرة باوامره ومشورته وزادت
 همته على من تقدمه من ابيه وجده . وزال ما لم ينله احد في افليم المغرب
 بحزمه وجده * وفي هذه السنة اخذ اهل وسالات في الشنق . واعلنوا
 بالنفاق . وكان قد لما اليهم ابو القاسم الشوك لانهم خافى من سطوة مراد
 باي لانهم تحسق عنده انه كان ممن وانس اليه . وساعد بعض اعدائه
 سرا وكاتبه ومال اليه . فخاف على حشاشته نفسه . وانضم بالجبل مع ابنته
 جنسه . لان هذه الواقعة المذكورة كشفت احوال كثير من المستدين .
 واطهرت خفياتهم الباطنة فتعل بهم ما فعل بقوم اخرين . وكانت لها سعة
 بين اهل البلاد الغربية . واتصل ذكرها بالبلاد الشرقية . وكنت مدحمة
 على ذلك بقصيدة دالية فجاءت بسعادته على وفق المراد . وتقرئت بحضرت
 على المسامع الشريفة وحليتها باسم مراد . وهي ازيد من مائة بيت استوفيت
 فيها الواقعة من اولها الى آخرها . واطهرت اسمه واسم اخيه وولديهم وجعلتها

وسطني جوارعها * وارل القصيدة من محاسن ما يذكر بين الناس ، وهذا
ان اذكر شيئا منها كما اذكر اسم المدوح ولا باس ، اولها -
زمان الصبا هل له ان يعاد وان كان ماضيها لا يستفاد
وهل للشبيبة من رجعة ثنابلي بعد ذلك البعساد
وما زلت مسترا في تغزلها ، وشكاية الدهر وما فعلت الايام بامثلها ،
وتخلصت الى المدوح بقولي -

ولله من عصبته رقتسي بعدم ركاب وعدم الزاد
يسائلني بعضهم في المسير الى اين قلت لتسم يمراد
ونظنته بعض ما في الصمير وشاورت كلا على الانفراد
فقالوا نوم لبعض الملوك فقلت اصبتم فهذا مراد
بتونس انسها قسدره فصارت كما قيل ذات العماد
امير جيوش محال الهندا ورب الثنا لجميع البسلاد
له همة بلغت للسهبا وصورته عن ظهور الجياد
اذا ما علا اظهر الصافيات يزحزح في الارض صم الجماد

ومنها -

ايا ملكا فاز بين الملوك وللضد والمال جعا اباد
فلو عاش كسرى لهذا الزمان اطاع والقي اليك القياد
ومنها في ذكر ولديه النجيين

ولفرقدين به نسبة فلا تنس ذكر الكرام الجياد
محمد محمد اوقائسه علي اخوه علي النجساد
هما كاليدين وكالقلبيين وكالبيرين لنفع العباد

ولو لا خوف الاطالة لاتييت بها عن آخرها * ومدحت بقصيدة لامية
لامير الاسعد ابا عبد الله محمد الحفصي واتييت بما يليق بكل واحد منهم
يحصلت الجائزة من الاخوين ، جازاها الله بنواب الدارين ، ولكل واحد
ذكر وحسنات تلي ، وكلهم مستحق المدح والمدح لهم اولى ، والله تعالى .

هو المشرك ان يذهب عن جميعهم الصير ويقبضهم آلاف . ويلههم الرشدي
الماضي والحال وما هو عات . ولترجع الى بقية اخبار المرحوم مراد باي
فلما تحقق عنده نفاق الجبل . اخذ في استعمال المكور به والحيل . وكاتب
الشرك يخوفه ويحذره وهو متماد على نفاقه الى سنة خمس وثمانين والـ
خرج اليه بمحلتين عظيمتين واستنفر جمعاً عظيماً من اهل البلاد وخرج اخوة
عده بمحلت من صبايحته ونازل الجبل واداروا به من كل فج وبعثوا الى اهل
جماعة من الثغراء والمشايخ فلم يتفق لهم طاعة فعند ذلك امر بقطع اشجارهم
وصابق بهم الحصار الى ان دهمهم وحل بدارهم ودخل الجبل عنوة . وقطع منهم
الخنوة . وفر الشرك امامه بعد قتال شديد . وقتل نفسه بيده وجيء براسه
وما ربك بظلام للعبيد . وكان هذا الفتح في شهر صفر من السنة المشكورة .
ورجع بعساكرة ومعلمه النصورة . ويوم دخوله الى المحصرة عد من حسنات
الايام . وعام سعيد على اهل تونس يفتخرون به على الاعوام . ودخلت المحال
على كرتين . وقسمها بين ابيهم الانيس . دخل ولده الاكبر المولى محمد باي
بالمحلة في اول يوم ومن غد دخل اخوة المولى علي باي . وهي اول محلة
دخل بها . وظهرت عليه ذلك اليوم سخائل الامارة والبها . ووقع للنس الفرجة
في يومين . وعودت الناس الاميرين الانيس بناني اثنين . ونشرت صلي
وعوسها الاعلام الخاقانية . وضربت الطبول العنانية . وكانت هذه الايام من
تمام السعادة . وبها ختمت حياته الى ان ختم الله له بالسعادة . وهذه اخر
سفراته . وعاخر ايام حياته . ولم تطل له الايام من بعد . وتحدثت من بين
اقرانه والايام مولعة بالشد . وتوفي بمنزله السعيد بباردو في العشر الاواخر
من جادى الاولى سنة ست وثمانين والـ . وحمل على لاندق ودخل
المحصرة ودفن في تربة ابيه وجده بجامعهم المشهور . وانفذ بعلمه بعد ما
كانت عامرة به المنزل والقصور . وكانت جنازته حافلة وغلقت الاسواق
وبكت عليه الناس . وبمذته انفتح الخرق وجار على اهل البلد الشر والبس .
عسى الله ان يرد كل خائف الى مأمنه . ويلهم ولدكم التولي منهما اصلا

وطنه انه محبوب الدعاء به ومن محاسنه رحمه الله تعالى انشاءه مسجداً
 ببلد باجة من احسن المساجد وجعل امامه من الطائفة الخنثية واقف
 عليه ما يحتاج اليه ، وكذلك مدرسته بديعة الشكل عند باب الربع بمدينة
 تونس واشتهرت باسمه يقال لها المرادية وبعضهم يقول لها مدرسة الثوبة
 لانها كانت مسكناً للاجناد قبل بنائها ويقع فيها الفجر فغير رسمها الاول
 وجعلها لذكوة كتاب الله والعلم وبها امام ومدرس وعدة بيوت للقاطنين بها
 ولهم مرتبة واقف عابداً عدة حوائث بازائها ، واقفاً اخر بحيث تكمل
 جارية اهله ، وسئلت عن تاريخها فجاء بالجمل ، مدرسة علم الباب الله على
 ما فعل به ومن فخامة قدره ، ما ساد بين الخائفين بذكوره ، الوليدة العظمى
 التي صنع لوادة الامجد مولى الشجر الجلي والهدر العلي ، ابي الحسن المولى
 علي ، ولاخيه حسن باي ابي اخي مراد باي كانت من عجائب الدهر ،
 وتذكرة لاهل العصر ، صاهى بها الولاة السابقة لابيه ، وارى في التجمل
 كعادة اسلافه وزاد فيه ، وكانت سنة ثمانين والت واتفق الناس انهم لم
 يروا مثلها الا فيما سبق لايسر ونايه الاجماع حصل ، وعليها ان هذا الفرع من
 ذلك الاصل ، ختم الله لنا ولهم بالسعادة ، واذابهم المحسني على صنيعهم الجميل
 وزيادة ، انه ولي ذلك والقادر عليه ، ومن البايات الذين حصلت لهم
 الرئاسة وحصل الاجماع على تقديمهم الى ان دخلتهم المنافسة فقام كل واحد
 منهما ما قامى وهما الاميران الاجال لاهوان الشقيقة اللذان رضاء بن السيادة
 من ثني واحد ، ولم يكن لذي مثل ان يفضل واحداً على واحد ، الا ان الله
 في خلقه اسرار ، ويعلم ما جرحتم بالليل والنهار ، واولا قدر الله الذي سبق
 في علمه ، لم يكن لواحد منهما ان يتزحزح عن رتبته ورسمه ، ولناث بنيدة
 صا وقع بينهما الى ان دن الله تعالى على اهل الحاضرة بمن صالح بينهما وذلك
 يوم وفاة المرحوم مراد باي كان واده الانجد ابو عبد الله محمد وهو اكبر ولده
 في العائلة كعادته لان والده كان يتوهم في حياته وشقيقه ابو الحسن علي
 حاضر وفاة والده فلما سار الى رحمة الله اتفق اهل الحبل والعتد على توليته

الأتين لانيهما كالثيرين ولا فرق بينهما ولا فضل لاحدهما في السياسة والتدبير . إلا كما يقال في المثل فضل الكبير على الصغير ، فسيروا له صحبة اخيه جماعة من اثوات العسكر وصحبتهم خلع سلطانيته واوامر شريفة بولايتهما جميعا وقرئت بالحلّة على العسكر وابسا السناريف وضربت الطبول ونشرت على رؤوسهما لاعلام الملوكة وتباشيرت الناس بهذه الولاية المنجددة فقام المكرم محمد باي بلامر احسن قيام . واستوفى خلاص رعيته على التمام . ونفذت الاوامر على وفق مراد الاخيرين . واستوفيا ما كان على الرعية من الدين . ورجعا الى حضرتهما في شهر رجب من السنة . فلهذا قربا من المدينة خرج اليهما الناس على العادة للتسليم عليهما واجتمع بهما من لا يخشى الله والقي لهما كلاما باطلا انفلا منه وكادت ان تكون ذنبت لولا لطف الله ومن غد دخلا في مركبهما على العادة وباحالا بدار عزهما دخل الكرهون بينهما بالنميمة واطهروا لكل واحد منهما النصيحة واغروا بعضهم على بعض وكان بيان الغيبة على اساس فرادوا ان ينقض ففتح بينهما باب الفتن وجرت بينهما مناصمات في السر والعلن وكل منهما بدى انه الابهى عليهم . واراد كل واحد منهما ان يعلم ما له وما عليه . وطلب المكرم محمد باي ان ينفرد بلامر علي ما كان في زمن ابيه عليه . وطلب اخوة المكرم علي باي ان يكون مشاركا له فيها لديه . وابتى كل منهما ان يسام كلاما لغيره فجرت بينهما مناجرة وتخاصم . وعال امرهما الى التحكم . وحضرا بالديوان المنصور وتنازل بين يدي اكابر العسكر وصناديد بعضهم بعضا . وانتقد ان يسلمها لامر الي عبيد الاكبر فرصيت جماعة اهل الديوان بذلك وقدموا عبيدا . وجعلوا بيده التصرف في الحضرة والممالك فخلعت عليه خلع الولاية وركب بسعار السلطنة ونادى المنادي في البلدا اعظم الناس بولايتهم فجاس بجاس حكمه . وخرجت الاوامر باسمه . وهو الابعد الانجود المولى ابو عبد الله محمد الخنصي ابن المرحوم المولى ابي عبد الله محمد بسا . ابن المولى المرحوم برجته المالك الجواد مولانا ابي الطاهر مراد بسا عذر الله للجميع .

ولما لم لمر الأمر أخذ في إصلاح شأنه وانعم باليهاب والصلوات على جميع من يستحق احسانه فانفتحت نفس المكرم بمجد باي من تقديم همه وحكمتهم سره ولم يظهر لاحد خبره فعزم على الفرار من المحصرة ورافقه ابن عمته وبعض جماعته وظلمانه وخرج الى طاهر البلد كعادته واخذ متوجها الى بلد الكافى لواخر شعبان سنة ست وثمانين فجد في سيره الى ان بلغ الكافى . فكثرت في المدينة الارجاف . وانقسم الناس واختلفت آرائهم واهواهم وتزايدت الافاويل . واختلف القتال والثقل . ولما حل بالكافى اجتمع اليه خلق كثير من كل الجهات فانعم عليهم واحسن اليهم واستخرج من ذخائر والده وانعم على وفده وتجهز لمحاربة همه . وكان من قدر الله انه قبل خروجه من المحصرة اقبل الركب الهجازي وشيخ الركب محرز بن هندة وكان من رجال الدولة في زمن الالفه فلما حدثت هذه الحوادث خاف المولى الحفصي ان يتفاقم الامر فحسم المادة بان خلع نفسه ورد الامر الى حفيدة وبعث الشيخ المذكور الى بلد الكافى لاعصلاح ذات لبين فلما وصل الكافى حكم العداوة اكثر مما كانت عليه وفي غيبته كثرت الارجاف . وبقيت اهل الاهواء في كرفر وعظم على الناس الفتن وتسامعت اهل المحصرة ابن الباي غزا من الكافى على باجة واخذ منها ما يستعد به ثم غزا الى ناحية القيروان واخذ شيخ الزمالة احمد الرقعي وقتك به وانه معول على المسيحي الى تونس لمحاربة اخيه وعمه . فلما سمع همه بذلك خرج من المدينة وخرج معه ابن اخيه المولى علي باي ليجبعا امرهما ووقعت هرجة في البلاد وفي اثناء ذلك رجع محرز بن هندة من الكافى فالتقى بهما وهون الامر عليهما وذلك بخلاف ما في صحيرة فرجعا الى البلد وحلف لهما العسكر ان لا يفضلوا احدا على احد ولكن عن موافقة من اكابهم . ورجع محرز المذكور برسالة غير الاولى فزاد بمكيدته في تأكيد الشر وترادفت الاخبار وتواتر ان الباي اقسم لا يدخل البلد وعه فيها او يتكلم به وذلك في شهر رمضان المعظم من السنة فلما صح الخبر عند همه كره اراقة الدماء بين الفريقين فعزم على الخروج من البلد

وهي مركبا حل فيه ما يحتاج اليه وسلم ملكه وبتاعه وخرج بمن يليه وركب البحر من ناحية رانس ويوم خروجه تقطعت الاكباد ، وتطعت قلوب احابه من اهل البلاد ، وكان الهول عظيما ، ولا امر جسيما ، ولا حول ولا قوة الا بالله كيف تفرق الشمل بعد الشمامه ، والعقد بعد نظامه ، وهذا هو السبب في رحلته الى الديار الرومية ، والقدر بحمله الى ان بلغ الى الرتبة الملوكية ، ورجع بشعار الباشوية الى الديار التونسية ، وقد مر له خبر قبل هذا في غير هذا المحل ولما سمع خبيده بخروجه من المحصرة اقبل الى البلاد ، بمن صحبه من روساء وقواد ، فخرج غالب الناس الى لقاءه ، وخرج اخوه مع من خرج ففص منه واطهر له التنكر والحد في باطنه اكثر وحل في منزله بباردو وجاءه الناس وهنوة ، ثم وقع بينه وبين اخيه اتفاق على ما رضوه ، ولم يتم ذلك والزمن لاقامة ببعض قصورهم خارج البلد وان لا يدخل المحصرة في غيبته وتبها الى المحلة في شوال سنة ست وثمانين وخرج تحت الصندق وسافر الى بلد الجريد على العادة ، وفي غيبته تقوى الطاعون بتونس ومات من اهل بيته جلته من اقاربه واخوه لم يحضر جنازة احد منهم وماتت زوجته ولم يحضر جنازتها ، والاخبار واردة بما تغيرت منه النفوس وفي اثناء ذلك مات عمها حسن باي ابن المرحوم محمد باشا فحضر المكرم علي باي في ذلك اليوم جنازته ، وبعد ايام ظهر الخبر وذاع بين الناس ان البولي علي باي توجه الى ناحية الغرب لسبب تحقق عنده وخافه والله اعلم وسياتي بعد ، واما المكرم محمد باي فاستخلص عادته من الجريد ورجع من هناك الى افريقية ورجعت المحلة الى تونس وزادت الارجيف من اهل البلد واضطربت نار الفتن ، وخرجت المحلة الصيفية من سنة سبع وثمانين لاستخلاص الوطن الافريقي ، وفي تلك الايام وردت اخبار من الديار الرومية بان عمها وصل اليها ووردت اخبار اخر اضربنا عنها فرجع المكرم محمد باي الى المحصرة والتفق مع اكابر الدولة بانهم لا يقبلون احدا من عمه واخيه ، وقال العسكر الى قوله وبتعدوا محضرا بجامع الزيتونة وانتقوا على

كلمة واحدة ، وفي أثناء ذلك جاء الخبر بان المحلّة التي للصبايحية وكانت قريبتة من عمدون اخذها تابع المكرم علي باي . وهو القائد مصطفى سبيول في عدد من الاغراب فخرج محمد باي من فورة من المسجد . وجد في سيرة ومن عند بعث برعوس اعراب لشمكنين للاحوال ولكن الراجيف كل يوم تزداد . ولما فرغ من امور افريقية توجه من هناك الى ناحية القيروان لانه بلغه نفاق وسلات فسار اليه بخيله ورجاله وحاصره من كل جهاته . وبعث الى اهل الجبل جماعة من المرابطين فرضوا بالطاعة واداء المال فلم يقبل منهم الا ان ينزلوا عن حكمه فحاضروا من ذلك ورضوا بالموت في منازلهم ثم بعث الى المحصرة فامدوه بعسكر ثمان وذلك في شوال من سنة سبع وثمانين ورجع هو في أثناء ذلك الى المحصرة واستحكم من العسكر بما اراد . وغالب العسكر ميتل لامرة ونهيه منقاد اليه احسن قياد . ما منهم الا من يفديه بنفسه . ورجع من فورة الى محلته وتتابعت رسلة الى اهل الجبل ولم يتم له ما اراد فعزم ان يستاصلهم من اوله الى آخره فهبوا له جوعهم بعد ما تراءت عليهم من كل الجهات . ودخل الى الجبل من طرفي شتى ودهم اهله بما لا قبل لهم به ولولا ما سبق في علم الله لجعله دكا فلما توسط جل العسكر في الجبل ووقع الحرب بين الشريطين وكادت ان تكون الدائرة على اهل الجبل فكان من قضاء الله ان المكرم علي باي كان في الجبل بطائفة من جماعته . وكان قائده القائد مصطفى بكمين خارج الجبل فلما ظم توسط العسكر في الجبل بذروا الى المحلّة وكان بقي بها جماعة ليحرسوا الامتعة التي بها والدواب فاءار عليها من خارج الجبل واخذ عدة من الخيل والجمال . وكاد ان ياتي على اخرها فحاربته من بها من العسكر ورموا عليه بالمدافع وظهرت له في ذلك اليوم شجاعة واقدام لم ير لاحد مثله حدث به من شاهده . فلما سمع من في الجبل من العسكر حس المدافع عليهم بواقعة حدثت بعدهم فوجلت قلوبهم ودخلهم الرعب فدلوا منهزمين لا ياوي صديق على صديقه . لا ينظر شقيق الى شقيقه فركب اهل الجبل ادبارهم ودلوا عنهم فتقلت لهم

يسمع بثلمها ولم ينبج منهم إلا سن وثق باجله ومات شالب البرساء من
 مقدمي العسكر وخليفة البايع القائد محمد بن علي وجماحة من فضلائها
 وكاد البايع أن يقع في المكروه لولا لطف الله به ونجا بنفسه وخلّف المدافع
 التي دخل بها للجبل في مواضعها ورجع الى الاخبية بمن نجا معه ومن
 غدر رجع الى المدافع واتى بها ورجع راحلا الى القيروان . وكادت هذه الواقعة
 تعد من الوقائع . وبها اتسع الخرق على الراقع . وكانت في ذي القعدة من
 سنة سبع وثمانين والفت ووردت الاخبار الى المحصرة ولكن لم تستهر بالناس
 بين مصدق ومكذب . ثم بعث الى العسكر يستنجدهم فامدوه بعسكر ثالث
 ولكن لم يخرج إلا والنشل دب في اكثرهم وخامرهم الرعب ولم تطمع نفوسهم
 بالنجاة الى القيروان فلما وصلوا الى سن تبقى من اخوانهم من العسكر انقلب
 منهم جماعة مستغيضة وبعث الى الجريد بحلته مشحونة وسردارها محمد
 رابح عرف طابقي وقد مر ذكره عند ذكر الدايات كما سبق وقائدة
 ثغائن مراد وبقي هو بمحلته وجاءه الخبر بان اخاه رجل من الجبل وانته في
 جع قليل فطمعت نفسه بلقائه فحسنته وطن ان ما اصابه انما كان يادل
 الجبل فجد السير في طلبه الى ان لحقته بمكان يعرف بسبيسته وكان يوم
 عيد الاضحية والمكرم علي بساي مقيم فلم يشعر إلا والحيل اقبلت وخبرته
 باخيه قادم عليه فاستدرك امره وهما جمع ودهم اخيه بمن معه . وكان
 شالب سن معه ادركهم التعب لعنف سيرة والتحتوا ابلا كثيرة فاخذوا منها
 وبدا النهب من العرب كعادتهم . فلما امعوا في النهب دههم علي باي بمن
 معه وجلا جلت منكرة ومن كان في نجدته ذلك اليوم صهرة وظهره شيخ
 العرب الشيخ سلطان بن منصر بن خالد وجماعة من الصبايحية فقاتلواهم
 بنفوس ابيته والله يوريد بنصرة من يشاء فام تكن إلا ساعة من فهارحتي
 هزموهم . وسكان عسكر المحلّة ادركهم التعب فما وصلوا وبهم قوة فليما راوا
 المنهزمين نصبوا اخبيتهم وتحصنوا بها وبعث اليهم علي باي يامرهم ان
 يدافعوا عن انفسهم حيثهم منهم ما يهجم وتدل من الشرقيين وفر البايع بمن قدر

نعم . ورجع الى الكنف وشم اصحاب الابدع علي باي ما خلفه اخوه
وعجز عن حمله وكان شيئا مستكثرا لانه رفع في وجهته هذه من الذخائر ما
لا يوصف فملئت ايدي العربان من المال ولا تمتعه . ولما انفصل الحرب
بعث الى اكابر المجلة وامنهم وسكن قلوبهم ثم بعث جماعة من اصحابه
من يتق بهم الى المجلة المتوجهة لاجريد فاستوثقوا بها وجيبت المجاني
باسمها . ولما تيسر له هذا التفتح بعث بالخبير الى تونس فكان وصول الخبر
اليها يوم ثالث العيد فزاد الهول على اهل الدولة واختلفت آراؤهم ولم يفتح
لهم باب الى ان هياوا جماعة من اكابر العسكر وبعضهم الى المجلة وبعضوا
جماعة من العلماء والفتيين فكان من امرهم ما سبق ذكره من خلع الداي
الحاج مامي جل وتولية الحاج محمد بيشاره . واحتوى المكرم علي باي على
منصبه وتصرفت الامور عن اذنه وهذه اخر مجلة خرجت في تصرف الامير
محمد واول مجلة دخلت في طاعة الامير علي ولم يزل المكرم محمد باي بعد
هذه الواقعة متخطيا في الغمرات . طالبا اخذ الثارات . واخوه مقابل له
في ذلك . متعرض له حيث توجه من المسالك . وكل منها له وقائع تذكر .
وصولات وسطوات لا تنكر وتذكر . الى ان اصلح الله ذات السن . وجمع كلمة
الاخوين . بعد ما كان بينهما حرب ولا حرب الاخوين . عسى الله ان يقيهما
الحوادث . ولا يدخل بينهما ثالث . ان شاء الله تعالى . ومن البينات
الذين شاد ذكرهم في الامصار . وانتشرت اعلامهم في هذه الديار . الامير الشهير
الاسد الصرغام . والبطل الهمام . صاحب القدر العلي . ابو الحسن المولى علي .
باي البلاد التونسية . المتصرف في المملكة الافريقية . احسن الله اليه . واجرى
الصالحات على يديه . وهو الذي سار ذكره في الافاق . وترجم الحدادة باسمه
وحلا ذكره بين الرفاق . وحل في رتبة المعالي في سماء العز واشرق شناه
شروق النيرين . وارتفع محله الى ان صار قطب المملكة التونسية وعلا على
حل السهي والفرقدين . وبلغ من السعادة ما لم يبلغه ابوه وجده . وبذل
مهمته في طلب العلياء وركب لاهوال وساعدة جده . وخاطر بنفسه في

ركوب الاخطار ، ولم يكل عزمه في طلب السرى وجد السير ، وركب الليل
وامتطى النهار ، وكافح الابطال ، وباشر النزال ، ودخل وسط الحرب ، وقابل
الطعن والصرب ، وهان طيمه ركوب الاحوال ، وانشق الطارف والتليد
والاموال ، ولم يشح بروحه وان كان غيره بها لم يسمح ، وسلس الامور الى
ان دان له سن جمع وتن لم يجمع ، ولم يزل تنطيا ظهور الصافنات في طلب
النارات الى ان بلغ المراد ، وجاءته السعادة متفاداة لما يامرها به وامثلت
لابن مراد ، وتصرف في المملكة تصريف الملوك ، وخصعت لدولته الايام
فانتهت لله ابيك ، تقفه الامراء اجلالا لمهابته ، وتخضع له الاسود خوفا من
سطوته وشهائته ، كم اثار من حروب وباشرها الى ان خصعت له الرقاب ،
وقارع الابطال وقرع بابا لم يفتح لغيره وفتح له الباب ، سرى في طلب العز
كالهلال فعاد كدر النمام ، واحتجب في سماء الهيجاء بين نجوم الاسنة
وبروق البارق وظهر من تحت سحب القشام ، ونازته نفسه في الرتبة
الملوكية فقال انا لها ، واقتمم عظام الامور الى ان بلغها ونالها ، فكم له من
واقعات ضربت بها الامثال ، وكم له من فتكات في اعدائه عجزت عن مثلها
لابطال ، كيف لا يحق له ان يذال مراره وهو جالس في مكانه ، وكيف
يحق لمن لا يخاطر بروحه مخاطرته ان يعد من اقرانه ، ورث السيادة من
ابائه وشيدها على ما كانت عليه ، وان جمعت من غيره فقد جاءته متفاداة
بين يديه ، وفي المثل - بالسعود لا بالجدود - وهذا جمع بين الاثنين ، وساعدة
الزمان مساعدة العبيد موليها واقتضى ما كان له على الايام من الدين ،
وفصله وقدرة اكثر من ان يذكر ، ومحاسن ايامه معلومة بين الناس فلا
يحق لها ان تنكر ، وانما مد القلم لسانه لانه وجد في هذا الميدان مجالا ،
وان كان بعد من الخرساء فقد انشق وتمثل فقال -

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فبقل

وهذا الامير مالك شاننا ، وحاكم اوطاننا ، ومنصرف في زماننا ، جل
الله بمحاسنه الاياما ، وجعل عليه كل نار حرب اضرها اعداؤه بردا وسلاما ،

ونائب بشي من اخباره ونذكر شيئا من آثاره . كان الله له وهو من الذين
رضعوا لبن السيد . وكان ابوه لا يفارقه حيث سار وهكذا جرت العادة .
فكان يتخلل باخلاق ابيه . الى ان أخذ الماء من جاريه . وفيه سكينه
ووقار . وتجنب من العار . وبطش وشدة ولين وحدة وحقل رصين . وجانب
معين . وثبات جنان . وكثرة احسان . وكان والده يتفرس فيه الرقاسة وكذا
كار . ولما قدر الله على والده الموت المحتوم كان حاضرا عنده وبلغني انه
دعا له بالخير ومات وهو راض منه فتبل الله دعاءه فام يزل في حفظ الله الى
ان بلغ مراده . وكان من قدر الله على ما سبق في علمه ان يقول الامر اليه
وارادوا خروجه عنه فجاءه الامر الى يديه . وما احسن قول ابي دلامته .
لما منح المهدي واخذ الكرامته .

انتم الولاية مشادة اليه تجرر اذبالها
فلم تلك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها احد فيسره لزلزلت الارض زلزالها

ولما قدر الله بانارة الفتن كما سبق الخبر منها في اول الفصل وخروج الامور
من يده والزمام لاقامة في منزله بمنزل حمر وكان الطاعون في تلك الايام
ومات من اهل بيته جماعة وهو كالمحجور عليه وتواترت عليه الاخبار بما تشتمز
منه التنوير وكانت بعض اصدقائه وكاتبه فكتم سره وعزم على الخروج
من العدالة والتقصاء يقول له انا رادوك ان شاء الله على اكمل حاله .
وسافر في عدد يسير . ورافقه من ختم الله له بالخير على هذا الامر العسير .
المرحوم برجته الملك الاوحد . الشلي ابن يوسف داي ابو العباس اجد .
سقى الله ثراه من صوب الرجته وساروا على غير الجادة ووقعت لهم في طريقهم
امور اضربنا عنها لان الخبر المانور عنهم فيه الصحيح والسقيم . ولما خلصهم
الله من العدو الذي تعرض لهم ركبوا في البحر من مكان يعرف بهرسي الحرز
ومن العجب ان كيف حل البحر المالح هذا العذب الفرات . وكيف علا
فوقه الدر الفاخر ان هذه لاحدى الغربا . وسارت بهم المركب وتلا

التمائل باسم الله بجزاها ، الى ان بلغوا ما منهم من بلد الغناب فكان هنالك
مرسأها . فسمع به اهل البلد وحشر الناس صحى الى زويتهم وكان ذلك
اليوم من اعجوبة الدهر عندهم ولقيهم اهل البلد واكرموا مشوا وقابلوه بما
يستحقهم . ومن هناك اخذ في تهديد امرة وبعث خاله الى مدينة الجزائر
لقصد نصرته فكانت تربته وقبرة والتحق به سن كان يتسبب اليه من
رجال والده وانتم جماعة من اولاد سعيد وجم غفير من دريد وتلحقت به
الناس وتجمعت عليه الجموع وفرق الاموال في جميع الاجناس وواقته باي
الجزائر ووعده ان ينصره ولم يوف له . وما النصر الا من عند الله ينصركم
ايشاء . ان ينصركم الله فلا غالب لكم . وجاءت حطة الجزائر الى قريب من
العمالة ورجعت واكثر الرجفون في المدينة بالاخبار التي ليس تحتها طائل .
بحيث يقر بونه مرة ويبعدونه اخرى وقد بعدت عنهم المراحل . وعاضده
في غيبتهم هذه لما اراد الله به مصاهرتهم لاكبر مشائخ العرب الشيخ سلطان
ابن منصور فتشرف الشيخ بمصاهرتهم هذا البطل . وسعد حيث دخل في سلك
دولته الى ان صرحت بسعادته المثل . والتحق به قائده القائد مصطفى
سبيول وهو من رجال دولته . وفي ايام ابيه كان موقفا على جماعة
الصبايحية وتخرج بتربته . وكذلك انتظم اليه الشيخ محمد ابن القائد حسن
وارلاده وهو من رجال العرب ودعاتهم وان كان اصل ابيه من العجم الا انه
ولد بين الابل والخيول وتعلم نزال الفرسان ومقارعة الابطال والغزو بطنهار
والسرى بالليل وغير هولاء بشر كثير . فاول واقعة سمعنا بها في تونس اخذ
لمحلة الصبايحية الى يد قائده القائد مصطفى سبيول وقد سبق خبرها ثم غزا
غزوة ثانية الى ناحية الكاف وساق احدى الزمائل وسار بها كل ذلك والناس
يستصغرون امرة وفار حربه احرقت الاقليم وهم يكذبون خيرة وبعث عدة
اوراق الى العسكر يعتذر ويحذر وينذر فلم يسمع له وكل سن وجد ورقة من
تلك الاوراق كتبها وذلك لما يريد الله به من نفاذ حكمه . وبعث الى
جبل وسلات فاتفقوا اليه واظهروا نفاقهم تحبه فيهم ولا زال امرة في صعود

وكل يوم في اقبال الى ان كانت الواقعة المذكورة قبل هذا عند كسره الحلة في الجبل المذكور فلك هناك كثيرا من الترتك وفداهم بمال وعفا عنهم ولم يرد تعرضا للعسكر بمكروه ، ثم الطامة العظمى كسرت الحلة الثانية قريبا من سيطلة بمنزلة المريقب يوم عيد الاضحى سنة سبع وثمانين والف واخذ الحلة وعفا من اهلها وامنهم ، واثاة اكابر العسكر وبايعوه واظهروا له الطاعة وهذه اول حلة نفذ امره فيها وجاءت الاخبار الى تونس ثالث العيد فطارث عقول اعدائهم ، وصار كل واحد منهم لا يعرف ارضه من سمائه ، وخامر جل العسكر الفشل ، واستولى على غيرهم الخوف والوجل ، واشتغل كل من العوام بما لا يعنيه ، ولكل امرء منهم شأن يغنيه ، واثت المكاتب من الحلة واخبرت بما وقع وكانت في المحصرة هرجة عظيمة وانفق اهل الحل والعقد ان بعثوا جماعة من اكابره وجماعته من اكابر البلد ومفتييهما شيخ الاسلام الشيخ ابا عبد الله محمد عرف فتاى شيخ مشايخ المالكية والشيخ ابا المحاسن يوسف درغوث مفتي مذهب السادات الحنفية ، فلما وصلوا الى الباي حفظه الله عرف مقامهم وقابلهم بطلاقة وجه واحسن نزلهم وسن معهم واجرى لهم مؤونة وقام بواجب حقهم ثم جمعهم واكابر صكرهم وعد عليهم ولائهم وحاججهم وقطع هجتهم وشهدوا له ذلك اليوم برجاحية العقل لانه كان في سابق الامر لا يتعاطى شيئا من المناصب لانه تحمى حجر والده ولم يظهر منه تصرف بما يستحسن الا ما كان يستحسن من خلقته وخلقه وعقله زاده الله تاما على الذي هو احسن ، ورفع قدره بين الروساء الى ان ينال مراده ويتمكن ، ولما اجتمع بفضلاء المحصرة اتفق منهم على خلع الحاج مامي جلد ومبايعة الحاج محمد ببشارة فبايعوه بالحلة المذكورة في مكان يقال له باطن القرن قريب من القيروان فرجعوا به الى المحصرة وخلعوا الحاج مامي وجلس ببشارة في دار التصبته الى ان كان من امره ما تقدم ، ثم ان الاعداء ابا الحسن علي باي رحل من هناك بعد ان كانت له واقعة مع الثرويين اضربنا عنها وكانت سببا لنشاقهم لما اراد الله لهم ورجع الى ان نزل بالتحص واقام به

اياما حتى تلاحق العسكر وجمع رايه الى التوجه الى الكافي فنزل قريبا منه
وبعث الى تونس بطلب المدافع فسيروا له ما اراد وهناك جمع جموعه
وعساكره وقصد محاربة البلد فنزل قريبا منه وركب المدافع عليه ورعى به
وجعل العسكر نوبا في المناريس ووقع الحرب بينهما واصابت المدافع اماكن
من الحصار وكاد ان يتززع وتصدت منه اماكن إلا ان الله تعالى جعل
لكل شيء حدا . ومن قدر الله كان في العسكر جماعة لهم ميل الى اخيه فبعثوا
اليه يستجدونه وهونوا الامر عليه وكان في ناحية الغرب فجد في السير
راجعا ودخل الى بلد الكافي ليلا ومشت بينه وبين العسكر حدة ارسال
وانفقوا معه ومكنوه من المحلة وكان ابو الحسن استشعر بعض شيء من ذلك
وكانت اقامته بمحله الاخرى فلم يشعر إلا والمدافع مالت اليه . والعسكر
الذي كان معه صار عليه . ومال العسكر الى اخيه . ووقع النهب في خيمه
ومن يليه . فطاح ما بيده ورحل من ساعته بجموعه وجنده وكر راجعا الى
الجريد وكند في سيرة خيفة ان تصل الاخبار الى من هنالك . ولما وصل
لمدينته قلصت لم يظهر لاهل المحلة التي بها ما يرتابون منه وامر برحائها
فرحلت وليس لاهلها علم بما وقع ورجع كعادته على الطريق الحادة وفشا
الخبر بالمحلة وهرب منها اناس فلم يتم لهم مرادهم واقبل اليه في وجهته
جل مشايخ العربان مثل الشيخ احمد بن نويرة وجماعة من الحمديد والجمع
الاعظم من نواجع دريد وشياطين العرب اولاد سعيد وسلطان العرب بخيله
ورجله وجماعته لاجباب من كل فج عميق واقبل بجمع لا يعلمه إلا الله .
ولما قرب من القيروان اظهروا له الشرف فلم يعجب بهم ووقع بعض مناوشة
بينهم وبين جماعة من الصباغية ورحل عنهم الى ان نزل بالفحص والجسوع
تترافق اليه من كل مكان . ونرجع الى خبر اخيه وقد تقدم انه لما احتوى
على المحلة وجد عهدا مع اكابرهما بعث الخبر الى تونس فحين بلغ الخبر
بمجردة قام العسكر على ساق ومضوا الى الحاج عامي جل وكان مسترا في
الراوية فاخرجوه وطلعوا به الى القصبية واعادوه الى منصبه وخلع بيشارة

وبعد ايام امر بتعلمه وقد تقدم ذكره فيما سبق . ومن هنا بدأ التخالف وعظم الارحاف وكثر الخلاف وتفرق الناس . ولم يبق للعقل قياس . وتبددت الاراء والعقول . وكل انسان بما يختلج في صدره يقول . إلا ان غالب الناس على جهة واحدة ويتكلمون بكلام لا يحسن السكوت عليه ولا تصح به الفائدة وكل يوم ثاني اخبار ليس لها صحته في الخارج وتراقت وتزاحمت الارحاف بما لا يعقل عند الداخل والخارج وبعث الداي جماعة من اصحابه ليأثروا بالخبر . فمنهم من قصا نحبه ومنهم من ينتظر . ورفعوا الاسعار وقطعت الاسفار . ووقع العسس بالليل والنهار . وما زاد الرجل باهل تونس اجع وايبهم على ارسال جماعة من العلماء واكابر المملكة من اهل البلد لاصلاح ذات البين . واجمع بين الاخوين . فغابوا مدة في ترددهم بين الاثنين . فرجعوا بخفي حنين . ولم يتم لهم الامر الذي طلبوه . وكل من الاخوين طلب شيئا لم يساعده عليه اخوه . فلما رجعوا خاتمين خلف الناس من نار الحرب التي وقودها الناس . وشياطين الانس مشيدة لتصور الفتن وليس لبنياتهم اساس . وقام سوق الخوف من بعد الامن . وانتشر النفاق في غالب الوطن . وقطعت الطرقات . وظلت الاقوات . وكل احد من الفريقين يرجح من صاحبه بالكلام . ولم يبق لاهل تونس من العقل إلا قال قال والسلام . وهذا من اكبر اعاجيب الزمان التي لم يقع مثلها والاخبار كل يوم متواترة بما ليس فيهم طائل . والعسس في الابواب كل يوم على الخارج والداخل . وجاءت الاخبار ان ابا الحسن علي بن ابي قارب الفحص في جوعه والمحلة التي التي فيها من الجريد معه وبعث بهذا الخبر الى تونس فلم يقبله احد وبعثوا الى من بالمحلة يامرونهم بالهروب فهرب منهم جماعة . ولما سمع به اخوة ثقات من من المجبي ثم ثاب اليه رايه وجمع جمعا عظيما واستوثق من اهل محله وجاء في نجدته الشيخ الحاج بن نصر وجماعته واقبل في عدد لا يعلم إلا الله تعالى وجاءت الاخبار من العرب وهونوا عليه امر اخيه فجدد في السير الى ان التقيا بالفحص يقول من شاهد ذلك اليوم رايت من الفريقين ما يذهل

العقل لما شاهدتهم من الفرسان ووقفت بلزاه شيخ يحرض الناس فعلت انه سلطان ورايت من اقدام الباي ابي المحسن علي وهو ثابت الجنان ، ويجول بين الفرسان ، وقدمت العرب هوادجها كعادتها والتقى الجمعان وجلوا حلة رجل واحد فلم يتف احد منهم ساعة واحدة إلا وقد رزق الله النصر الى جماعة المعظم ابي المحسن علي باي فغنموا مغنا عظيما من الخيل والسلاح وحرب الحاج وجباهته وخلف امراته قال سن شاهدنا وهي راكبة على بغل حين التي بها عفا عنها وردها الى صاحبها فلم يكن له ذكر بعد هذه الواقعة ، ولما فتح الله هذا الفتح الغريب في الزمن الغريب وكان الحرب من الفريقيين بين النجالة ولم يكن للمسكر مدخل لان المحلة التي جاءت من الجريد بعها الباي علي الى زغوان وقال لهم اقيموا هنالك فان كنتم لي رجعت معي وإلا رجعت الى صاحبكم فحلفوا له فلم يقبل وكان سردار عسكرها محمد رايس عرف طابقي وقد تقدم ذكره والمحلة التي جاءت من الكافي كفلعا ان منعت نفسها ونزلت بمكان عال وخذق عليها اهلها ومنع الباي علي من التعرض اليها ، ولما ارتفع الحرب بعث الى اكابر المحلة فعدد ذنوبهم عليهم وكان ذلك بآخر العهد بهم ، ثم بعث الى محلة زغوان فجاءتهم وبعث قائده مصطفى سنيول الى تونس وبلوك باشية ليخبروا بالواقع وهذه الواقعة كانت في آخر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين والالف ، ولما جاءت الاخبار الى تونس عظم البلاء وارتجفت قلوب الناس وكان الخطب جليلا وبعث قائده مصطفى فحاصر المدينة وضائق بها الى ان اذعنوا له بالطاعة وبعث اليها سردار العسكر الداي محمد طابقي بعد ما يتعمد بالمحلة وقد مر خبره فيما مضى وطلع الى افريقية كعادته لاستخلاص وطنها وتبنيده وكانت له واقعة اخرى مع جوع اخيه كابن الحاج شيخ الحنانسة واولاده ابي زيان وجعاتهم من دريد ومعهم جوع من عرب افريقية وغيرهم فكانت الطامة الكبرى ومات فيها الشيخ سلطان الحناشي لانهم دبحوا عليه على ففلة عشية نهار وياشر الشمال بنفسه وكثرت عليه الجموع فطعن ومات ووقعت في عسكرايي

الحسن رجة لولا لطف الله به وثبات جاشه فبات على احتراس ومن الغد اشتد الحرب واشتبهك وزاد المخطب وحبر الفريشان صبرا لم يكن قبل ذلك اليوم ومات خلق كثير ووقعت الهزيمة على اولاد الشابي وتن معهم وقم من اموالهم شيء كثير وملئت ايدي الاعراب وتن سواهم من الابل والمتاع وكانت بمكان يقال له وادي ناسته وعدة من الوقائع التي يضرب بها القل ورجع منصورا الى وطنه واستكمل جباه واحسن الى الشيخ احمد بن نوير وردة الى بلاده فبات قبل ان يصل الى وطنه قريبا من الحامة في معركة مع جنود محمد باي واخذ غالب نجعه هناك . وفي هذه المدة كثرت الازايف بتونس وقيل ان الباي مات واطلقت الاخبار الكاذبة واختلعت عقول الناس حتى انهم كذبوا بالضروريات وصدقوا بالمحالات وبعد ذلك رده الله سالما الى حضرته وصام بعض شهر رمضان فيها وخرج بحلته الشتائية في آخر الشهر المذكور من هذه السنة وهي سنة ثمان وثمانين وكان خروجه تحت الصناجق كعادة اباائه وضربت البشائر وكان له زبي عظيم وظهرت عليه مهابة الملك ولم يكن خرج قبل ذلك اليوم على هذه الصورة فتبارك الله احسن الخالقين على حسن خلقته وخلقه ولقد زانها حتى قلت فيه ذلك اليوم قصيدة مطلعها -

بدر السما ام نور وجهك يزهر لما خطرت بحليلة نتبختسر
من سندس خلعت قلوب حواسد لكن بها احبابكم يستبشسر
ما عين الراعون حسنك مشرقا الا وحضك هلالا او كسروا

وهي طويلة اضربت عنها ولم تساعد الاقدار ان يسمعها وسار في وجهه هذه ونزل على القيروان في آخر رمضان محاصرا لها ورمى عليها بالمدافع ولولا ان العسكر كان فيه اختلافي لكان استاصلها لانهم كانوا يقاتلون قتال تكلف بلا نية وييد عليها بيد الفطر ورجل منها وذلك انه جاءته الاخبار ان اخاه خالفه الى بلاد الجريد فتصد الهم وارتحل عن القيروان ومن العجب انه نازل القيروان واقام عليها مدة ايام واهلها يحلفون انه مات وان الذي بالحلته

غيره وهذا من اكبر الهذيان وشاهدنا وسمعنا بتونس ما هو اقرب من هذا
فسأل الله تعالى ان يحفظ عقولنا ويلهمنا رشدنا . ثم توجه الى بلاد الجريد
فوجد اخاه قد احتوى على كثير منها وحسن حصار قنصته وشحنه فلما علم
بقدومه فر امامه الى الزاب ودخل عدة مراحل في طلبه فقاته فرجع من
خلفه وحاصر من بالحصار المذكور وحصل له لغما فطلب من به الامان
فامنهم واحتوى على الحصار وجعل فيه نوبة من قبله . ولما اتم تشيخته
واستكمل مجابهة من بلاد الجريد كر راجعا الى الحاضرة وكان اتصل به الخبر
من الاعراب بان اخاه قاصدا الى تونس فبعث قائده مصطفى سبنول في
عسكر من الصبايحية لحراسة المدينة فلم يغن شيئا وكانت الطامة الكبرى
التي لم يسمع بمثلها في بلاد المغرب وهي التي حرقت فيها الابواب ونهبت
الاسواق وقامت الحرب على ساق ولقي اهل تونس فيها بلاء عظيما وحاصر
من بالقبصة وكانت الفتنة الكبرى وخرج جميع عسكر الحاضرة الى قتل
ابي الحسن علي باي وخرج في ذلك العسكر الداوي الجديد ساقسلي وخرجوا
باموالهم واولادهم ولم يبق منهم الا القليل وقد ذكرت هذه الواقعة في ترجمة
الداوي طاباق واتصل الخبر بابي الحسن علي باي لطف الله به في اثناء
الطريق فجدد في سيرة وكان معه جمع عظيم وبعث الى اكابر المحلة واخبرهم
بالقبصة فحالفوا له على الموت فوعدهم بزيادة خمسة نواصر توقيا لكل واحد
ورحل الى ان قرب من الفحص فالتقى هنالك بالمحلة الخارجة من تونس
وسمها محلة من القيروان وغيرها من النوف ومثلها من صفاقس وعربان اجتمعت
معهم من الاقليم لا يعلم قدهم الا الله فالنقيا في اول المحرم من سنة تسع
وثمانين والوف والتحم الحرب ورمى بعضهم على بعض بالمدافع والمكاهل
وصادق بعضهم بعضا في القتال والتقت الخيل بالخيل واشتد الهاس . وكثر
المراس . وتقارب الصفان . واختلط الجمعان . وصارت كل محلة يتول اهلها نحن
اخذناكم يعني اهل المحلة الاخرى . ولما اجتمع العسكران قالوا بكلمة واحدة
ونسكوا ايمانهم وكان ابو الحسن علي باي يعيدا من الفريشين لموت اعد رجاله

وخليفتهم في العسكر القائد مراد فارادوا قتله فنجاه الله و منع من بين ايديهم .
 فلما تحقق ابو الحسن خديعتهم رجع على عقبه بمن معه من صباحيته
 وزموله واجتمع العسكران وبعثوا الى اخيه محمد باي وملكوة امرهم فرحل بهم
 في اثر اخيه وقد انسحب امامهم الى مكان يعرف بالمنزل فلما توسطوا به
 سكر ابو الحسن بمن معه وتشجعت اصحابه وصادقوا في حلتهم فبددوا
 شملهم ومات من مات عن بيته وكان قدر الله امرا محتوما ومات عالم عظيم
 ووقع القتال من عشيته النهار الى الليل ولم ينج الا من طال اجله ومن
 عاش اخذته العرب وغنموا منهم مغنما لم يكن مثله في السابق من ذهب
 وفضة واكثر ما يجمل من الوصف وكانت هذه الواقعة من اعظم وقائع اهل
 المغرب ، ولما تم له ما تم امر بقطع رؤوس القتلى وبعثها عمولة على الجمال
 وكان يوم وصولها الى تونس يوما مهولا ، واغرب من هذا ان الرعوس قبالة
 باب القصبة يشاهدونها والمرجعون يقولون ليس لذلك علم ولا اثر ومات
 ساقسلي اكبرهم ولم ينج الا القليل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .
 ولولا نفاذ ما سبق في علم الله لم تكن هذه الواقعة التي شاد خبرها في
 الثلثين ، واضربت نار حربها بين العسكرين ، واقتتلوا في حجة الاخرين ،
 ولكن لكل اجل كتاب ، يحمو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب . ثم
 جاءته رسل اهل القيروان يطلبون العفو فعفا عنهم ورحل ووزل قريبا منهم
 وامنهم ولم يواخذهم بما فعلوا ما عدا ابن الشاطر الذي دعم اساس النفاق .
 واجرى اهل القيروان على البغي والشقاق . فانه لم يعف عنه ومات في
 سجنه وكو راجعا الى تونس واخذة في طريقه مرين خيف عليه منه فتداركه
 الله باطفه ووصل الى منزله بماردو وهو في اثناء مرضه واستبشر بقدمه احبابه
 وفشا الخبر في البلد انه مات . ولقد اتفق لي اني كنت حاضرا يوم وصوله
 وعانيته بعين راسي وسمعت ذلك اليوم رجلا يقول لآخر انه مات ودفن
 فاخبرتهما بانني رايتهم فمخلفاني فخالفت لهما ولم ادر اصدقاني ام لا . واتفق
 في تلك الايام ان جاءته رسل من عند اخيه لتفقد الصلح ولم يتم ذلك

وبعد أيام يسيرة دخل الى المدينة وعليه اثر الضعف ودخل الى القصبته وحشر
الناس الى رويحه واطلقت البشائر وكان يوما مشهودا عاينته فيه المحب
الغال ، والعدو القفال ، وعافاه الله من ذلك المرض ولله المنه ، ثم استراح
وخرج بمحلاته الصيفية من السنة المذكورة لتحرك الاعراب ، فريقيته
فعاجلهم قبل الثمامهم وخلص مجباه كعادته ورجع الى تونس قبل ابانهم
ليلتقي مع عمه لما اتى من الديار الرومية ، مستوليا على منصب الباشوية ،
فجمع الله شملهما بعد الغربة ، وتجدد فرجهما في هذه النوبة ، وصاما بالحصرة
شهر رمضان ، وعيدا عيد النطر في حناء وامان ، وحضر للزينة التي وقعت
في اول شوال من السنة المذكورة وقد سبق ذكرها وخرج قبل تمامها بيوم
وتوجه الى المنستير وقد استنفر اليها جمعا من كل مكان وكانت محلاته قد
سبقتهم بايام فنزل قريبا منها وحاصرها وقطع ما قدر عليه من زيتونها واشجارها
وفعل بها الفاقة ، وكادت ان تكون له عليها الدائرة ، ثم وردت عليه الاخبار
بان اخاه في جمع عظيم بازاه جربته فاستدركه قبل ان يعيث في بلد الجريد
فرحل من المنستير وتوجه الى اخيه ففر امامه ودخل الرمل فبعث عدة مراحل
فخائمه وام يلقى قيدا ورجع الى الجريد فخلص مجباه على العادة ورحل عنها
مويدا منصورا واخذ في رجعه على طريق صفاقس فشن غاراته عنها وبعث
الرصب الى اهلها واخذ جماعة من اهل البلد من خرج منها الى بسائتهم
على حين غفلة فعنا عنهم وام يهرق دماءهم وكر راجعا الى وطنه ودخلت
محلاته الى تونس في آخر صفر سنة تسعين ولم يدخل معها وسار بمن معه
من الاعراب والصبايحية الى ناحية الغرب لانه سمع باخيه رجع الى
تلك البلاد وخرجت طائفته السنة المذكورة كعادتها وامتدت في البلاد
لخلاص مجباه وهو مقيم بعسكرة من ناحية الحدادة لكيلا يائس من قبل اخيه
شيء واتصلت به الاخبار ان اهل توزر اختلفوا عليه واخوه بنى بها حصارا
منيعا وشحنه بما يحتاج اليه فبعث اليهم مددا مع جماعة من الصبايحية
فتلقاهم خيل اخيه هناك ومات ابن الجنان في تلك البعثة ثم وجه لهم

محلته الشتاء مع خليفته القائد مراد والنقى بجموع لآخيه هنالك ايضا وكانت بينهما واقعات وحروب انتصر القائد مراد فيها ونزل العسكر على البرج المذكور وحاصره اياما وجعلوا متاريس وصادقوهم القتال وحشروا تحته لغما فهدم منه جانبها ودخله العسكر بالسيف وجاءت الاخبار باخذه الى تونس واطلقت البشائر والمكابرون ينكرون ذلك كله ووصل الخبر الى الامجد ابي الحسن فرحل الى الجريد واطلع على البلاد وهدنها وحكم بجباة ورجع الى ناحية المغرب وتن معه من العساكر اول سنة احدى وتسعين واقام قبالة اخيه لتلا يحدث حدثا في البلاد ونما اليه الخبر بان جماعة من الاعراب من اهل افريقية بعثوا الى اخيه فعاقب من قدر عليه منهم وسلبهم خيلهم واقام بهن معه من العرب ومحلته الترك في ناحية الزوارين وبعث الى محلته الصيف خرجت له قبل اوانها والتقت المحلطان هنالك واشتكى اليه العسكر من فلتة ما بايدبهم فبعث الى المحصرة يطلب الكتبة الموكلين باعطاه المرتبات فساروا اليه ودفع لهم مرتباتهم في المحلته ونصبت الاسواق في المحلته وجاءت التجار والباعة من كل مكان وصارت عندهم ايام نزهة . وعزم في وجهته هذه ان ينازل بلاد الكاف فبعث بالخبر الى تونس بان يرسلوا له المدافع وقرب من الكاف بجمعة . ووقعت بينهم مناوشة في الحرب في ايام وذلك اول ربيع الثاني سنة احدى وتسعين والف وبعد ما خرجت محلته الصيف استنفر الحاكم الذي هو داي العسكر بالامر الشديد وارسلمهم الى الكاف نصرة وجاء الخبر الى تونس ان الحرب وقع بين اهل الكاف واصحاب المعظم ابي الحسن يوم الجمعة السادس والعشرين من ربيع الثاني وبلغ الخبر الى تونس ان المعظم ابا الحسن علي باي غزا يوم الاحد سادس ربيع الثاني اخصاه وكان قريبا منه فاحتوى على من كان معه ولم يفلت الا القليل واخذ شينج النجج الذي معه وطاقا منه واطلقت البشائر بتونس في السابع عشر منه وقعت الحرب بين اهل الكاف والعسكر وولت الهزيمة على العسكر وجاء الخبر الى تونس وفي الحادي والعشرين منه نادى المنادي في المحصرة تن

اراد مرتبه يمشي الى الكافي نجدة لمن هناك من العسكر وتوقف المرتب
ومنعوا منه وحدد لهم الداي المذكور ان لا يرجع الا لمن بيده تذكرة
بطابع الباي عاي فخرجت الناس ارسالا وكان القتال بين اهل الكافي
والعسكر عدة ايام ورحلوا عنه تاسع جادى الاولى من السنة بعد القتال
والحصار الشديد . وفي الثاني والعشرين من الشهر المذكور جاءت الرسل
الى تونس من قبل اهل الجزائر لتقصد الصلح بعد ما التثوا مع الباي فارسلهم
الى تونس فلم ينع بينهم اتفاق وقابلهم الداي بكلام حسن . وفي هذه الايام
صدر اهل المرتبات الذين تربصوا عن المسير الى الكافي فمنعوا من مرتباتهم
لقلته استماعهم . وفي اول رجب من السنة المذكورة خرج الباشا مغاضبا
للعسكر ومكث اياما في منارة مرناقى . ثم توجه الى الساحل وتعاطى خراجها
ثم سار الى القيروان واجتمعت اليه اولاد سعيد وغيرهم فكان في جمع عظيم
وذلك ان اولاد سعيد اهل نفاق وشقاق جبلوا على خبث الطبيعة صاغرا
عن كابر وكانوا في زمن المرحوم برجة الله محمد باشا في الحضيض الاوهد حتى
ان الرجل منهم يتسبب للبي وذيته . ولا يتسبب الى السعيدية . ولم تقم لهم
قائمة مدة حياتهم . وكذلك في ايام ولده من بعده الى ان قدر الله تعالى بما
سبق في علمه من انارات التن ككبرت شوكتهم ومالوا الى بساي الوقت
فجاء بهم ورفع منارهم فاحلهم البلاد . واطلق ايديهم فاكثروا فيها الفساد . وعاثوا
كيف شاءوا وقطعوا الطريق ومنعوا الرفيق حتى صاروا لا يسلك احد في طريق
الا ومعهم منهم خبير وقاسموا اهل البلاد في فلانهم واخذوا ما قدروا عليه ولم
يقدر احد ان يقابلهم بشيء وتحكموا في غالب الاقليم وفضلوا ما لم تتعلم الكفرة
بالمسلمين والباي مع ذلك معرض عنهم ويلطفهم وبعض احيان يعنثهم ومع
ذلك يزيد شرهم في كل يوم . فلما ثبت عنده خبث طويتهم تربص بهم
الدوائر والغاهم وصاروا لا يلتفت اليهم . فظنوا انه لا قدرة له عليهم . وان
ذلك عجز منه عنهم فاعتدوا وتمردوا وصاروا لا يلتفتون به الا ارسالا خيفة
منه الى ان قدر الله تعالى بهلاكهم . فلما توجه الى الكافي كما قدمنا بحث

اليهم يستبجدهم فتناقلوا عنده ولم يعبوا به وتفرقوا في الوطن فمنهم من ذهب الى الساحل وعسكرت فيه ومنهم من اقام بوطن الجزيرة بازاء بلد سليمان فوقعت بينهم وبين اهل البلد منازعة فاقتتلوا ومات ابن الكراي هنالك لا رحمه الله فاشتدت حياستهم وصايقوا بالبلد وقتلوا من اهلها واشرفوا على اخذها وحدثتهم امانتهم الفاسدة بان بعضوا للداي ان يبعث لهم نجدة من عسكر زاوية اللعانة على سليمان ومشت رسلهم للباي فعناهم بمراحم وخادعهم وودعهم باخذ الديرة فزاد طمعهم لعنهم الله فضايقوا على اهل سليمان فاخرج الداي نجدة من العسكر لاهل سليمان في السابع عشر من ربيع الثاني وخرج مع العسكر خلق كثير لقصد جهادهم لان ضرورهم اشد من ضرر النصارى فلما وصلهم الخبر بذلك رحلوا عن سليمان وجاءتهم الاخبار ان الباي عازم عليهم فانكسرت شوكتهم وتوجهوا الى الساحل وثبت عندهم انهم ان وقعوا في يده لا يترك منهم احدا فلما حلوا بمغاصبة الباشا مالوا اليه وطبعوا فيما لديهم فارضاهم وساروا معه الى القيروان واجتمع اليهم من يقول بقولهم الى ان كان منهم ما سذكرا ان شاء الله تعالى * ولمسا وصل الخبر الى الباي لطف الله به بان العرب مجتمعون على عمه واخيه وان الحرب اضمرت فارها وتقوى شرارها بعث الى الحاضرة فعينوا له عسكرا وارحل بزموله ومن معه الى القيروان فالتقى بهم ووقعت الحرب بينهم ساءة من نهار فانهزم ذلك الجمع وهربت اولاد سعيد الى ناحية المنستير ودخل الباشا الى القيروان وقيل ان ذلك الجمع كان يقرب من عشرة آلاف فارس واما الرجال فلا تعد ولا تحصى ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وصرفتم فيهم اموال جزيلة وكانت هذه الواقعة في العشر الاخيرة من شعبان سنة احدى وتسعين والف . والله يويد بنصرة من يشاء * ورحل ابو الحسن علي باي من القيروان ونزل قريبا من المنستير وقد تحصن بها اخوه واولاد سعيد وصايقتهم بها الى ان قنيت غالب ابلهم ولم يجدوا الى اين يكون ذهابهم ولما طال بهم الحصار وصانق خناقتهم من شدة المحاصرة رجعوا الى خداعهم وبعثوا جماعة يطلبون من الباي ان

يرحل عنهم يسيرا لكي يخرجوا له وينزلوا على حكمه ان شاء خدمهم واسترحاهم وزعموا انهم مغلوبون من اخيه وان اظهروا الخروج على رضى منهم يعاقبهم ولم يخف منه مكرهم فرحل عنهم ونزل قريبا من سوستة واصل رحيلهم مما صاقت البلاد على المجموع التي معه لانه كان في امم لا تحصى . فاقام هنالك بقية رمضان وارسل الى تونس لجماعة من فضلائها وذكر اسماءهم ان يتوجهوا اليه ليقصد ان يرسلهم الى عمه للصلح بينهما فساروا اليه وحدثهم بسراده وسمعت بعضهم يقول لله درة يعني البايع المذكور ما اجود ذهنه وما اقوى فراسته وماذا عنده من حسن السياسة وانه ليقول قواوا كذا واذا قال كذا اجيبوا بكذا حتى كانه مطلع على ما يتخلج في الصنائع وهذا من اصابته في التدبير . ثم بعث باناس دون اناس شخ بهم واظهر انه يخاف عليهم من ان يعرضهم احد في طريقهم بكرة ولم يتم له ذلك . وفي اقامته هنالك بعث اهل صفاقس له وطلبوا الامان منه وان يسلموا له مقابلتهم فاجابهم الى ما طلبوه وبعث معهم جماعة من اصحابه فسلموا البلد وهرب من كان بها من قبل اخيه وكفاه الله شرهم وعافاه من اهواق دمهم . وجاءت الاخبار الى تونس وامتنع الداي ان يطلق المدافع كما جرث به العادة لانه لم ياتهم كتاب من عند البايع واكثر المهرجون كعادتهم بالكابرة ثم بعد ايام جاءت اوامره وصح الخبر فاطلقت البشائر عند ذلك ورحل بعد العيد متوجها الى القيروان فغلقوا الابواب ولم يخرج اليه احد فلم يتعرض لهم ونزل تحت جبل وصالات . وفي خامس شوال جاءت رسل الجزائر يبين الى تونس مرة ثانية واظهروا انهم لم يكن لهم اوب الا الصلح بين الاخوين وذاع في البلد ان قاصدكم غير ما قالوه وكثرت بين الناس الاقوال وذلك انهم نزلوا اولا عند الحدادة المعلومة ثم جاء الخبر انهم دخلوا في الوطن وتسامعت اهل المحصرة فكروهوا ذلك وبعض المفسدين احبوه وبعث الداي الى اشياخ البلد واستخبرهم على ما في صنائعهم فقالوا له نحس ندافع عن انفسنا واولادنا ولم نرض بغير عسكرنا فذكرهم على قولهم وطلب من اهل باب السويقة ان يعطوه

اناسا يكونون عنده رهنا فاجابوه ولكن سلم الله ولو كانوا فعلوا ذلك لم يغن شيئا . وجاءت الاخبار ان الباشا خرج من القيروان ولحق باهل الجزائر ودخل بهم الوطن واباحهم ان ياخذوا ما يحتاجون اليه من الروابط . وجاءت الاخبار انهم بعثوا جماعة منهم الى الكاف لاختذ المشنقة وانهم ارادوا الدخول الى الحصار وان يشتكوا بمن فيه فمنعهم كافل الحصار فشدكوا باهل البلد واظهروا فيها الفساد . وقد تقوى طمعهم في اخذ الكاف ومشت رسلم الى الباي وهو في منزله السابق فاجابهم بما رضيت به نفوسهم وقال لهم انا قاصد اليكم ورحل واخذهم معه كل ذلك والاخبار متواترة في الحاضرة بكل ارجاف فمن مكثر ونقل ولكل امرء ما نوى . ولولا ما سبق في علمه تعالى من جيل اللطف بعبادة لدهمت اهل هذه البلد امور مدهشة ويقاسون من الالم حتى يقول المار بها للقاطن تغير اسم بلدك عن المونسة بل انما هي الموهشة . ولما زاد الكرب بالناس . تداركهم الله بالفرج ولكن على غير قياس . لان الاخبار التي تصل الينا عن حصانة الكاف شيء يعير العقل في توجهه وانه جاء غصته في حلق البلاد . وكاد ان يكون صالته مستقلة ولا اقول كاد . ومن الناس من يقول يفجز عنه جميع العسكريين . وهو كالحاجز بين الوطنيين . فكانوا يرون انه اذا طال امره تكثر الفتن . ويخرب الوطن . والله تعالى لطيف بعبادة . والامور جاريتة بحسب مرادة . وفي الحادي والعشرين من شوال من سنة احدى وتسعين جاءت الاخبار من الكاف ومكاتيب للداي من عند المحاكم فيه يطلب العفو وبذل الطاعة فاطلقت المدافع تلك الساعة وكان يوما مشهودا يعد من الايام العظام وفشا في الناس الفرح وامنوا ذلك اليوم على دنائهم واموالهم واولادهم . وفي الثالث والعشرين منه جاءت الاوامر من عند الباي بذلك فصدق غالب الناس الا قليلا منهم . وجاءت الاخبار بعد ذلك ان اهل الجزائر قهقروا الى خلفهم لما سمعوا بالخبر وكان زعمهم انهم يتحكمون عليه واذا حصل في ايديهم صار لهم الوطن كله ووردت الاخبار ان الهمام ابا الحسن علي باي توجه الى الزوارين وبعث عامله وجماعته

معه الى الكافي ولم يصل هو اليه وهذا من الغرائب . وورزانتة العقل وثبات
المجلس والراي الصائب . فكانه لم يكن له به اهتمام ولا قصده ونازله
هذا العام وذلك العام والله انه لمن الدعاة . ومن له الاصابة في الراي
والثبات . فالحمد لله الذي يسر له هذا الشخ الغريب . في الرن القريب .
ولولا قارة الله حفت به في جميع المواطن لما جاءه النصر . والعناية الربانية
تعيه في مواطنه كلها ولو دعمه اهل العصر . ولم تزل الاخبار في كل يوم
تتواتر الى سابع ذي القعدة جاء الخبر ان البشا والبي اصطالحا ولم تات
المكاتيب من عند احد . وبعد خمسة ايام جاءت الاوامر مخبرة بما وقع
وقرئت في الديوان وسرت الناس . ومن الغد جاءت بلوكباشية بالخبر
ايضا واطلقت المدافع واخبروا بان الصلح وقع بينهم على التمام بما رضيت
به نفوسهم بوفاء وامان . وقيل لمن اراد الدخول بينهم بالفتن - قصي الامر
الذي فيه تستفتيان . ولكن لم يحط احد بما وقع بينهم . وانما هم اهل بيت
جعوا امرهم بينهم وذهب عنهم ان شاء الله توحهم وبينهم . وكانت اولاد
سعيد التخت باهل الجزائر . وساعدهم مدد من المفسدين من القبائل
والعشائر . وكادت ان تقوم الحرب بين الفريقين . وان تكون لها رجة تهز
البتلين . ومن الناس من يقول انما جاءوا للاصلاح بين الاخوين . ومن قائل
يقول انما ارادوا حسم المادة من شر الاعراب . وانهم ان لم يتداركوا هذا الامر
يوشك ان يدخل عليهم الثمن من غير الباب . ومن الناس من يقول اذركمهم
حيث عن ابناء جنسهم وانفتة . وبعضهم يقول لامر ما جذع قصير انفسه . والله
اعلم بحقائق الامور . وما تخفيه الصدور . وعلى كل حال فالله جعل لكل شي
سببا والسر الحفي الذي جعل الصلح على يد سردار الجزائر واسمه حسن
فكان هذا الاسم رزق السعادة من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
لما قسال لولده الحسن عسى الله ان يجمع بولدي هذا بين فتين عظيمتين
ظهرت الاجابة في ولده في الرمن السابق وبقيت البركة في هذا الاسم
فكان هو السبب في التمام الكليته حتى صلح الله حال هذه الامة وتدارك

بطلته احوال العباد . وقام سوق الامن بعد الخوف في جميع البلاد . وحدثت
 فار الحرب بعد احرامها . وبلغت كل نفس منيتها وفازت بصرامها . ولكن بعد
 ما بلغت النفوس التوافق . واتصلت الحرب بالحرب خمسة اعوام متتابعة
 حتى قيل هي من وافي . وكثرت العداوة بين البادي والحاسو وطن كل احد
 انه المثلق . وكم سبقت من نفوس الى حتفها في عدة ايام والى ربك يومئذ
 المساق . وما قصر كل من الاخوان في طلبه لثارة . وقام كل واحد منهما
 صاحبه في المحاربة ورمى بنفسه في الحرب واصطلى بناره . فكم نلقت
 من نفوس . وقطعت من رموس . وكم انفقوا من الاموال . وكم انلقت من
 رجال واي رجال . وسحمت بين الاثنين اقوام بالنفوس وبالاموال الشفاس .
 وسمعت من حروبهما اهل المشرق والمغرب ما لم يسمع عن حروب الغبراء
 والداحس . وما منهما الا من خضاطر بنفسه في مقارعة الابطال ومنازلة
 الفرمان . وادار وحي الحرب وعيشت في وجهه الاسود عند اللقاء حتى قيل
 هذه حروب عيس وضييان . ولم يفلت احد منهما من حرب الى حرب . وكم
 وقع في صدور الفرسان بالرمح والسيف من طعن ومن ضرب . واظلمت
 الافاق وقت النزال وارتفع القتلم . وطلعت اسنة الرماح في سماء الهيجاه
 مطالع النجوم ولاح برقي الصوارم فانرفع الظلام . فالحمد لله على ذهاب هذه
 الغمة . وتجديد الالفة بعد القطيعة باللطف من الله والرحمة . وما شاع
 بين الناس ما وقع من الاتفاق واتصل الخبر بالداني والناصي وتمشت
 الاخبار في الافاق استبشر الناس وكثرت الخيرات ورخصت الاسعار ورفع
 الله القطن . فتنعموا نعيم اهل الجنة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن .
 واتصل الخبر اليها انهما التيا ساعة من نهار . وسلم كل واحد لصاحبه ما طلبه
 الاخر بالرحمة والاختيار . ومن هنالك توجه ابو عبد الله محمد باي الى مدينة
 القبروان وبقي ابو الحسن علي باي حتى اخذ بخواطر اهل الجزائر ورجعوا الى
 اوطانهم واخذ يستجلب خواطر اولاد سعيد ويمكرهم . ورحل بهم اتباعا له
 ليصلوا الى وطنهم وفي صماتره نار تنلطي من فعالهم الخبيثة . واراد ان يجعل

لهم سمعة تغني عن اخبارهم القديمة والحديثة . ونزل بهم في الشمس على طماتينته واراد ان يستاصلهم على بكرة ابيهم فعزاهم بليل بمن معه من خيل ورجل فسبق الخبر اليهم وانذروهم بعض اخوانهم من المشددين . واحاط بهم عند الصباح ونزل بساحتهم فساء صباح المنذرين . فانزل الله الرعب في قلوبهم واخذوا اخذة رابيته . وتبدد شملهم ونهبت اموالهم فهل ترى لهم من باقية . وسبيت مساوهم وبيعت اولادهم وحقاق بهم مكروهم . وحل بهم من الهوان في السبي ما لا وانهم اباؤهم . ووصل الخبر الى تونس يوم الاحد الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وتسعين وثلث فاطلقت البشائر في المحصرة وفرح الناس بلخذهم كما يفرحون باخذ الكفرة ولما اكثروهم الى الاماكن التي تمنعهم من مساكن المرابطين . وخصي الامر وقيل بعدا للثيم الظالمين . ولم ينج من شياطينهم الا من دخل تحت ثوب الغاس . او من اخذ في رقعة ومنع بالنفس والفرس . عسى الله ان يطع دابره من الارض . ويسلط من بقي منهم بعضهم على بعض . ولما كمل الله لهذا الامير بالتأييد والنصر . وصار ذكرا خيرا لرواة اهل العصر . رحل من مكانه وتوجه الى الجريد كعادته ونزل قريبا من القيروان وانقثت له امور اضرونا عنها وتوجه من هنالك الى قابس . ويمت حلقه السلطانية كعادتها ونزل قريبا من جزيرة جربة فصالح اهلها واخذ في تمهيد تن هنالك من رعيته وسار فيهم برفق وعاملهم بما في نفوسهم ونزل بازاء الجبل لتسكين الفتنة التي وقعت به وهدن نفوس اهلهم ورجع الى بقية ما له من المجابي في بلاد الجريد . ورجع الى حضرته سالما شامعا كما يريد . فلما قرب من القيروان خرج اليه اخوه لتقصد السلام فعانق بعضهما بعضا ورقت نفوس الناس عند النظر اليهما وافترقا ورجع كل واحد الى مكانه . وصره وساطانه . وقال لسان حالهما هذه كرامته صرفها الله الينا . وتلا قوله تعالى انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا . ورمني كل واحد منهما على ما اتفقا عليه . وتحكمت في حالته واطلق ما شاء من يديه . فالحمد لله على هذه النعمة وذهب التحسس عن اهل المحصرة

وانصلاح احوال البلد واتى الله بالرحمة وانفرد ابو الحسن علي باي بتدبير
المجال السلطانية ، وتصرفت احكامه في اهل المحصرة والريثة ، ونفذت
وامره في الاقليم كما يشاء ، قل اللهم مالك ائلك توحي الملك تن نشاء ،
ورجع الى مستقرة وامنه واموره جاريت على الطريق المستقيم ، ذلك الفضل
من الله والله ذو الفضل العظيم ، وكانت غيبته هذه ثلثين شهرا ووصل الى
مستقر عزة يوم الثلاثاء ثالث ربيع الثاني سنة اثنى عشر وتسعين والف -

والقت عصاها واستقر بها النوى حكما فرينا بالاياب المسافر
وكان قبل وصوله بلغه الخبر بالواقعة التي كانت من قبل العسكر لما طالبوا
الداي جازاقهم وكادت ان تكون فتنة في المدينة وغلقت الاسواق ومدوا
الستهم وايديهم وقد مر سبب ذلك عند ذكر الداي المذكور واصرمت فار
الفتنة لولا تداركهم الله بحجبه فهدن العسكر ولاطهم وساسهم برايه واخذ
فارههم وهذا من بعض لطف الله الخفي ونزل بمستقر عزة بباردو ولم يدخل
الى المحصرة ، وفي اول جمادى الاولى من السنة ابتدا في اصلاح الوليمة
التي ختن فيها اخاه وابن عمه واراد ان يجعلها مختصرة فجاءت على وفق
المراد وظهر فيها هتمة العلية والريثة الملوكية -

واذا كانت النفوس كسارا تعبت في عرامها الاجسام
واحتفل كعادة آبائهم وهرعت الناس الى التنزه والفرج ، وفتح الباب لهذه
الوليمة فدخل لها الناس من باب الفرج والفرج ، ونصبت آلات السماع
عربية واصجية وصنائع الشعوذيين ، ومدت اسطة الطعام للاكلين ، والحلاوات
والغواكم بالليل المنتزمين ، وكانت تعد من الاعمار ولا ينكر هذه الفعال لمن
امده الله بعنايته لانه وهاباه واهل بيتهم ذورا شان ، وير واحسان ، وهذا
بنيانه في المعالي كبنائهم ، وبحرد الزاخر في المكرمات اجتمع من خاجانهم -

وبحرك سن جازة يا علي لم يقبل الدر الا كسارا
وحيث اتينا بهذه الببذة واكتفينا منها باليسير فانها نقطة من بحر ، وغرفة
من فهر ، وربما اعرب اليسير عن الكبير ، ولو تتبعنا جلة اخباره مفصلة لصاق

بنا المجدال ، وعجز القلم في ميدان الطرس وما جبال ، وكيف لحصر اخبار
تن رقي الى الرتب العلية بسيفه وجده ، واحترى على مفاخر واضافها الى
مفاخر ابيه وجده ، كم هزم من صفوف وحكم انفق من الوف ، وكم من
غارات اثارها ، وكم من حرب اخذ نارها ، وكم باشر بنفسه من حروب ،
وكم هجاء باشرته بوجه قطرب ، وصبر في ساعة الحرب والنزال ، والتقى
بروحه الى لقاء الابطال ، وصارت لوقائعهم سيرة اغنت عن سيرة البطال ،
وان قالوا عنرة الفرسان ، قلنا لهم هذا عنرة هذا الزمان -

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وان قدمت في اول الكتاب اخبار تن سبقه من الملوك ، فانني جعلته مسك
ختمهم ونظمت جواهر فعالمه كنظم جواهر السلوك ، لانه حاكم زماننا ،
والمصرف في اوطاننا ، والمناسك لازمة عناننا ، الهمة الله الى طريق الخير
والسداد ، وجعل الرجحة والرافة في قلبه لصالح البلاد ، وخلد عمله الصالح
الى يوم التناد ، ولما طلع هذا البدر في سماء هذا المجموع ، ثبت ان لا بد
للكواكب من الطلوع ، ولا بد للبدر من هالته ، وبراء الرائي على تلك الحالة ،
وهذا الامير هو بدر الدولة اذا حل بموكبه ، والهالته اعجابته ومواليه الخافون
به ، فمن الروساء الثقاتين باصلاح دولته ، والمساعدين له في قوته
وقعدته ، والباذلين نفوسهم مقداة لنفسه ، والصارفين همهم في يومه واسد ،
فمنهم المعتدى برايه الصائب وقله الناقب ، المشير والمستشير عند
مقارعة الكنائب ، اعجمي الاصل وعربي التربيته واللسان الفارس النجيب
محمد بن الحسن ، وهو من اقرب احبابه وانصح اصحابه متخلق في لباسه
وفي مواعده باخلاق العرب ، ومحافظ على اصلاح الدولة بحسن الادب ،
تشهد العرب بذكاء عقله ، وبمنازلة الحروب كابيه من قبله ، فهو عمدة
وعدة ، وياحيا لرايه في كل شدة ، ولمه لطف الله به اولاد يضرب بهم المثل ،
والشبل من الاسد ومن البطل البطل ، ومنهم من يستخلفه في سفرة ،
ولا يستغني عنه في حضرة ، يقوم مقامه في محله اذا غاب ، واذا حضر لازم

خُدَّعَهُ وَصَدَّ الْبَابَ ، مَوْلَاهُ وَتَرْبِيَّتُهُ نَعْمَاءٌ . الْقَائِدُ مُرَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَزَقَهُ
اللَّهُ تَعَالَى رِضَاءً ، وَرَضِيَ سَيِّدُهُ وَمَوْلَاهُ ، وَهُوَ مِنْ تَحِبِّهِ الرَّحِيمَةُ لِرَفَقَةٍ ، وَحَسَنِ
خُلُقِهِ ، وَفِيهِ لَطَافَةٌ وَثَبَاتٌ ، وَجَانِبٌ مَثِينٌ * وَحَسَنُ مَوَالِيهِ مَنْ يَتَعَدَّدُ
عِيْلَهُ فِي الْمَحْضَرَةِ بِطَسْرَةٍ ، وَالْمَطْلَعُ عَلَى مَكَاتِبِهِ الْمَوَارِدُ بِأَخْبَارِهِ ، الْوَاقِفُ
عِنْدَ بَابِ الرِّوْسَاءِ وَبَابِ دَارِهِ ، الْقَائِدُ مُرَادُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ رِجَالِ دَوْلَةِ
اسْتَاذَةِ مَحَافِظِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَمَلَاذِمِ لِحِجَابَتِهِ ، وَفِيهِ تَدْبِيرٌ وَمَحَبَّةٌ لِلْفُقَرَاءِ
وَأَهْلِ الصَّلَاحِ ، وَلَمْ يَشَارِكْ فِي عِلْمِ الْقِيمِ بِرَجِيٍّ لَمْ يَبْرِكْ لَهُمُ النِّجَاحُ ، هُوَ لَاحِقُ
أَكْبَرِ مَوَالِيهِ ، وَأَقْرَبُ مِنْ يَلِيهِ * وَمِنْهُمْ الْفَارِسُ ، وَالْبَطَلُ الْمَهَارِسُ ، الْمُعْتَمِدُ
عَلَيْهِ فِي نَقَاءِ الْأَعْدَاءِ ، الْمَلَاذِمُ لِنَهْوَاتِ الْخَيْلِ وَلِوَسْطَالِ الْمَدَا ، الصَّابِرُ عَلَى
الغَمَرَاتِ إِذَا لَقِيتُ الْحُرُوبَ ، وَالنَّابِثُ الْجُنَانِ إِذَا وَجِلَّتِ الْقُلُوبُ ، الْقَائِدُ
مُصْطَفَى سَبِينُولِ ، وَفِيهِ هَوْلٌ كَثِيرٌ لَا يَحْضُرُنِي ذِكْرُهُمْ * وَمَنْ ذُوِي الْبِرَاعَةِ
وَالْبِرَاعَةِ وَالْإِدَابِ ، جَاعَةٌ مِنَ الْكَلْبِ ، أَكْبَرُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ نَفْسًا بَقِيَّةً الْإِكْمَلِ
النَّبِيِّ ، كَاتِبُ جَدِّهِ مِنْ قَبْلِ وَكَاتِبُ أَبِيهِ ، الْمُتَعَرِّفُ فِي حَسْبَاتِ الْبِلَادِ ،
وَهُوَ فِي هَذَا الْفَنِّ وَأَصَابَةِ الرَّأْيِ وَتَدْوِينِ الْأَوْتَادِ ، صَاحِبُ الْخَطِّ الْعَجِيبِ ،
وَالرَّأْيِ الْمَصِيبِ ، التَّزَاهِدِ فِي الدُّنْيَا وَجَرِيدَتِهَا عِنْدَهُ كَالْعَدَمِ ، التَّوْزِيرِ الْأَعْظَمِ ،
وَالْفَقِيهِ الْأَفْخَمِ ، وَالِدِ السُّتُورِ الْأَكْرَمِ ، صَاحِبِ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى ، وَمَنْصَفِ الْمَظْلُومِ
مَنْ ظَلَمَ ، جَمَالِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَجَلِ الْوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، مَهْدِ اللَّهِ
تَعَالَى بِحِمْلِ الْمَمْلُوكَةِ وَشِدَائِهَا ، وَوَصْلِ أَسْبَابِ الدَّوْلَةِ وَأَعْلَى قُدْرَتِهَا ، كَيْفَ لَا
وَهُوَ صَاحِبُ تَدْبِيرِهَا ، وَالْقَائِمُ بِصَلَاحِ أُمُورِهَا ، وَالْكَافِلُ بِأُمُورِهَا وَكَبِيرُهَا ،
مَنْ هُوَ فِي الْأَرْضِ ظِلُّ الرَّحْمَانِ ، وَالْمَامِرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، رَاجِي غَفْرَانِ
رَبِّهِ الْكَرِيمِ ، الْقَارِي ابْنُ الْقَارِي أَحْمَدُ سَلِيمٌ ، بَرَدَ اللَّهُ تَعَالَى ضَرْبِجَهُ ،
وَأَسْكَنَهُ مَنْ يُحِبُّوهُ الْجَنَانِ فَسِيحَهُ ، آمِينَ * وَمِنْهُمْ أَيُّ مِنَ الْكُتَابِ
مَنْ شَهِدَ لَهُ فِي ذَلِكَ بِالْفَضِيلَةِ وَالشَّرَفِ ، الْفَقِيهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي
الْقَاسِمِ بْنِ خَلْفٍ ، مِنْ ذُرِّيَةِ أَوْلِيَاءِ تُرْجَى لَهُ بَرَكَتُ جَدِّهِ وَرِثَتُهَا خَلْفٌ عَنْ
سَلْفٍ ، وَفِيهِ حَشْمَةٌ وَوَقَارٌ ، وَتَلَاوُةٌ لِكُتَابِ اللَّهِ وَمَحَافِظَةٌ لِلْأَنْبَاءِ ، سَدَّدَ اللَّهُ

حاله . وجعل للصالحات مآكده * ومسمن الكتاب المتخذ طيبم في حسن
الخطاب . والخط المتصرف في فنون الاداب . الفقيه ابو عبد الله محمد عرف
دحلاب . وكان قليل الاضراف بالندنيا * هولاء من مشاهير الكتبه . سلمهم
الله من كل نكبة . وغيرهم كثيرون . وما ذكرت هولاء الخدم الا بيانا لشرف
المخدوم . ولكي لا يظن الناظر في هذه الاوراق ان هذه الدولة سدى .
فلهذا اظهرت لهم فلما ليكون لمن امره هدى * ومسمن مشاهير الكتبه الفقيه
الاورع المودب الكاتب البليغ صاحب الخط البديع الذي يضرب به المثل
كابن مقلبة ويقوت المعصمين وانظارهما الفقيه محمد صدام عرف اليميني *
ومنهم الكاتب المتفنن ابو محفوظ محرز بن خلف حفيد الفقيه عبد
الرحمان السابق الذكر * ومنهم الكاتب الفقيه محمد فارس ولم في علم
اليقات ملكة وفيه نية وبلاهة وذكاءت بيني وبينه مطارحة في الشعر
المسحون . وغير هولاء كثيرون . وانما تعرف كل دولة برجالها . وتصلح
امور الملك باصلاح بطانته اذا اراد الله اصلاح حالها . وهذه الدولة ان شاء
الله تعالى حفت بالسعود . واحى بها الفرح في القصور المشيدة من باردو
واخذ السعد في السعود . والايام ترفل في حلال شبابها كما يرفل صاحبها في
شبابه . والنصر والظفر مصاحب له في نهابه واياهه . ولما طلع نور هذا
البدر في سماء تلك القصور . وتزينت تلك المنازة والقباب واحتلت لفرح
الظهور . وسمعت الناس اصوات الثالث والثاني . وطربت النفوس لما
ترنمت الحمان المغاني فكنت ممن شاقه الطرب . وساقه الادب . فنظمت
قصيدة واشرت فيها الى هذا الهنا . فان اصبحت فيسعادة الممدوح وان لم
اصب فمن انا . والله تعالى يديم عزة وجنابه العلي . ويجعله كهفا للمتجملين
اليه ولن يستغيث ولن يخيب من لجأ الى حماه وقسال يا علي . وهذه
القصيدة الموعود بها -

اتاك هناء بالختان مشاب وطالع سعد مقبل وشباب
اقامك فوق النيرين فمن يوم صعودا لمرقاه رماه شهاب

فلا تخش كيدا من عدو فانهم
علوت على دست الرياسة يا علي
تباشرت الدنيا بغيرك في العلا
وجددت بالدار الجديدة موسما
وبالتعبت الحمرء عيشك يانع
منازل افراح لديك تجددت
حالت بها كالقدر بين كواكب
مفخر عن جد بجد وعن أب
وبابك مفتوح لقصد مكارم
تهنا بهذا العز والدع طيسع
لك الله ما ابهى وابهر سوددا
وان كنت في سن الشبيبة فالعدا
وانك بحر المكر مات لمن يرد
لمن يرتجي صفوا لديك يناله
اذا ما بدا بدر جالك طالعا
ترفق فان الرفق منك سجية
تروع ابطلا وثلاث خائفسا
شباك للأسد العرين مروع
فكم من اعاد عن لقاءك تحيروا
وان غرقوا في بحر باسك فلتكن
وان جثت الايام منك فانها
فلا تبتس من كيد ضد فاندسا
ولا زلت عن رتب السيادة والعلی
وعمرک في عز وربعك عامر
وذكرک ما بين الحافل ذائع

وحقك من سهم القضاء مصلب
فطشها كما تبغي خانت مثاب
فكم كيد للحاسدين تذاب
سما عن بني حفص حضرت وشابوا
يروقك منها ساتغ وشراب
تشرف منها منزة وقبساب
ونورك باد ما طلاء صساب
ورائت مجد ليس ذاك عجاب
وقد سد عن نيل المكارم سباب
لديك وهاتيك الحواسد خابوا
لغيرك عندي لا تشد ركاب
وحقك من صولات باسك شابوا
وغيرك فيه بلقع وسراب
والصد يا نجل الكرام صذاب
تمد الى ذاك الجمال رقاب
وانك ما تدعو اليه يجساب
وانك في ذي الحالتين مهاب
ولو مد ظفر من سطة ونساب
وصاقت عليهم بيذة ورحاب
نكال طيهم ما عليك حساب
انايت والسجاني لديك متاب
عليك من المولى الرعوف حجاب
ورايتك في كل الامور صواب
وربع اعاديك البغاة خسراب
يعني به لا زينب ورساب

فخذ من ثنائي ما استطعت فانه بجهد مقل قد جناه صحاب
اقلد در المدح جيدك والثنا كما الدر في جيد الملاح سخاب
فانت محل المدح ان جاء مادح وكل الذي فوق التراب تراب
ولما ذكرت هذه القصيدة وانبتها في هذا المحل وجب علي ان اثبت
القصيدة التي مدحتهم بها يوم لبس الخلعة السلطانية ، وخرج تحت السناجق
الملوكية ، وكان يوما من اعجب الايام ، وطلع بين الصفيين كالبدر من تحت
الغيام ، فقلت فيه -

بدر السماء ام نور وجهك يزهر لما خطرت بحلمة تتبختر
هي خلعة خلعت فلرب حواسد لكن بها احبابكم تستبشر
فاعجب لها من خلعة ديباجها يسبي العقول ونور وجهك انور
حلل الجمال مع الجلال وزدتها عن حسنها وجمال حسنك ابهر
ما عابن الرائعون حسنك باديا الا وحقت هلموا او كبروا
تحت السناجق قد بدا لالاوه نور على علم ووصفك اشهر
يوم لبست المجد كان نساوه بين الخلائق في المحافل يذكر
ما البدر في افق السماء ونوره بادي السناء فنور وجهك ابدر
قاسوك بالشمس المنيرة يا علي بين الكواكب في العلا تتبختر
لله سر في علاك وانسه يا كامل الاوصاف سر مظهر
ورايث نعمانا بخدك مشرقا لي من بها تلك الشقائق مندر
وجم الغزاة والغزال والمظنه تحت البيارق غير انك قسور
ولقد رقيت من المعالي رتبة الوصف بين الناس عنها يقصر
واستبشرت افاق تونس مذ بدا سعد السعود على النازل يقمر
جر السحاب الذيل عن ارجائها والرعد زمزم والحياء مشطر
تمن كان منلك في الرئاسة معرقا لا صيب فيه اذ يقول ويشخر
الناس من ماء وطين اصلهم فاعجب لذلك واصل مجدك غير
من جود الخال الزكي فلم يخيب نسلا ومثلك بالرئاسة اجدر

يا عال بيت شاد حسن صنيعكم وروى ثناكم في البلاد المخبر
 الدهر منقاد لكم ما تامسروا طوعا لديكم اوردوا او فصروا
 طاب الزمان بكم وزان بفعلكم كرمتم اواخركم وطاب العنصر
 من قال نائير الكواكب في الورى فالفعل منكم في النجوم يوشر
 المجد مجدكم وعبد ركا بكم مهسا فعلتم تللوا او كثروا
 عش يا علي في هنا مستقبل لا تختشي من دهرنا ما يحذر
 عطر الشا يروي عليك ولم يكن يوفي بحقك ان فخرت اعطر
 الله اولك البلاد فلم تنزل تنهى بما توحى النفوس وتامر

وهذه القصيدة لم تعرض على سمع الكريم وانبها هنا اضافة الى مالي
 فيه وصي ان ثبت غيرها فيما يستقبل وتقدمت لي قصيدة اخرى
 وهي من القصائد التي عرضت على سمع ومحلها تقدم ولكن نضمها الى
 احبابها وهي هذه -

وثقت بنصر الله ثم لك النصير وعند احتباك العسر جاملك اليسر
 علي عيون الناس قدرا ورفعة تساعدك الدنيا ويخدمك الدهر
 فجدك منصور وانث مويسد وربك فعال وقد قضى الامر
 وان مسكر الاعداء بسوء فعالهم فصاحب مكر السوء حل به المكر
 وما عذرهم والعموم منك سجيسته اكان نهار الكاف في غدرهم عذر
 اما يروا في يوم وسلاط ما جرى على صخرة لو كان يستخبر الصخر
 وجر سبب في سببته قسادهم الى اسرهم والعموم من به الحسر
 وقد فرست اوراقهم بعروسته وبعسد عروس لا يكون لهم طر
 لك الله كم تغفر قبيح فعالهم وليس لهم عما مننت به شكر
 علي ابا الهيجاء تنحو لحوهم حروبا فلا زيد هناك ولا عمرو
 فلا سيف الا ما هزرت ولا فتى سواك لها يرهى اذا صعب الامر
 ويوم التقى الصنان يوم مجمل فاوله حشر وعخرة نشسر
 بعثت لهم بالرصع كل كتيسته طورا تؤم الحروب يقدمهم صقر

وجيش خيس بالكفاءة ثمسده
 على صافنات من جيات سوابق
 راوا عجبا ما يذهل العقل دونه
 سماك قتام والنجوم أسسنت
 فولوا حيارى والنايا ثوابسع
 وقد وردوا حوص الردا بصنودهم
 كتبت يهندي خطوطا وأعجمت
 فاعسوا سكارى من كئوس مشية
 فصالت على الاقدام منهم رءوسهم
 وكم هارب تحت الظلم بروحه
 واظلمت الافاق عنهم فلم يسن
 يود ظلام الليل مد رواقسه
 وغرق بين الهام والجسد الذي
 وان بكت الخنساء عن فقد صخرها
 تنقاست الافعال منك ومنهم
 وكم نظموا كيدا فلم يفن عنهم
 علي همام زاده الله رفعت
 امير جيوش العز في دولة الهنا
 ثراه اذا ما جئته في مهنت
 عليه من الرجحان كل تحيسته
 ولا زال اعلا للمحامد والثنسا
 وهي قصيدة طويلة ولكن اقتصرنا على بعضها . ولما قضى الله تعالى ويسر
 بالسعادة عرضت على مسامحه ما امليته من بعض محاسنه ومحاسن ابيه
 وجده ولم يكن لي فضل فيما جعته الا اني التقطت الجواهر من بحرهم .
 ونظمته في سلك الاماجد الذين من قبلهم . وان كان لهم التقدم بالسابقية

فان في الخير معنى ليس في العنب وان كنت ممن ليس له يد بهذه الصناعة . وانيت الى سوق فصله بهذه المزجاة من البصاعة . فقبلها وقابلها بقبول حسن . جعله الله في بركات سميه ابي الحسن . ففمرني بخله واحسانه . واجازني جائزين بيده ولسانه . وما عسى ان اقول في سن الهمة الله لتدبير الرعايا . واجرى على يديه الاحكام والعطايا . اصلح الله حاله في دنياه وءاخرته . وعائاه كفلين من رحته . ولما عزم ركابه الشريف على التوجه بالمحلة كعادته ابتدا بزيارة الزوايا للتبرك كعادة ابيه وجده . فزار الشيخ سيدي محرز بن خلف والشيخ سيدي ابا التاسم الجليزي والسيدة عائشة المنوبية وطلع لجبل الجلاز وصعد لمقام الشيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي على اقدامه تقبل الله سعيه وزار عدة اماكن اخر واحسن الى اهلها وبعث لعدة مشايخ بالاحسان . ثم رجع الى منزله بباردو واول جمعة من رجب لاصم دخل الى تونس وزار الشيخ سيدي احمد بن عروس وصلى الجمعة بالجامع الاعظم وعند انفصاله خرج الى زيارة والده وتناولت الاغناق لرويته فادى حق الزيارة ودخل الى دار سكنى ابيه وجده وجاءه حاكم الرقة الى مكانه ففنى حقه بالنسليم ثم عاد الى منزله بباردو ويوم الاحد ثالث رجب توجه الى القنطرة واقام بها ثلثا ومن هناك سافر الى عمله اعادة الله سالما . وحيث ذكرت القنطرة وجب ان نذكر بعض محاسنها لانها من المنتزعات الغربية في الاقليم الافريقي . وهذه القنطرة من بناء جده الامام المرحوم برجته الله تعالى صاحب الخيرات والصدقات ابي المحاسن يوسف داي رحمه الله بناها من ماله احتسابا لله ليتفجع المسلمون بها وانفق عليها اموالا جمية وكان بناءها سنة خمس وعشرين والف فجاءت من احسن ما يكون وجعل بها ارحاء تدور بالماء وبني بها برجا لطيفا . ولما سار الى رحته ربه تولع بها خادمه نصر الطواشي فزاد فيها عدة بساطين ومن بعده تولع بها المرحوم احمد شلبي وشيد فيها المنارة الرفيعة واهتم بها غاية الاهتمام حتى جاءت صنع الله . ولما سار الى رحته ربه ووقعت الفتن كاد ان يتلاشى حالها

فتداركها بعزمه وحزمه المنكوم علي باي فزادت محاسنها على ما كانت عليه
وصارت من الاماكن التي يصرب بها المثل . وحدث احسن مما كانت قبل .
فلو نظرها بديع مراكش لقلنا له انت بدعت وهذا هو البديع . وان شمع ايوان
كسرى فانه تهدم وعلا هذا البنيان الرفيع . وان فخر النعمان بن المنذر بيناه
الخورنق والسدير . قلنا هذه الثنطرة ومنازهها والوادي والغدير . كيف لا تنحصر
هذه البقعة وهي ذات المنارة والقباب التي حيطانها ذات العماد . وشيدت
معانها وتزخرفت بالثقوش المذهبة حتى قيل لم يخلق مثلها في البلاد . وصنعت
العجائب على حافتي الوادي . وجاءه طائعا فتبا لشهود الذين جابوا الصخر
بالوادي . وبكت جامة بدموع نواعرها وزاد حنينها لما صارت أختها بالغرب .
ودارت دوائر نواعرها وفقدت قلبها فهي تدور على القلب . وكان هذا
الدولاب الذي احدث بالثنطرة على طابع مجردة احسن مما عمل في حياة
واولى . وان كانت نواعير حماة اسبق بالزمان فالآخرة خير لك من الاولى .
وهذه الابنية التي تمت محاسنها تذهب عن قلب ناظرها الوحشة . فلورعاها
انوشروان لقال لصاحبها انت انا وهذه قصور الدهشة . فمن نظر الى تلك
التماثيل المصورة حكم بذوقه ان ليس لها مثيل . ومن يزد الاكثار في وصفها
فعلية بالقال والقال . وبهاء فردوسها يشوق ناظره الى فردوس الجنة . وبه من
الفواكه العجيبة ما لا يوصف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وله الفضل
والمنة . ولقد تنزهت في تلك المحاسن . ونظرت الى عذب الماء الذي هو غير
حاسن . وقد جرت جداوله ودخلت البستان فصار مروجاً . وتطلعت الى
البرج العالي المطل عليه فتلوت تبارك الذي جعل في السماء بروجاً .
ونظرت الى الكشك الذي في صدر الايوان وهو مطل على الخليج . فعابنت
من نقوشه وصناعاته التي اوتيت من كل حسن بهيج . فجعلت فيه صدة
ابيات تحسن ان تكون تاريخاً لمحاسنها . وتساءلت بالسعد في
مصارع التاريخ وهو طالع السعد لسكانها . فقلت -

فسردوس قنطرة يا طيب الارج تبارك الله عن ذي المنظر البهيج

يسقى بماء معين من ينابيعه فويسر التربة طيبا لينا لرج
ومنية النفس ملء العين رويته تنفي الهموم على ذي الباطن السج
يا ايها الملك اليمون طلعتهم تنفدى من الضيم بالارواح والمهج
تبارك الله عن لفظ يورخها قد جاءك السعد في العالي من البرج
وهذه المنارة التي هي بالفتوة من اعجب المنزهات . واعجب من ذلك
السعادة التي حفت بها من هاي البايات . وكان الناظر على بنائه . المتصرف
في اتقانه برايمه . البازل همته . الملازم خدمته . الواقف ضد الاوامر
الشريفة . المشيد لتلك البناءات المنيعة . الناصح الوافي . عبد الرحمن
حرف الرفرافي . وهو من رجال الدولة العلوية . وله قتل ناقب واخلاق
مرضية . وفيه طلاقة وجه ولين وعقل رزين والمخاضم يدل على المتخدم . ولكل
مقام مقال معلوم . ولما حل ركابه الشريف بها اقام ثلثة ايام . ورحل منها
كالهلال وعسى ان يعود كبدر التمام . فتوجه الى الكاف متوكلا على ربه .
فقال امنيته وبلغ ما اراد من اربه . ولقد سمعنا بيوم وصوله فكان احسن
وصول . ويوم دخوله قابله اهل البلاد باحسن قبول . وخرج الى لقائه ابن
خرطان وابن يوسف بمن معهما من جماعة الصبايحية . واديا حق الطاعة
فرصيت عنهما تلك الاخلاق الرضية . ودخل البلاد بهمة ملوكية . وتفرجت
اهل البلد في تلك الطلعة البهية . ولم يبق من اهل الكاف صغير ولا كبير
إلا من كان تحت اللحد . وكان يوما مشهودا سر به الشاهد والمشهود .
واطلقت البشائر في البرج وتكلمت بافواه المدافع . وتمشت اصواتها
واسمعت من به صمم وفالت هذا هو الفخر الذي ليس له مدافع . وبلغني
ان عدة المدافع التي اطلقت ذلك اليوم تنيف على السبعين . ولم يحص
احد عدد الزوايز والخزائن وبقيت من اول النهار الى حين . وتم الفرح بهذا
الفتح الجسيم . ذلك الفصل من الله والله ذو الفصل العظيم . ولما استقر في
دار سكناه . وبلغ ما تمناه . اقبل الناس بالسلام عليه . وما منهم إلا من
خضع وقبل يديه . وهنا نكثت تدل على ما فيه من الطرافة . وتعلم ان

اخلاقه مجبولة على السياسة والرافة . وهي ان جماعة من التعصبين
 كاتبوا من بالحصار وحذروهم بطشه . فاراد بسياسته ان يذهب عنهم
 الوحشة . فبعث اليهم صاحب سره . الواقف عند نهيه وامره . المتخلق
 باخلاق العرب . المسمى الى العجم في النسب . الشيخ محمد بن الحسن .
 وكان شيرا بينهم في اول الامر وفي اخره بالغ فاحسن . وكان اهل الحصار
 في ريبته فازالها . وامانهم متعلقة بالخوف ففك عقابها . ولما اراد عافته
 الحصار ان يودي حق الطاعة . وان يتنظم في سلك الجماعة . هبط من
 الحصار على وجل . وتردد خاطره بين الامن والاجل . فقال بعض اصحابه
 لمحمد بن الحسن سرعه ليحصل له الامان . فاقسم ان لا يبرح من مكانه
 الا ان يرجع صاحبكم حيث كان . وهذا من ظرفه وهو به امثل . والرسول
 صفة المرسل . ولما وصل الاثمة الى حصرة الباي قابله بلحسان . وجدد
 له ما كان اعطاه قبل ذلك من الامان . وخلع عليه كركا كان اعده له من
 قبل . ونشرت رايات العز على راسه وضرب الطبل . ورجع الى مكانه سالما .
 وبالقبول والاحسان من الباي ثامنا . وهبط بعده محمد الملقب كاهيته الحصار
 المذكور . ومعه الانساباشية فقابلهم بالهبات والسرور . وكان دخوله
 الى الكاف في الخامس عشر من رجب الفرد . فقال من بركة هذا الشهر ما
 لم ينله احد . وبقيت البشائر ثلثة ايام . وظهر فيها من الطاعة ما ظهر
 من العصيان في خمسة اقوام . وفي السابع عشر منه تزوج بكريمته من كرام
 الاقيال . جعلها الله بالوفاء والبنين والاقبال . وطلع في العشرين الى الحصار
 وتنزه في مناظرة . واحاط خبرة بما فيه من اوله الى اخره . وانعم على من
 به باحسانه ولسانه وبالسبح في الاكرام وتصلوا بالاشتمار وهربوا من نار
 العصيان الى جنة الطاعة فصارت عليهم بردا وسلاما وهو متحاب للروح
 الى منزله ودياره . ليصوم شهر رمضان المعظم ويتلوا من مآربه واوطاره . والله
 يبلغ كل نفس مشاققة الى روية اهلها . ويبعد شمس طلعه الى بروج
 سعادتها والشمس تجري لمستقر لها . وهنا ما انتهى به خبري . وما املته

من ذكرى ، وما التفتت هذه الجواهر إلا من بحره ، ولا تعلت النظم إلا من
نثرة . وأن مد الله في الاجل ، وجعل فسحة في العمر والامل ، لاجل
كتابا مستقلا واشحنه بجميع مآثره ، وارصعه بدرر محاسنه من اوله الى
آخره ، ان شاء الله ، والله يبلغ كل نفس ما تشاء به .

الخاتمة

وفيهما اربعة فصول

الفصل الاول

قد تقدم في اول الكتاب التعريف بتونس وما نقلته من اقوال المؤرخين
هل هي قديمة او محدثة والذي صح عنده انها محدثة حتى على قول
العلامة ابن السمعان ولكن لم يشف الغليل فيما نقله عن المؤرخين وهو
من العلماء الراشدين وكان في اسام ملوك بني ابي حنص اواسط دولتهم
وكانت تونس في زمانه في غايته الشرف مشحونة بالفضلاء والعلماء ومن
يتقدم بهم وصنف كتابه للخليفة ابي عمرو عثمان والعجب لم كيف
رعي بهذا القدر اليسير وقصر في اماكن كثيرة ونهت على بعضها وعجزت
عن البعض لحشمتي منه لاني لست بكفو له . ولما تكلم على اصل تونس
وبنائها لم يستوف الكلام عليها إلا انه قال احدثت بعد الثمانين من
الهجرة الى آخر ما ذكر وقد تقدم في اول الكتاب وعلمت بعض امور ما
ذكرها وربما ذيلت عليه وعلمت ما قاله غيره ولكن بقيت امور تمس بهذا
المحل ناتي بها ان شاء الله ونذكر بعض امور حدثت في هذه الدولة
التركية وبعض امور وقوانين احدثت بعد الدولة الحفصية وبعض امور
باقية على حالها كما كانت عليه الى ان نستوفي ما نقدر على جمعه
ليكون سلبا من ياتي بعد ان شاء الله تعالى ، وقد تقدم ان الذي صح
عندي انها قديمة من بناء الاول وانما فتحت في زمن حسان او في زمن
زهير على اختلاف في ذلك بين المؤرخين وانها كانت مسورة ولها خندق

يدور بها ، ثم ذكرت ان المجاري على السنة اعلمها ان السور من بناء الشيخ سيدي محرز وهذا القول عليه اجماع اهل تونس وكنت اعتذرت في الاول وحملت قولهم بقولي واعلم جدده بعد المحنة التي وقعت على اهل افريقية من ابي يزيد الخارجي وقد تقدم اكثر هذا الخبر والان اقول ان السور الموجود في زماننا هذا هو غير السور الذي بناه الشيخ سيدي محرز رحمه الله والذي بناه الشيخ دثر ولم يبق منه شيء والله اعلم واظنه هو الذي كان دائرا بالارياض الذي منه باب الخضر وباب ابي سعدون وباب الاقواس وباب الفلاق وباب علاوة وغير ذلك مما هو معلوم عند اهل تونس وبشهادة لهذا ما ذكره ابن السماع ان ابن تافراجين جعل نصف كراء المعاصر او ثلثه وقتنا على بناء السور البراني وان الاوقاف التي هي الان على السور من تلك الاوقاف والله تعالى اعلم . وبقيت من هذا السور بقية الى آخر ايام بني ابي حفص لان احوال البلد تغيرت وتلاشت في آخر الدولة ما كان يقع بينهم من الافنان والمحن ونحن في طرف من ذلك نسأل الله اللطف بمنه وكرمه وكذلك المكان الذي يقال له الفلته بمقربة من الجيارة خارج الربض القريب من مقابر الجلاز وانما سمي بذلك لانه كان ثلثة في السور المذكور ولما دهم اهل تونس العدو من النصارى وفروا بانفسهم خرجوا من هنالك خيفة ان تؤخذ عنهم الابواب فخرج اكثرهم من هنالك فكان يهول بعضهم لبعض اخرجوا من الثلثة او خرجنا من الفلته وهذا الاسم باق الى اليوم . وسمعت ايضا هذا الخبر من رجل حدثني عن ادرک تلك الحادثة والله اعلم بحقيقتة ذلك . وكذلك لم تكن تونس في اول امرها قساعة من القواعد لانها ان كانت مما فتح فتكون احوالها تلاشت او لم تكن عامرة كغيرها وان كانت محدثة فقد تكون صغيرة في اول امرها ثم تزايد امرها بعد ذلك ولكن الذي نقله ابن السماع مخالف لما ذكرناه لانه قال كان ابو جعفر المنصور العباسي اذا جاءه رسول من القيروان يقول له ما فعلت احدى القبروانين تعطيها لها وهذا يدل على انها كانت في غاية العمارة في ذلك

العصر والله اعلم . وايضا لم اجد من تصدى لها او دون فيها الا ما ذكره ابن
الشماع او من تعرض لها غفرا من غير قصد ويمكن ان تكون فيها عدة
دواوين الا انها نهبت في تلك الفتن او ان عمالها كانوا محترقون اهل هذا
الفن لحقارتهم عندهم ولكن ابن خلدون كان من علماء هذه البلاد وله تاريخ
يعد من التواريخ العظام حتى انه لما حصل في يد تيمور فما انجاه من شره
الا هذا التاريخ لغرابته ولولا خوف الملالة لاستوفيت قصته الى آخرها .
ونرجع الى تونس فنقول انها كانت احوالها متلاشيتة ولم يكن لها ذكر مع
القيروان . وانما ابتدأت في الزيادة والنمو لما سكن بها بنو الاغلب ولما
تغيرت دولتهم ببني عبيد كانت دولتهم بالمهدية والمنصورية والقيروان ولما
تملكت منها جرت على افريقيته كانت عمالهم بتونس وصحت عليهم غير
مرة وقدم اهلها احمد بن خراسان ورضوا به فكان يذب عنهم وبنيه بعده
فكانت احوالهم مثل الشابييين بالقيروان واحدهم الشيخ الذي بمثربة
السكاجيين بازاء دار الحاج محمد لاز والناس يقولون انه من السلاطين
العادلين ولم اقف له على ترجمة لاصحح خبره . ثم لما اراد الله باصلاح
حالتها قامت بها الدولة الحفصية فعظم قدرها بين البلاد وما ذلك الا
لانهم قاموا مقام الخلفاء وخطب لهم بامير المؤمنين وجعلتهم البيعة من
الاندلس ومن مكنه شرف الله تعالى قدرها سنة سبع وخمسين وستمائة
فحيثما ضم امر تونس وشدت اليها الرحال وهوجر اليها من كل البلاد
وكنت متشوقا الى الكشف عن هذه البيعة واي شيء كان سببها وسالت من
لم اعتناء بعلم التاريخ فلم يكن عنده جواب الى ان فتح الله علي بعد زمان
وذلك ان الخلافة العباسية كانت ببغداد وانقضت في سنة ست
وخمسين وستمائة على ايدي التتار لما قتلوا الخليفة المعتصم وبقيت بلاد
المشرق ثلثة اعوام بلا خليفة الى ان بويع بمصر الخليفة العباسي سنة
ستين وستمائة وكذلك بلاد المغرب ضعفت بها الخلافة الموحية وانهدمت
قواعدها فاحتاج الناس الى خليفة فلم يكن اقرب منهم لما ادعوه من النسب

وأنهم من قرينش من بني عدي من جماعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فحينئذ ارتفع ذكركم وعبرت البلاد وجاءها الناس من اقطار الارض وكثرت
علمها وانتشر ذكرها في الافاق بحيث اذا قالوا علماء أفريقيا في هذه المدة
انما يعنون بهسا تونس . وكان بنو ابي حفص يجعلون العلماء ويحافظون
على الشرع ممثلين لامره واخبارهم في ذلك شهيرة . وكان بتونس اربعة
من القضاة قاضي الجماعة وقاضي الانكحة وقاضي المعاملات وقاضي
الاهلّة وقاضي الجماعة عبارة عن قاضي القضاة بالشرق . وكان بالمحصرة عدة
من المفتيين فمنهم من يكون متصدرا لها بالقلم ومنهم من يتصدر للاخبار
فقط وانما تنفذ الاحكام على يد قاضي الجماعة يتصرف في الاحكام الشرعية
من غير مطلع عليه . وفي المائة التاسعة طهرت رئاسة المفتي وصارت
ارفع درجة من درجة القاضي واذا اشكل على القاضي بعث الى المفتي
يسالنه ولا سيما في هذه الدولة التركية فان القضاة تجيئها من بلاد الترك
والغالب عليهم عليهم العجوة ومذهبيهم مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه
واهل المحصرة على مذهب الامام مالك امام دار الهجرة رضي الله عنه فاحتاجوا
الى نائب يكون بين يدي القاضي فيكون بمثابة قاضي الخصومات
والقاضي التركي مقام قاضي الجماعة . وكان بنو ابي حفص يجعلون
يوم الخميس لاجتماع القاضي والعلماء في مجالسهم وتنفذ بين ايديهم لاحكام
الشرعية وذلك في كل اسبوع وتلقى بين ايديهم المسائل المعضلة والمباحث
بين العلماء والاحكام تتصرف بين يدي السلطان فلا يقع بين يديه من
الاحكام الا ما هو مشهور بين العلماء وذلك المجلس ساعة من نهار وباقي
الايام يتصرف القاضي في احكامه في دارة او مكان يختص به . ولما جاءت
الدولة التركية وصارت القضاة من تلك الديار كما قدمنا احتاجوا الى
مجلس كما مرث به العادة فجعلوه بين يدي العامل وهو المعبر عنه بالباشا
بلغتهم فيجفل في مجلسه في دار الخلافة وهي التي يقال لها دار الباشا وان
لم يحصره فالخليفة الذي لم يحضر القاضي والمفتيون ونقيب الاسراف

تبركا بالنسب الشريف وتلقى بين أيديهم المسائل المشككة وذلك لما جرت به العادة والعمل بالمحصرة أن المذمى عليه إذا لزمه شيء عند القاضي وخاف من الميل عليه يقول أنا بالله وبالشرع وبالمجاس فيتوقف امره الى يوم الخميس فإذا حضر اليوم المعلم رضي بما يحكم به عليه هذه القاعدة الى يومنا هذا وبزيادة وأنه لما صار المحاكم بها كما قدمنا سردارا على العسكر وأنه كالناظر على العامل وهو الدولاني بل ان العامل لا حجة له معه صارت الاحكام تنصرف في المجلس وبعد تمامها يخرجون باجمعهم القاضي والمفتيون ويمضون الى دارة ويخبرونه بما وقع وبجميع ما حكموا به وربما يتوقفون في معضل لا يتم امره إلا بين يديه أما لشاغب بين الخصمين أو لالتجاء أحدهما ببعض الامراء فلا يتم إلا بحضوره وهم جرا . وفي الدولة التركية كان يحضر بهذا المجلس المذكور اربعة من المفتيين حتى اذا مات أحدهم قام آخر عوضه إلا ان في يومنا هذا ليس بها إلا مفتيان لا غير . وفي اول ولايتهم لم يكن لهم مفتي حنفي إلا القاضي وكان الشيخ محمد بن ابي ربيع ممن يتعاطى حل المسائل من مذهب ابي حنيفة حتى نشأت منهم جماعة تعاطوا المذهب هنالك وذاع بينهم وشاع فقدموا مقبله على مذهب الامام ابي حنيفة واول تن تصدر لهذه الرتبة الشيخ ابو العباس احمد الشريف الحنفي وذلك بعد الاربعين والالف ، واما الذين على مذهب الامام مالك ابن انس فكانوا في اول الدولة اربعة ولا يتقدم احد لهذه الرتبة إلا صاحب فدين وهنفي وكذلك البانوات الذين كانوا في اول الدولة غالبهم كان على منهج وفيهم من كانت له خبرة بالعلوم وسمعت ما حكى عن أحدهم وهو فاضلي باشا وكان بعد العشرين والالف من الهجرة وهو آخر باشا كان مقامه بالقصبة ولم يحكم بها احد بعده من الباشوات كتب بين يديه كتابه تذكرة لمن يتعاطى حسابات المعاصر فكتب هذه اللفظة بالسين فقال المعاصر ، وما وقف الباشا المذكور على هذه الكلمة قال يا حمرناه على فاضلي باشا كتابه لم يفرى بين السين والصاد وهذا دليل معرفته ونباعته رحمه

الله فاذا كان البلايا بيده المناجاة فاحرى ان تكون العلماء اعلى من ذلك
 وكانوا اذا حضروا بالمجلس انما يكون منهم الاختبار بالامور الشرعية اذا
 سئلوا عنها وينفذ احكامه حاكم الوقت ، واول من اظهر لهذه الرتبة تعظيما
 وزادها بهيئتهم فقهيما الشيخ ابو الحسن النفثاني ابن الشيخ سالم النفثاني
 وسكان الشيخ سالم مفتيا في اول الدولة معاصرا للشيخ قاسم عظيم والشيخ
 ابراهيم والشيخ محمد قشور وكلهم على طريقتهم حسنة رحم الله الجميع . ولو
 تتبعنا اسماة من ولي منهم الفتيا لعجزتنا من حصرهم لغوات عصرهم ويعز علي
 اذ لم ارهم وانما اذكر من ادركته وشاهدته والشيخ ابو الحسن ممن رايتهم .
 وكانت بينه وبين والدي صداقة وكان عظيم الحجاب رفيع الجنب وعاصره
 في وقته الشيخ ابو يحيى الرصاع وتصرف في حياته والشيخ محمد ابو ربيع
 وهو ممن شاهدته ايضا وكان صديقا لوالدي والشيخ ابو الحسن اتخذهم كلمة
 واصلاهم جماعا فكان يصرف في الملكة تصرف الوزير المنتسب بحيث
 انه في احكامه - اذا قالت حذام فصدقوها - وتسام البيت معروف ،
 وكان قبل ذلك اهل المحضرة اذا ترتب على احدهم حق بالاحكام الشرعية
 وحكم الحاكم او افق المفتي بغير المشهور رفع امره الى بعض العلماء فيجبرونه
 بما عليه العدل وربما اطعوه على محل النازلة او يقولون له المسألة في كتاب
 كذا وفي موضع كذا وان كانت له خبرة او قوة على مسألته ثم اذا حضر
 بالمجلس الشرعي تكلم بهجته وقال مسألتي كذا وكذا وتقع المشاجرة بينه وبين
 من قال بخلاف قوله وهذا مما يتجرب به العوام على اهل العلم ولما سافر الشيخ
 ابو الحسن المذكور الى الديار الرومية في مهم اقتضى ارساله جاء معه خط
 شريف من الباب العالي وانه لا يسأل عن نص افق به ولا يرد ما حكم
 به فانحسرت هذه المادة ولم يتعرض احد لذلك فيما بعد وبه جرت العادة
 الى يومنا هذا ولم يزل في رتبة عالية مدة حياته ومات من كان معاصرا له
 وانفرد بالكلمة هو واخوه الشيخ علي النفثاني والشيخ محمد النفثاني ، ولما
 كانت سنة تسع واربعين والبق وشي به عند حاكم الوقت يوسف داي .

وشدعت على الشيخ ابي الحسن مسائل شنعها عليه بعض الصكارهين له
 فتغير عليه حاكم الوقت المذكور فخرج الشيخ الى ناحية الشرق لزيارة
 النبي عليه الصلاة والسلام فمات في الطريق في مكان يقال له الينبع وقبر
 هناك وقبرة مشهور وقام اخواه مقامه من بعده . فلما تولى اسطا مراد الدولانية
 فكبهما واقام بدلا منهما الشيخ ابا الفضل المسراتي والشيخ احمد الرصاع
 وكانت بين الشيخ ابي الحسن والشيخ ابي الفضل المسراتي صفائين في
 النفوس موجبا حب الرئاسة فلما حلت باخويم هذه النازلة كان ممن
 اُفتي بقتلهما فضلا عن العقوبة فنجاهما الله وصودرا بالمال . ولما تولى احمد
 خوجته منصب الديات بعد اسطا مراد طلبا منه الاذن الى الحج الشريف
 فاذن لهما ولما بلغا الى الديار المصرية والحجازية كتبنا سوالا على حسب
 النازلة التي نزلت بيما وبما اُفتي به الشيخ المسراتي فافتى علماء المشرق بما
 وافقتهما وبعد تمام الحج رجعا الى الديار الرومية وعرضا أمرهما على الابواب
 السلطانية فقبلت حجتهما وكسبت الاوامر على وفق مرادهما واقام الشيخ محمد
 في تلك البلاد وترقى الى رتبة الموالي الى ان مات هناك في حدود السبعين
 والالف وله عقب هنالك ورجع الشيخ علي الثفاني الى تونس واستقل بمنصب
 الفتيا من غير منازع وعزل المسراتي وصاحبه احمد الرصاع ولم يزل في وثبته
 فاخذ الامر وموافقهم في المنصب الشيخ احمد الشريف الحنفي السابق ذكره
 ومن بعده الشيخ محمد بن مصطفى الازهري نزيل تونس الى ان مات الشيخ
 علي في مزة بعد الستين والالف فعند ذلك استقل الشيخ محمد بن مصطفى
 وانذر بالمذهبيين الى ان توفاه الله سنة ست وستين والالف . فاقم بدله
 الشيخ مصطفى بن عبد الكريم فتولى رئاسة الحنفية لا غير واعيد الشيخ
 المسراتي والشيخ الرصاع الى مكانهما . ولما كانت سنة أربع وسبعين صرف
 الشيخ مصطفى عن ولايته الحنفية واقم بدله الشيخ ابو المحاسن يوسف
 درغوث فباشر المنصب بتعفف وامسك وصلابة في الحق ووقوف عند الكلمة
 فكانت تحدث من الشيخ المسراتي صفوات ياخذها عنه الشيخ يوسف

المذكور ولم يتم له قولاً ويعارضه في سخطانه الى ان تسبب في عزله
وبقي معه الشيخ احمد الرصاع وليس له مع الشيخ يوسف إلا الاسم والشيخ
جويش صاحب الحل والعقد الى ان مات في الواقعة المتقدم ذكرها رحمة الله
عليه . ولما قدر الله تعالى بالطامة الكبرى وهي الواقعة التي كانت بين
العسكر والمرحوم مراد باي وقد تقدم ذكرها كان الشيخ المسراقي احد اسبابها
وهو الكاتب من املاته الهجته التي شنت عليه فلما لم يتم ما اراده وانصر
الباي المذكور وعاقب سن عاقب عن بيئته وفتنا عن عفا عن بيئته صادر
الشيخ المسراقي ونكبه واراد قتله فشفع فيه صهره ابو العباس الشيخ احمد
الشريف فشفعه فيه وذلك سنة اربع وثمانين . ثم ظهر للمرحوم برحة الله
مراد باي ان يولي هذا المنصب الشريف لمن يكون اهله فوق اختياره
على شيخ الوقت بالاطلاق . وتن شددت الرجال اليه من جميع الافاق . الشيخ
العالم العلامة . الحبر الفهامة شيخ مشايخ الديار التونسية . وتن يشار اليه
بالبنان في العلوم الموسوية . وتن تفتخر به الفضلاء من امة محمد . وتن سعى
بسعيه المشكور وعلمه المبور وادركته بركة سعيه لما سمي به محمد . المتفنن
في العلوم الثقيلة بما رواه عن النفاة . المتصرف في الغوامض العقلية بممارسته
العلوم وبالحفظ والشبات . الذي طلع في سماء البلاغة بعلم البيان فاطهر
الطيب . ونجا نحو المعرفة فناخرنا به العرب . الهمام الامجد الشيخ ابي
عبد الله محمد المدعو بقناتنه . سلم الله من كل الحوادث ذاته . وصرف عنه
كيد الكارهين . وفتح احبابه بعلمه الشريفه وحياته الى حين . وبشهادة
الله لم استوف حقه فيما قلته . ولم اك من المتعصبين في مدحه بهذا
قتله . ولم يكابر إلا تن طبع على قلبه . وانقطع سببه من سبه -
وتن يقل للمسك اين السذا ككذبه في الحال من سبه
ولما عرض عليه المرحوم مراد باي ان يتولى هذا المنصب ابي ذلك . وانتع
من التعرض لهذا الامر الخطير والدخول في صيق هذه المسالك . وتقرر
امتناعه عند اهل البلاد فعظم عند الناس قدره وزاد مكانه وعلم الخاص والعام

ان تمنع نزهة وديانة وكنت تظفنت على ذوقه السليم بان مدحتهم بعدة
ابيات وقابلت سبائك ابريزه بما سبكتهم من مناقيل النحاس فسترني
بستائر حلمه وهكذا فليعمل الناس بالناس وارث ان ابث بعض ما قائم
على جهة الايناس وتغزمت في اول التصيدة لمساعدة كنيته على الروي فقلت
بديع المحسن لو ابصرت ذاته رايت المحسن مجموعا شتائه

وانا مستمر في تغزني الى النخلص وهو المراد وفيه اشارة لاعراضه -

فاعرض جانباً وارور عيني لما اعرض عن الدنيا فتائه

ولولا خفية الاطالمة لاتييت بها ، ثم بعد ايام اضطر الباني اليه لانه لم
يجد من هو افهم منه سلمه الله لما كان يعرف من ديانتهم وطوره على غيره في
منصبه فالزمه على كره منه وهذه كانت تعد من حسنات الباني رحمه الله
فامتثل لامره ذلك ، ورضي بما قضى به المالك ، فسر به اهل الصلاح
والسداد ، واقعدوا به الى طريق الرشاد ، فلخذلني اريحة ادبية ، ومدحتهم
بثصيدة رائية ، وجاءت براعة استهلاليها وتخلصها صنع الله الذي اتقن كل
شيء ببركته نيته الصالحة ، ومطلع القصيدة وفيه تغزل وتورية حيث قلت -

تمنع يوم الوصل واستعظم الامر واعرض اجلالاً فقلت له صبراً

مليح جرى ماء النعيم بوجههم وفي كل قلب من حرارته جراً

ورحمت وأنا مستمر الى ان تخلصت وانم من المخلص العجيبة التي
حصلت لي ببركتهم ايضاً فقلت -

تعلم من شيخ الانام تمنعاً ولكن ولي الامر الزم جبراً

ولا يخفى على اهل الادب ما اشرت به في قلبي تمنع واستعظم وفي التخلص
ولكن ولي الامر الزم جبراً فلا تخفى هذه الكلمات إلا على اكمه لا يبصر
القمر وما اطلت من ذكره إلا بما يستحقه من الفضائل ولم ابلغ الى كنه
وصفه والحق يقال والشيخ المذكور من اعتقد حبه في الله لا لشيء إلا
لشرف علومه وان كنت حرمت ان اعترف من بحره ولم يساعدني الحال
ان التفت من درره فلقد اصابني رذاذ من وادله وذلك ان نجله السيد النقيب

الشاب الأنجد الشيخ أبا العباس أحمد ابن الشيخ المذكور عندي لم يد
أفادني بمسائل فتق دعني بها واستفدت به زاد الله في حسناته وهو من
ترجى له بركة أبيه إن شاء الله لأنه تصدر للتدريس في حياة والده وله
مسائل دقيقة على كتب اللغوم وعدة علوم زاده الله من فضله وكذلك أخوة
أبراهيم ممن أحبه في الله ويحبني فيه وأظن أن شاء الله أن والدهما كذلك
ولولا خشية الملالة لاملت في مناقبهما عدة كراريس وفي هذه النبذة كفاية
وأحلف بالله ما رقت هذه الكلمات إلا بوقاحة مني لاني لست من أهل
التعرض إلى ذكوره ، ولما تم له من الامر بهذه الرتبة ما تم بإشراف بتواضع ووقار
ولم يغير من هيئته بل زاد في تواضعه يقضي حوائجهم بنفسه ويباشر اموره
لا يكلف بها احدا ولم يأخذ على ما يكتبه اجرا عامله الله بنيتهم وحفظهم
في ذريته ، وأعجب من هذا انه لما امتحن في الواقعة التي سلمه الله منها
بسعاية الكاهين لما قبض عليه وعلى الشيخ يوسف درغوث وقد تقدم ذكرهما
وقتل الشيخ يوسف ونجى الله من ذلك الشيخ محمد المذكور كل هذا من بركته
العلم الشريف لانه لم يدلس فيه ولم يدنس ، وكنت كتبت له رسالته
هنيئته ولكن لم تصل اليه ومنعتني منه الحشمة وافتتحها بقولي سبحان الذي
اسرى عبده ليلا والمحمد لله الذي انزل على عبده ان اسر باهلك بقطع من
الليل انا منجوك وإهلك إلا امراتك والهم عبده لما حصل في وثاق الاعداء
ان فر من بين العسس فكنت له النجاة إلا واعوذ بالله من قوم ليس لهم
عهد يعد ولا ذمة لدمام ولا يراعون فيكم إلا وهي طويلة اضربنا من ذكرها
وهو حفظه الله تعالى ملازم للاشتغال بالقراءة وله عدة دروس في الجامع الاعظم
وفي مسجده بمقربته من كتاب الوزير وفي داره هذا مع اشتغاله بما ينفع
الناس اذهب الله تعالى عنه الكدر والسواس والبأس ، ومن نيتهم الصالحة
ان جعل الله رفيقه المفتي على مذهب الحنفية الشيخ ابا السعادة عبد الكبير
ابن المرحوم الشيخ ابي المحاسن يوسف درغوث قدم بعد وفاة والده للخطبة
بجامع الرحوم يوسف داي نسب قدم للفنبا بعد تمنع واستغاث فصار بسيرة

مرصيته . ولم تجر احكامه الا على القواعد الشرعية . وهو في متفران الشباب .
ولم تظلمه ولم صبوة في السابق يلزم منها الحجاب . وهو حفظه الله من
اهل الصلح بين الخصمين . ومغالب اوقائه في المساعدة بين الناس بلا
مين . وكان تقديمه اول سنة تسع وثمانين والفت عن كره منه وجبوة
على ذلك علي باي لطف الله به وهو حسنة من حسناته كما ان رفيقه
حسنه من حسنات والده رحمه الله .

الفصل الثاني

فيه حوادث ظهرت في الديار التونسية غير ما كانت
عليه في الدولة الحفصية

كانت ايام بني ابي حفص في اول بدايتهم من فرر الايام . وانتشرت
دولتهم حتى عمت بلاد الاسلام . وتقدم من ذكرهم ما فيه كفاية . ولكن
فاقي بطرف من ذلك ليكون خبرة لاهل الدراية . وكانت دولتهم على
اسلوب العرب وعدتهم الرماح والسيوف والنبال ولم تكن المكاحل ظهرت
في مبدا امرهم وانما ظهرت في اخر ايامهم في ايام الفتن لاحول صاحب
قسمتة لعنه الله ومن هنالك اخذت صناعتها في الزيادة الى ان كثرت في
غالب العمور . وكانت صاكرهم يدعون بالموحدين لانهم من اتباع ابن
تومرت كما تقدم ذكره لانه ساهم بالموحدين لزعمه انه قائم بالتوحيد اي
بكلمة التوحيد وجعل لاصحابه توحيداً بلسان البربر فمن لا يقوم بحفظه
لا دين له فبقيت اشياء من بعده على دعوته واقتدوا بامامته . والطبقة
الاولى من بني ابي حفص امتد سلطانهم من تلمسان الى طرابلس الغرب
ولما تفهقت دولة بني عبد المومن من بلاد المغرب وكثرت الفتن بين ابناء
الخلافة منهم تسمى بنو ابي حفص بالخلفاء وجاءتهم البيعة من الاندلس
وبوها وجاءتهم ايضا من مكة المشرفة لعدم الخلافة بالمشرق ولم يزل امرهم
على احسن حال حتى وقع بينهم التحاسد واقتراق الكلمة فاخذت دولتهم في

الادبار الى ان كانت دولة السلطان محمد بن الحسن خرجت طرابلس عن حكمه واخذها عسكريا ال عثمان وكذلك الجزائر ولم يبق بيده الا تونس وبلد الغناب . وفي ايام ولده الحسن نافقت القيروان على ايدي الشاهسين ووافق الشاهي بسوسة والمهدية . وفي ايام السلطان احمد بن الحسن وصل العسكر العثماني الى الحمامات وطالت ايام السلطان احمد في الدولة واحيي بعض ما درس منها وكان عسكريا لا يزيد على الذي فارس وساهم الزمازمة ويركبون الخيل وكان مغرما بالنجوم واهله وبعلم الاجفار وكانوا يخبرونه بزوال الدولة منه وتصير الى قوم لغتهم اعجمية الا ان سلطانهم يمشي على الاقدام لا يركب الخيل فذهب به رايه كل مذهب فلم يجد ملكا على هذه الحالة فالتخذ جندا من العبيد تفاولا وصارت لهم دولة يقال لها الدولة الجناوية ثم قتلهم وكذلك سمي مملوكا له علي باشا تفاولا لما كان يحذره والله غالب على امره . ولما جاءت الدولة التركية ظهر ما كان يحذره لانهم مشاة على الاقدام وكبيرهم الذي يقال له الداوي كذلك فهو بمنزلة السلطان على الحقيقة لانه المتصرف بحكمه في الاقاليم فصحت الاخبار التي اخبر بها ولما تمكن حكمهم ودانت لهم البلاد اتخذوا اصطلاحا واحدوا امورا غير ما كانت عليه اولاف من ذلك ان لهم جماعة يقال لهم اوده باشية واحدهم اوده باشي معناه راس الدار لانهم يقدمون المصافى اليه فلنظرة اوده هي الدار وباشي هو الراس واصلمه باش والياء زائدة عندهم الا انها كأحد الضمان وتحت يد كل واحد منهم جماعة نحو العشرين واكثر واقل ولذلك الواحد النظر على جماعته واعلى من هولاء جماعة يقال لهم بلوك باشية واحدهم بلوك باشي والبلوك اسم للجماعة والباش للراس كما تقدم ومعناه راس الجماعة وهو اعلى من لفظة الاوده واعلى رتبة منهم وكلهم بالترقي فمن الاوده باشي الى بلوك باشي ومن البلوك باشية يصير اعينهم وهو كبيرهم لا يصدرون ولا يردون الا عن مسورتهم وكان لاغتر في مبتدا امرهم تائبه الاوامر السلطانية من الباب العالي من عند الاشته الذي هناك سم انخرست هذه القاعدة

فصار يلي هذه الرتبة اكبرهم ولم يحتاجوا الى امر سلطاني وعدة الاودة باشية قبل اليوم مائة وخمسون ولما تزايد العسكر زيد فيهم ايضا فمددتم في زماننا مائتان واذا نقص واحد منهم حطوا بدله ولهم لباس يتميزون به عن سواهم ولهم اقبية باكمام طويلة واسعت من عند الرافق وفم الكم صيق ويضم عند الكوعين بصناعة محكمة وعلى رءوسهم طراوير من الجوخ بصناعة مكشفة يمتاز بها ويمتاز البلوك باشي بعمامة يكبرها قليلا فيعرف بها وكذلك الاغمة له عمامة مفردة لا تكون لغيره ولها رجل مكلف باصلاحها ومن تحته جماعة يقال لهم ايم باشية معناه الحجية الكبرى لهم علامته على رءوسهم يقال لها اسكفة مزركشمه بالثصب يلبسونها سامة من نهار في مواكبهم وهم وكبان امام ائمتهم . وكان في اول الامر الحكم للاغمة والجماعة التي ذكرنا الى ان كان من اموم ما تقدم عند ذكر مقتل البلوك باشية وتولية الحاكم الدولائي فصار غالب النظر في الاحكام له الا ما قل ولهم مكان يحضرون فيه كل يوم سامة من نهار فيحضر الاغمة وهذه الجماعة المذكورة في ذلك المكان ويسدون دار الديوان ولهم شواش ستة ولباسهم مثل الاودة باشية الا ان الذي على رءوسهم فيه بعض خلاف فيعرفون بذلك فاذا اجتمعوا في المكان المذكور جلس الاغمة على كرسي في الصدر ثم الذي يليه بحيث لا يتقدم احد عن رتبته ولهم كتبة وترجمان ولهم اربعة من اكبر الاودة باشية يقال للواحد منهم باش اودة معناه كبير رءوس الديار ويصلون الى هذه الرتبة بالترقي ثم اذا انفصل عن هذه الرتبة صار من البلوك باشية ويطرقى الى ان يلي منصب الاغمة وعادة الاغمة ستة اشهر لا يخرج من بيته الا الى الديوان او في يوم معلوم ثم اذا جلس في الديوان يكون اكبر الشواش قائما بين كتفيه والترجمان بازاء الاغمة فاذا اخذوا مراتبهم قام خطيبهم فدعا بدعوات للسلطان وللعسكر وقرئت الفاتحة ثم يخرج مناديتهم عند الباب يقول سن له دعوة فليدخل فاذا دخل قابله الترجمان واخذ دعوته من لسنه ثم ياقبها للاغمة ثم ينادي مناديتهم الى الباش اودات الاربعة فيحضرون

بين يدي الاغتة ويعرض عليهم تلك الدعوة فان كانت من الامور الشرعية ردها الى الشرع وان كانت قانونية فعلوا بأرائهم او بما جرت به العادة بينهم وان كانت مسالمة معصلمت اخروها الى مشورة حاكم الوقت وان كانت صدرت من اذنه اصحيت فاذا تمت احكامهم حط لأكابرهم طعام الكوفة ثم ينصرفون الى مآربهم إلا ان اغتتهم يروح الى بيته واذا افرق ذلك الجمع انصرف من اكابرهم جماعة مثل الخوجات واكبر الشواش ومصوا الى حاكم الوقت فيخبرونه بجميع ما حكموا به إلا النادر الذي لا يعبا به هكذا دايمهم كل يوم الى انتضاء مئة اشهر يعزل ذلك الاغتة ويقوم مقامه الذي يايه وهم جرا ولهم مواكب يظهرن فيها ابنة الملك وينشرون ناموسا للسلطنة وذلك انهم اذا ارادوا اخراج المحلة على حسب العادة نادى مناديهم وهم الشواش برصكبون الخيل ويلوجون في الاسواق وينخبرون جماعة العسكر ويمرونهم بالتهاب للخروج ومن الغند يصحبون وقد لبسوا آلة حوبهم ويجمعون عند باب القصبه ويكون الحاكم هناك ثم يبصي الاغتة والادوة باشية الى دار الخلافة ويحصر هناك الخوجات الذين يحملون البيارق فينشرونها ويحصر الباي العين او خليفته فيخلع عليه الباشا خلعة سلطانية ثم يخرج كاهية الباشا معه وبين ايديهم الشطار والايك مشاة على لاقدام وتنشر الرايات الملوكية وتدق النوبة العنصانية بالطبول والانقرة والزنجهارات ويخرجون بادب وسكينة مصطفىين من دار الخلافة الى باب القصبه ويكون العسكر قد اجتمع هنالك فاذا قرب الديوان اي الجمع الذي فيه الاغتة والباي الى باب القصبه قام الداي بنفسه ان شاء ومشى في اول الصف وان شاء قدم احد الاكابر من جماعته وامره بالسير عوضه وذلك لتعظيما له بحيث يكون هو المتصرف تلك الساعة وامره نافذ على ذلك الجمع فاذا خرجوا من المدينة الى ظاهرها حيث يكون الوطق والاخبية الهيئة للسفر دخل الباي والاغتة والجماعة المستعدة للسفر ورجع الباقيون الى البلد ويكون قد تعين على المسافرين منهم جماعة يتعاطون الاحكام في السفر مثل الاغتة

والاودة باشية والبلوك باشية ومن يقوم مقام الداي فيهم مدة اقامتهم في السفر الى ان يرجعوا الى المحضرة ولهم ادب في رحيلهم واقامتهم وامور اخر اصر بنا عنها فاذا رجعوا من سفرهم بعثوا رسالا يخبرون بوقت مجيئهم في يوم كذا فيتأهبون للقائهم على العادة التي قدمنا إلّا ان في يوم دخولهم زيادة على ما ذكرنا وذلك ان العسكر الذي يخرج من البلد اذا صاروا من خارج المدينة وتقابل العسكران يجعلون هروزا وهو ان يرموا بمكاحلهم ثلثا ثم يجيئهم المسافرون بثلاث ثم يجتمع العسكران ويدخلون البلد ويكون يوما مشهودا تجتمع الناس لشاهدته ويبضي اكابر العسكر الى دار الخلافة ويخلع هناك على البلي او على خليفته خلعتهم سلطانية ويرجع باكابر الديوان الى منزله وتندق هنالك الطبول ساعة لم ينصرف ذلك الجمع فكذا دأبهم في كل عام مرتين وهذا الناموس لم يكن مثله في البلاد الغربية التي تحث ايدي العساكر العثمانية . جعل الله اعلامهم بالعدل منشورة . واحكامهم بالشفوق مذكورة . وجعل سيف هذا السلطان قاطعا في رقاب الكافرين .

... : اننا لاصلاح الدنيا والدين *

الفصل الثالث

فيما تميزت به الديار التونسية

وما تفتخر به بين احبابها

اعلم ايها الواقف على هذا المجموع ان لتونس مفاخر جمّة لو استقصيناها لطلال بنا المجال وخرجنا من الحد ولكن ناتي من كل شيء بطرف . وقد كانت قبل هذا الزمان في غاية من الشرف . واهلها في النعيم والشرف . بحيث لم تكن بلد تضاهيها . ونفوس اهلها مطمئنة بامنهما وامانيها . وكانت محط الرحال . ومبلغ الامال . إلّا ان في زماننا هذا تلاشى اكثر نعمتها . ولكن بقيت منها بقيّة ستلى عليك لتعلم تميزتها . واذا افتخرت مدينة من مدن المغرب فما احق الفخر بتونس . واذا حل بهما غريب نال الشانس من

ثونس ، والدليل على ما كانت عليه من رفاهية أهلها في القديم وبقيت إدارة
حوان غالب أهلها كانت لهم جنات وبساتين يخرجون إليها بعيالهم في زمن
الصيف والخريف وتكون الناس في أسواقهم يتعاملون إلى آخر النهار ومبيتهم
في بساتينهم ومن الغد يبكرون إلى البلد ولهذا كان سوق الربع وهو أكبر
أسواقهم لا يفتح إلا بعد طلوع الشمس وجرت عادة العادة إلى اليوم ولهم غير
ذلك من الأعياد والمواسم والتفاخر بالأعراس الحافلة وإظهار التنعم حتى بالمأتم
وناهيك أن أعيادهم مشهورة فيما يستعملونه في أيام العيد من الحلوات
والإطعمة التي لا توجد إلا في الحضرة المقررة الذي يتفاخرون به وهو مشهور
بينهم لا يحتاج إلى تعريف وهو أطيب حلواتهم وليس بعده شيء حتى أني
التقيت بمن أكله في الحضرة فأعجبه غاية الإعجاب فقال عجبت من في
بيته المقررة كيف ينال الليل وكذلك اللحم الذي يسمونه الروزية نسبة
إلى مروز مدينته ببلاد العجم يطبخونه بأبزار تفوح لها قيمة ويرون أكلها
عقيب الصوم من التطيب وكذلك الخبز المعلوم في أعيادهم لم ير مثله في
العمر ويتفاخرون بعظمه ونقاوته حتى أن الرغيف الواحد لو وضع بين
جماعة من الناس من عشرين فصاعداً لكفاهم ويطول مكث هذا الخبز إلى
فجر شهر وأكثر وهو في غاية الحسن وسبب تكبيره عندهم لم ذكره فالتقرر
بينهم أن بعض العمال كان بها في الزمن السابق دامت ولايته واشتد
سلطانه فمضى به بعض الكارهين إلى أستاذه وأدعى أنه استقل بالأمر وخرج
عن الطاعة وحرصه على الفتك به فتحرك إليه أستاذه بعسكرة فلما قرب
من ثونس خرج العامل بذات نفسه وقيل أنه ابن خراسان وصحب معه
رغيفا من أعجب ما يكون فلما وقعت عينه على أستاذه ثرجل وقبل بركابه
وأخرج ذلك الرغيف وتاوله له فأخذته من يده وقبله ورده إلى صاحبه
ورجع من مكانه وقال لخاصته هذا مستمر على طاعتنا والإشارة لذلك خطابته
باسان الحال إن هذا ما أنعمت به علي فإن أردته فهو مردود إليك فعلم
حسن طويته فإبقاء على عمله ورجع مسرورا فمن هنالك استمر الحال على

تكبير هذا الرغبة وقد يكون انفق ذلك اليعم انه يوم عيد او انهم تفتاء لولا
بسلامة عاملهم بسبب ذلك الرغبة الى ان صارت لهم عادة في كل عيد
هذا هو الماتور بينهم ويغلب على ظني غير ذلك وهو ان حريمهم اي حريم
هذه المدينة اكثر انهما كما من رجالهن ويكرهن الاهتمام بالخدمة عدة ايام
بعد العيد فلماذا جمع بين الخبز والبروزية لطول بقائهما . وكذلك العادة
التي جرت بين اهل المحصرة ان مدة اعيادهم خمسة عشر يوما وهذا المعهود بينهم
وجرى العمل به وادركنا قبل اليوم ان اسواقهم لا تفتح الا بعد تمام الخمسة
عشر يوما وتكون ايام تنزهات خارج المدينة وتلاشى البعض وبقي البعض .
ومن ايامهم المشهورة اليوم العاشر من شهر المحرم يحتفلون له غاية الاحتفال
ويصرفون فيه اموالا وافرة في الاطعمة والفواكه وقل ان تجد من لا يصرف
شيئا او قل ولو حصر انفاق ذلك اليوم لبلغ مقدارا غريبا وكذلك اليوم
التاسع منه يواظبون فيه على اكل الدجاج والطعام الذي يقال له الدويذة
وهو بمثابة الكنافة عند المصريين ولكن الدويذة اصنم عند اهل المحصرة
ويجرون عن طعامهم هذا فيقولون الفطير وما يطير ويعظون هذا اليوم وان
كان عظيما الا انهم اکتروا في تعظيمه عن سواهم ويرون للانفاق فيه من
التوسعة على العيال وملازمة اكل الدجاج على جهة التطيب لان الحكماء
قالوا لا بأس به مرة في السنة والمداومة عليه تورث الفرس اعادنا الله
منه . وكذلك جرت العادة بزكاة اموالهم يخرجونها في هذا اليوم ويلتزمون
على حرمة والانفاق فيه وتزين الخوانيت التي تساع فيها الفواكه اليابسة
ويكون لها منظر عجيب وتنفق الناس من عندهم على قدر اقدارهم حتى لا
يخلو مكان احد من الفاكسة الا القليل منهم . ولقد حضرت لرجلين تفاعرا
احدهما من الجزائر والاخر من تونس فقال التونسي لالجزيري وددت ان
هذه الخوانيت يعني التي بها الفاكسة في يوم عاشوراء ترفع ليلا وتحت في
الجزائر فاذا اصبح اهل الجزائر وراوها على هذه الحالة تسم اصدت ليلا الى
مكانها اظن ان نساءكم يطالكنكم ويأتين الى بلادنا وهذه مبالغتي اني بها

ومن رأى ذلك اليوم شهد بما قلناه وهذا من الايام المشهورة عند اهل تونس
وتباع فيه من آلات الطرب والملاهي لصبيانهم بما لا حصر له وهذا من
رفاهية عيشهم وانهماكهم وكذا جرت عاداتهم وهي باقية الى الان ، ومن
اعبادهم المشهورة ومواسمهم المذكورة ومسايعهم المشكورة تعظيمهم ليلة المولد
الشريف وذلك لاجل محبتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات صلى الله عليه
وسلم . واول تن اعنى بتعظيمه في البلاد الغربية واطهر فيه شعائر الولادة
المحمدية السلطان ابو عنان المريثي شكر الله سعيه ثم اقتدى به بنو ابي
حفص في الديار التونسية واولهم امير المومنين ابو فارس عبد العزيز وكان في
اول المائة الثامنة واحتفل بتشييد شعائره هذا اليوم المبارك جعل الله ثوابه
في صحائفه واطهر في ظل النجاة يوم لا ظل الا ظل عرشه واقتدت به بنو
ابي حفص من بعده ولم تنزل عاداتهم مستمرة على تعظيمه ما لهم الله بنياتهم
فانهم يظلمون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الاول وينشدون الاشعار في
المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون المكاتب وربما يجعلون ديدانات
وهي المعبر عنها بالاصطبلات وتقرأ فيها الخماسيس وتشد الابيات الشعرية
التي تضمنت مدائح خير البرية وتوقد القناديل وتسرج الشموع وتكون
تلك الليلة اشهر ليالي ستمهم ويصنعون الاطعمة الفاخرة احتساباً لله وربما
يجعلها بعضهم للبهامة والتفاخر وكل امرء ما قوى وتكون ليلة عظمى
بدار تقيب الاشراف يحضرها الاجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع
فيها السماع والاناشيد بالمدائح النبوية ويهرع الناس اليها من اطراف
البلد وتكون مندهم من الليالي العجم ولتقيب الاشراف عادة ياخذها من
السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن
بني ابي حفص ودامت هذه الدولة عليها وادركنا قبل اليوم بالزاويتين
المشهورتين القشاشية والبكرية محاسن جنة بحيث تدوم زيتها خمسة
صفر يوماً لا تخليان من المدائح وتهرع الناس للشرج والمبيت وقد تلاسى
الحال ، واما غيرها فبحسب الامكان والافاق وهذا الشهر المبارك له حرمة

عند اهل الحاضرة لتعظيمهم لهذا اليوم زاد الله في حسناتهم وربما وقع فيه ما يذمه الشرع وذلك لجهل العوام ويرون ذلك صلاحا ومن اراد تفصيل ذلك فليطالع الموردي في اخبار المولد للعلامة جلال الدين السيوطي فخلن فيه شفاه الغليل . ومن ايامهم المشهورة اول يوم من شهر ربيع فانهم يتفقون فيه اموالا لا تحصى ويتأخرون فيه بالاطعمة الفاخرة التي لا توصف ويكثرون من الانفاق فيه ويجتهدون في صناعة المرقاز حتى لا يخلو منه إلا مساكن الضعفاء ويكثرون من الرياحين والبقول ويباع في هذا اليوم من التارنج والليم الحلو والليمون بقدر ما يبيع في السنة كلها ومن الحمايش مثل الحمص والبقلاء الخضراء والخس وغير ذلك ما يقوم بالدينة سنة في غير هذا اليوم ويجعلون اخصاصا في بيوتهم مزينة ويعبر عنها بالخوانيث وتعلق فيها جميع البقولات والرياحين الموجودة حتى لا تخلو دار من ديارهم من مثل ما ذكرنا إلا ما قل ويتجاوزون الى الغاني وعالات الطرب لما لا حد له وانهماكهم في هذا اليوم اكثر من ايام الاعياد . وادركنا بعد الخمسين والالف من الهجرة مسكانا لهم عند باب الخضراء يسمونه بالوردة يجتمع فيه اهل الخلاعة والبطالة ويكثرون من المجنون هنالك من مغان ومظربين ومشعوذين وتباع فيه الفواكه اليابسة والحلواء وتخرج اهل الخلاعة ارسالا بعد صلاة العصر الى وقت الغروب ويكون هناك مفرج عظيم ايهج من ايام العيد ويستمر على هذه الحالة خمسة عشر يوما هذا دايمهم في كل سنة توارثوا ذلك خلفا عن سلف وابطلت هذه الايام في زمن اسفا مراد ثم اعيدت من بعده ولكن على غير هيئتها الاولى ثم ابطلها احد خوجة ولم تعد بعد . ولقد ادركت للقوم في هذه الايام خلاعة لم تكن لغيرهم في غالب المعمر في هذا المكان الذي يقال له الوردة ولم ادر لم سمي بهذا الاسم إلا انه بطني انه كانت به حديقة بالوردة فسمي بها والله اعلم وانقضت هذه الحالة ولم يبق إلا اسمها وأما الذي يستعملونه في الديار فهو باق على حالته وزيادة وعند النسوة تفاخر بينهن لما يبدين من الزيتة والاطعمة ولم يعلم

أحد من أهل المحصرة ما السبب لظهور هذا اليوم إلا لمنكر ظم فيه حيث
يقول هذا اليوم عيد لفرعون لعنه الله فكيف يعظمونه ويستدل بقوله
تعالى - موعدهم يوم الزينة - والمجيب عنهم يقول فيه نصر الله موسى عليه
السلام على فرعون وكل ليس تحته طائل لانا فير مكلفين بهذا اليوم ولا هو
في شريعة غيرنا وهذا من خرافات العوام ، وسعدت من مشيخة المحصرة
ما يقارب الظن وهو أن أول يسوم من شهر هايم تكون الشمس فيه
مصرة بالصبيان الذين هم دون البلوغ فلماذا يجعلون تلك الحوائث لتقي
صبيانهم الحر بحيث يلعبون فيها وتغيبهم عن اللعب خارج الديار وكذلك
يجعلون في انوف صبيانهم شيئا من التطران لخاصية في راحته والله اعلم .
ومنهم من يقول هذا اليوم هو النوروز وبحكم بصحته وليس عنده علم ما هو
النوروز ولا لاي شيء وضع في هذا اليوم ولم لم يكن في غير هذا الشهر ولم
اخص به هذا الشهر دون غيره الى غير ذلك إلا انها جبلت بحولون عليها
صاغوا عن كابر الى يومنا هذا والذي صح عندي أنه هو النوروز لاشك فيه
إلا أن النوروز كان في غير هذا الشهر ثم صار اليه ولذلك حكاية تطول
ولكن فاني ببعضها ليعلم من يقف عليها ان كالأين من أهل المحصرة لم تكن
افعالهم سدى وسيتلى عليك ان شاء الله تعالى ذكر أهل السير والأخبار ان
النوروز كلمة اعجمية معناها اليوم الجديد لان نو هو الجديد وروز هو اليوم
لان العجم يقدّمون المضاف اليه على المتضاف واول من اظهر هذا اليوم
بارض فارس ملك من ملوك الفرس اسمه جمشيد من الطبقة الاولى من
ملوك الفرس الذين يقال لهم اليبشديان وهو الثالث من ملوكهم وكان قبل
ابراهيم عليه السلام وجمشيد معناه شعاع القمر لان جم اسم القمر وشيد اسم
الشعاع وكان ملك الاقاليم السبعة وسلك السيرة الصالحة ورتب الناس
على طبقاتهم كالاجاب والكناب والزم كل صاحب طبقة مكانه لا يتنقل منه
الى سواء وجعل النوروز عيدا يتنعم الناس فيه وكان صاحب عدل ووضع
لكل امر خائفا مخصوصا به فتخاتم الحرب مكروب عايم الرفق والمداراة

وخسائم الخراج العدل والعمارات وخسائم البريد والرسل والامانث الصدق والامانات وخاتم المغارم الانصاف والسياسات وبنيت تلك الانار الى ان مجاها الاسلام وعآخر حاله تكبر وتجر وتترك السيرة الصالحة فتتكر عليه الخواض وقام عليه بيوارسب فقتله واستقل مكانه . وكان النوروز اول يوم من يناير ويسمونه ايضا دينماه معناه غرة الحول الجديد والهرجان يجعلونه سادس عشرين برجمات هذا اصطلاحهم في ذلك الزمان واول سن احدثه من ملوك القبط بنصر مقلدوش بن مقناوش وهو اول سن عبد البقر واستخرج الحكمة واول سن عمل العجل يجرها البقر وفي زمانه بنيت البيهتسا من اعمال مصر ودام ملكه ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في الاهرام الصغير ودفن معه من الاموال والعجائب شيء كثير منها اصنام مدبرة على الكواكب السبعة التي يرى بها الدفاتن والخبيات والفسات والفضة وعشرة آلاف جام من ذهب وفضة والفسات فنون الاعمال من الكيمياء وغيرها وله اخبار غير هذه ليس هذا محلها وانما جذبتنا مساق الحديث . ونرجع الى ذكر النوروز . واما الصابيون فهو عندهم يوم دخول الشمس برج الحمل وهو من اعظم الاعياد عندهم لان الشمس حلت في برج شرفها ثم ان الفرس جعلوه في الخامس من حزيران لان فيه استواء الزرع عندهم واذا حل خرجت العمال لاستنتاج الخراج . وكان هذا العيد عندهم لإدراك الغلال يستبشرون بالسنة فيظهرون فيه من المأكول والمشرب ويتهادون بينهم ويهادون روساءهم وهو من اعظم الاشياء عندهم ولم يزلوا على ذلك الى ان اتى الله بالاسلام وهم باقون على حالهم . وفي اول الاسلام كانت السنون متقاربا بعضها من بعض والزمان متقارب بين الشمسي والقمرى في حساب السنين وملت بالاسلام خراج اهل ذمتها وزكاة اموالها ومواقيت حجها بالسنة القمرية وجميع شعائر الاسلام كذلك . واما اشارة الغلال فتكون عند تمامها وحساباتها بالسنة الشمسية وايام السنة الشمسية ثلاثمائة يوم وخمس وستون يوما وكسور فيكون التفاصل بينهما احد عشر يوما على التثريب والروح

كانوا يكبسون سنينهم يوما في كل رابع من السنين وأما الفرس فانهم يكبسون شهرا قاما بعد مائة وعشرين سنة فاذا انقضت هذه المدة ودخل شهر ايار الفجر ورجعوا الى حزيران فكان النوروز من الخامس من حزيران الى الخامس من ايار لا يتجاوز اكثر من ذلك . ولما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وكنان عامله على العراق خالد بن عبد الله القسري وجاء وقت التكيس عند اهل العراق اعلوا خالدا المذكور فمنعهم فبدلوا له اموالا فابي وبعث الى هشام يخبره ويقول له هذا من الذي قال الله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يصل به الذين ككفروا يحلونهم عاما ويحرمونهم عاما فانه الجواب بمنعهم فمنعوا وصار النوروز لا يتعدى زمانه وفيه يكون افتتاح الخراج والسنة تتقدم الى ان تتفاوت جدا . وفي ايام المتوكل على الله العباسي كانت سنة احدى واربعين ومائتين تحبى في سنة اثنتين واربعين ومائتين فتنبه لهذا الامر وامر ان تلغى سنة احدى واربعين وتذكر سنة اثنتين ولولا خشية الاطالة لاستوفيت السبب في ذلك وكيف تنبه وفيه قصة يطول شرحها . وفي تلك السنة جيبت البلاد بذكر سنة احدى واربعين واثنين واربعين وخرجت بذلك الكتب الى العمال ومات المتوكل على الله ولم يتم له ما اراد ومن بعده رجع الامر الى الحالة الاولى . وفي خلافة المعتضد بالله جعل النوروز على حساب الروم وكذلك رتب المصريون حسابهم ووافقهم حساب الفبط وفي ايام المعتضد كانت سنة ست وسبعين ومائتين تجري في سنة سبع وسبعين ومائتين فنقلت سنة ست الى سنة سبع . وكان المعتضد على الله العباسي آخر النوروز عن وقته ستين يوما وجرت جباية البلاد على هذا النمط وقدم المهرجان يوما واحدا ولم تنزل خلفاء بني العباس بوخرون النوروز عن وقته عشرين يوما واكثر واقل ليكون سببا لتأخير الخراج . وفي خلافة المطيع لله العباسي وسلطنة معز الدولة بن بويه والوزير المهلب كان النقل من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وكتب في ذلك العصر الصابي رسالته وارادع فيها من الصناعة الفلكية ما يعجز عنه الكتيبة وهي

رسالة مشهورة ولولا الاطالة لاوردتها بكمالها لخص صناديقها كما ان رسالت
القاضي عبد الرحيم اليسانبي كثيرة الايجاز والاعجاز وكان هذا النقل اغفل
في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة تجري مع سنة
احدى وخمسمائة وكذلك سنة خمس وستين وخمسمائة تجري مع تسع
وستين وخمسمائة فنقلت برسالت من انشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم
المتقدم الذكر ورسالته موجودة في ايدي الناس ولولم يكن له من الرسائل
إلا هذه الرسالة لكفتم فخرا . وكانت الخلفاء من بني العباس وسلاطين وتهم
مولعون بايام النوروز وتعظيمه وكذلك الروسله والكتاب ولهم فيه مجالس
انس مشهورة وتهدى لهم فيه الهدايا الجليله وتمنحهم فيه الشعراء ولهم
فيه الاشعار المستحسنه ومجالس الانس التي يتفاخر بها بعضهم على
بعض وغير ذلك مما هو مشهور وجرت به دولة بني امية بالاندلس ولكن
ليس لي علم به اي وقت كان عندهم الا ان لهم فيه مجالس مذكورة بين
اكابرهم وهدايا جرت بها عاداتهم الى انقراض دولتهم ، وامسا تونس حرسها
الله تعالى فحساباتهم بشهور الروم وذلك انهم يكسبون يوما في السنة الرابعة
فكان النوروز لا يتعدى وقته في كل سنة الا ان الفرس كانوا يجعلونه في
الحامس من شهر ايار و ايار هو شهر مايت بحساب الروم وانما يجعلونه في
حزيران في السنة الكبيسة لانهم اذا ارادوا تكبيس سنينهم كما جرت به
عادتهم بعد المائة والعشرين سنة كما تقدم به الخبر جعلوا تلك السنة ثلثة
شهورا فاذا صاروا في شهر حزيران الذي هو يونية بحساب الروم الغوا
ذلك الشهر ورجعوا القهقريه الى شهر مايت فلماذا كان اختلاف حال النوروز
منهم كما ذكرنا ومنعهم خالد بن عبد الله الفسوي على فعلهم وزعم انه من
النسي الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز والنسي المذكور غير هذا وليس
هذا محل بيانهم وتمشى اصطلاح النوروز في مدينة تونس اول يوم من شهر
مايت لان غالب سنينهم بطيب فيها زرعهم وتخرج الجبابة الى اطراف البلاد
وكذلك جملة ثمار تظهر في هذا الشهر واهل تونس يقولون تظهر يوم مايت

سبع غلال ويعدونها ولهم اختلاف في مددها وليس لهم في رصمها الا ظهور هذه الفواكم في هذا اليوم وجرت به العادة من زمن بني ابي حفص الى يومنا هذا ولولا خشية الاطالة لاتيتم بجملته من القصائد والمقطعات التي قبلت في النوروز وما ذكرت هذه النبذة الا ليعلم من يثقف على كتابي هذا ان اهل المحصرة لم يكن عندهم سدى كل ما هو متعادل بينهم لان السلطنة في تونس كانت ضخمة وملوكها يعدون من الخلفاء وهذا مما هو مشهور عند اهل الامصار الا انه لما تغيرت الدول جهلت مسائل كثيرة مما كانت عليه واندرست قواعد كان الاهتمام بها وصعب الامر على ردها كما كانت عليه فمن بعضها ما يناسب النوروز مما كانت تهتم به الملوك في اول الزمان مثل النفل للسنين كما ذكرنا وهذا اليوم جار في وطن الساحل ويعنون به بالحول وذلك ان جباة اعشارهم من الحبوب والزيتون تباينت عن مراتبها حتى انهم يذكرون في تذاكر اعشارهم سنة ثمان وثمانين تجبى سنة احدى وتسعين ولم يشظن احد الى هذا الامر وان تعادى الحال على مر السنين تقاوم الى اكثر من ذلك وهذا من الازدلاف بسبب المباينة بين السنة الشمسية والقمرية لان الفواعل تنظم على حساب السنة القمرية والاعشار على حساب الشمسية فسقطت في كل ثلث وثلثين سنة شمسية سنة قمرية واستمر العمل بها واتسع الخرق على الراقع والكلام يطول ولكن جذبتنا المادة وفي هذا القدر كفاية والله اعلم بحقائق الامور وما تخفى الصدور ولهم اصطلاحات غير ما ذكرنا لو تتبعناها لظال بنا الاكنار وخرجنا عن حد الاختصار . واما تعظيمهم ليلية النصف من رجب ويلية السابع والعشرين منه وكذلك ليلية النصف من شعبان ويلية السابع والعشرين منه ايضا لا يخفى على احد من الناس هذا التعظيم وان كان لغيرهم مشاركتة في هذه الايام فان تعظيم اهل المحصرة اعظم من غيرهم وكذلك شهر رمضان المعظم قدرة فانهم يحتفلون فيه غاية الاحتفال ويتقون بواجبه وواجب حقه اتم القيام ويختصمون في غالب المساجد للبرء ان التعظيم في صلاة الشرايع الا فيما قل من المساجد . وكذلك اعتناهم

بمختم المسند الصحيح للامام البخاري رضي الله عنه وبنيته الاسانيد الستة
إلا أن البخاري عندهم اشهر وروايته اظهر وان سكان فيهم من المغاربة
يقدمون كتاب الامام مسلم بن الحجاج رضي الله عنه على كتاب البخاري
وكثيرهم على حقيقتهم وصحة . فاحل تونس لهم ولع بالرواية لكن المشاهير من
علمائهم وغيرهم مولع بالخطم لا غير واردنا ان ناتي بصورة الخطم لنتم به الخطم
ويحصل لنا حسن الخطم ان شاء الله ولكن ناتي ببعض ونذكر بعض علماء
الحضرة الذين ادركتهم في هذه الايام تبركا باسمائهم لانهم فرسان هذا الميدان
وعلماء هذا الشأن ولم اتعرض لغيرهم ممن تقدموا كثرتهم وفواتهم وربما نفس
الحاجة لبعضهم فناتي به عفو ان شاء الله تعالى * فمن المشاهير من علماء
الحضرة الشيخ الامام علم الاعلام القدوة البركة المتعدي به المتبرك به المعبر
الذي الحق الاصغر بالاكابر وتخرجت به جماعة من الاعلام في ايام حياته
وراي من تلامذته ما قرئ به عينه وله الاسناد العالي ورحل الى الديار
المصرية والاماكن الحجازية والتقى بالرجال واخذ عن جم غفير واجيز واجاز
واقاد واستفاد بالحرمين الشريفين وارض الحجاز الامجد الشيخ ابو العباس
احد الشريف زاده الله شرفا وهو اليوم بركة هذا الاقليم وملازم لافادة الطالبين
بجامعه المبارك بازاء دار الباشا وهو من المحافظين على رواية المسند زاد
الله في علومه ونفع به المسلمين يبداه من اوله الى اخره في مدة الثلثة
اشهر الى ان يختتمه على وثق المراد فيكون الخطم على بابه وهو حفظه الله
باق الى يومنا هذا متمتعا بسمعه وبصره ملازما للتدريس بجامعه المعروف
به ملاصقا لدار الخلافة وهو في سن الشيخوخة في الثمانين وفيه خشوع
ورقة وتخرج به جماعة وسلكوا طريقته زاد الله في شأنه بمنه وكرمه *
ومنهم الشيخ المعروف النحرير الخبير الفقيه المتكلم المنطقي الحكيم
المفوض العروضي الاصولي البياني الاديب المهذب الورع المرهب الذي
جع بين المعقول والمنقول مفتي الحضرة العلية وشيخ شيوخ البلاد الافريقية
المشهور في اديبه باهن نبأته الشيخ ابو عبد الله محمد عرف فتانته ابقى الله

بركتهم وقد تعلمهم بهي من ذكورة ولا باس باعادته تعظيما لقدرة وهو باقى الى يومنا ملازما لافادة الطالبين وله عدة دروس منها في المسجد الاعظم وشيرة مع ما ينظر فيه من مصالح المسلمين وتخرج به جم فقير وتصدروا في حياته لنفع المسلمين نفع الله ببركتهم * ومنهم سيم شيخنا ومددنا الشيخ الفقيه والخبير النبيه الوجيه الشيخ الامجد ابو عبد الله محمد عرف ابن الشيخ متصل بعلم شتى ملازم للاشتغال والافادة بجامعة المعلق بمقرته من سوق المختارين وبالدرسة المتصيرية وقد سبق التعريف به في اول الكتاب وهو من المحافظين على التعليم لعلم الدين وتخرج به جماعة كثيرة وهو من جدار الشيخ احمد الشريف وبه تخرج واخذ عن جماعة غيره متع الله بحياته المسلمين * ومنهم الشيخ العلامة وحيد دهره وفريد عصره المتصرف في علوم كثيرة الا انه بعلم المنطق اشتهر من علم كشهرة ابيه من قبله بهذا الفن وهو مدرس بالدرسة المرادية المحدثه عند باب الربع وهو وتد من اولاد العلماء الانجاد الحاج الشيخ ابو عبد الله محمد عرف الغماد زاد الله في حسانه * ومنهم الشيخ البركة الندوة المدقق المحقق المتكلم الورع المتبرك به المشتهر بطوروع في هذه البلاد الشيخ ابو الحسن علي عرف الغماد انتهى الله بركته وهو من المدرسين في الجامع الاعظم من تونس وله درس بجامعة المشهور به في حرمة الدباغين وبالزاوية الخلفاوية في ربح باب السويقة متع الله المسلمين بحياته * ومنهم الشيخ العمر العلامة المتورع المتبرك به الشيخ ابو العباس احمد عرف المهدوي وهو كان خطيب بجامع الخلق قريبا من باب الجديد زاد الله في حسانه * ومنهم الشيخ الفقيه المثمن الورع العفيف الشيخ سعيد الشريف وهو من جدار الشيخين الشيخ سيدي احمد الشريف والشيخ سيدي محمد فتاة وتصدر في حياته للافادة بالجامع الاعظم وفيه وقار وسكينة زاده الله من فضله * ومنهم الشيخ الفقيه عبد القادر الجبالي وهو من المدرسين بالجامع الاعظم ومن تلامذة الشيخ فتاة وفيه نيته وتدين وفاف * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس

المشرف في علوم كثيرة إلا أنه يعلم الحديث الشريف أشهر الشيخ سعيد
الحموزي امام جامع الخطبة خارج باب الجزيرة وفيه نية وتدين وعتاق
زاده الله من فصله * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد عرف
قويسم من اهل باب السويقة ولاهل روضه فيه اعتقاد * ومنهم الشيخ
الفقيه المدرس المتعفف ابو القاسم الغماري من اهل باب السويقة ايضا امام
بجامع حومة الاندلس وفيه تدين * هولاء من مشاهير المالكية وغيرهم خلق
كثيرون ولكن لم يبلغوا شأوى من ذكرنا وغيرهم لم يحصوني اسماؤهم إلا عند
ذكرهم * ومن مشايخ الحنفية الشيخان الفقيهان الشيخ محمد بن شعبان
امام جامع المرحوم يوسف ذاي وخطيب جامع المرحوم محمد باشا والشيخ
مصطفى بن عبد الكريم المنفصل عن الفتيا وهو اليوم امام جامع المرحوم محمد
باشا * ومنهم الفقيه النبيه الشيخ ابو الحسن علي عرف الصوفي عنده ملكة
في العربية والصرف والفقه وعلم الحديث * ومنهم الفقيه الشيخ ابو
الحسن علي كرباصتة مدرس بالمدرسة الشماعية وندده ملكة في علم الحساب
والمقائات والفرائض ومختص بعلم الهيئة والهندسة * ومنهم الفقيه الشيخ
ابو عبد الله محمد المهتار وهو راو للحديث في جامع القصبنة * هولاء الذين
بلغوا درجة الرواية للسند الصحيح وغير هولاء جماعة يعايطون الرواية وانما
دخلوا بمخالفهم بين ذوي الاقتناص واكثرهم بين بناء وغوام ولم يكن بالديار
التونسية من يرمحل بها العسكر العثماني من تعالى الرواية والدراية إلا
الشيخ العالم الرباني الشيخ ابو عبد الله محمد تاج العارفين العثماني
سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الاعظم من
اجل المجالس وتحضرة الاجلاء من اهل العلم وتدور بينهم المباحث الجميلة
في العلوم الجليلة ولا يخلو مجلسه من فوائد في الثلثة أشهر رجب وشعبان
ورمضان الى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ثم تلاه ولده
العلم الشهير والعالم الحرير الشيخ ابو بكر فيسار بسيرة والده وقام بعلم الحديث
الشريف احسن قيام وشهد له بالدراية علماء الاسلام فكان في هذا القرن

فسيح وحده وحصل له سر ابيه وبركة جده الى ان سار الى رحمة ربه
في سنة ثلث وتسعين والفت فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا
غير وجرت بها العادة للتبرك وانقطعت المادة من السير لان ولديه لم
يبلغا مبلغه ولا سعيهما الا ان الله تبارك وتعالى من بمن اقام مقامه
بملازمة الرواية للتبرك بالمحدث النبوي وهو الشيخ العالم العامل البركة
سيدي علي الغماري فسح الله في مدته هو النبي يتعاطى الرواية في
الجامع الاظم الى يومنا هذا والله الحمد . وحيث بلغا في خاتمة الكتاب الى
ذكر ختم البخاري الشريف وجب ان نذكر صورة الختم عسى ان يحصل لي
ببركة الختم ومجانسته الختم والختم ان شاء الله تعالى لا اله غيره ولا خبير
الا خيرة وهو نعم المرئي ونعم النصير *

الفصل الرابع

في تعظيم اهل الحضرة الختم البخاري

ولهم اهتمام عظيم يحتفل الشيخ لذلك اليوم غاية الاحتفال ولهم اماكن معلومة
وايام معدودة بحيث يكون يوم كذا في المسجد الفلاني عند الشيخ فلان فتخرج
الناس الى محله وتوقد الشموع وتسرج القناديل ويختر المكان بانواع الطيب
وقد تكلم الوالد رحمه الله على تعظيم اهل افرقيته الختم البخاري وله في
ذلك تصنيف سماه تاهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح ونقل عن
اشياهم من العلماء جلت من آداب المحدث واستفتاح مجلس الاملاء ثم
قال واستحسن الشيوخ عند الاملاء استفتاح مجلس الاملاء بقراءة قاري لشيء
من القرآن العظيم ثم يستتصت لسماع الحديث ثم قال قلت وعليه عمل
الناس اليوم بافرقيته عند ختمهم للبخاري يقرأون قبل افتتاح المحدث من
سورة الملك الى سورة عم الى آخر سورة من قصار المفصل ويختتمون بآية

الكروسي وءآخر البقرة ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقرأ
 الراوي لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولحتم جامع البخاري
 في القيروان باندنا شان عظيم ومشهد كريم . ومن تعظيمهم له واجلالهم ابناء
 انهم يشتغلون به عن اهم شيء من جميع اشغالهم ويفلقون حوائثهم وينادي
 المنادي قبل ذلك الا ان الختم لجامع البخاري غذا صباحا او عشية في موضع
 كذا فيفرغ الناس ويشارعون لذلك وتشارع له النساء والصبيان والخواص
 والعوام ويبدأ الراوي بما فيه تعظيم لجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من بعض سيرته ومعجزاته حتى يحصل لذلك صحيح برفع الصوت بالصلاة
 عليه والتسليم ثم يذكر مواظ ودقائق ويخوف الناس حتى يكون ويندمون
 على ما فرطوا في جنب الله تعالى في أيامهم السالفة وربما حصل للذنوب
 بسبب ذلك التوبة ثم يذكر بعد ذلك من سعة رحمة الله تعالى ثم يصلي
 ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يختم بالجامع الصحيح فربما
 اشتغلوا بذلك من طلوع الشمس الى قرب الزوال ، واما عمل اهل تونس
 بخلاف ذلك فلا يقرأون إلا ءآخر الجامع الصحيح او ءآخر الشفا للتقاضي
 صياض بعد ان يستفتحوا بقراءة القرءان العظيم وعمل اهل القيروان اخص
 واهم وعمل حضرة تونس اخصر والله تعالى ينفع كل احد بيته وكل بحسب
 سعته وقوته واجتهاده لينفق ذو سعة من سعته ثم ذكر كل ترجمته وما
 يناسبها ثم قال وعادة اهل تونس ان يفتحوا مجلس الختم بترجمة كلام الرب
 مع اهل الجنة ومنهم من يبتدي بباب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
 وروايته عن ربه عز وجل وعادة اهل القيروان منهم من يبتدي بباب الماهر
 بالقرءان مع الكرام البررة ومنهم من يبتدي بترجمة باب بل هو قرءان
 بعيد في لوح محفوظ ومنهم من يبتدي بترجمة باب والله خلقكم وما تعملون .
 انتهى باختصار منه . قلت هذا قبل اليوم واما في هذا الزمان اختصروا
 بزبادة عما كان قبل لان هذه الرتبة لا يصل اليها الا زيد وعمرو وفي هذه
 الايام تصدر اليها خالد وبكر لمحبتهم للباهاسة وليقال فلان من الرواة .

فاما الامثال فلم يرونها إلا احتسابا لله ويداورون على روايتهم الثلاثة اشهر
فلذا كان يوم الختم جعلوه على بابهم وبعضهم لم يتعاط شيئا من ذلك إلا
انه يحتفل ذلك اليوم ليدهي من اربابهم حتى أن بعضهم يبكث من اول
السنة يجمع في اقوال العلاء ويحفظها باللوح فاذا جاء ذلك اليوم املأها
من حفظه وسودها ولو سأل احد في ذلك الجمع عن مسأله لعجز ان يسندها
وهذا في بعض من تكون مباشرته للختم بوقاحته منه واستجراؤه وإلا
فالا جلاء من اهل الحضرة حاشاهم من هذه الرتبة الغير المرضية وغالبهم منزلة
عن الرتبة الدينية والدينيوية فاذا حضر يوم الختم تكون عليه سكينته
ووقار ويلوح عنه نور الحديث الشريف ويكون يومه يعد من الاعمار فاذا
اقى على ما املاه ختم مجلسه بحديث الشيخ ثم يسبح الله تعالى ويأتي
ببعض المواظ مما يناسب ذلك المجلس ثم يدعو بما يتقبل الله منه ويومن
على دعائه اقوام باصوات مرتفعة بقولهم اللهم ءامين يا رب العالمين فاذا
كان في ءآخر التامين قالوا اللهم ءامين يا رب العالمين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين ثم تقرأ الفاتحة عدة مرار بما يتقصيه المجلس
وينصرف ذلك الجمع بعد ان يقبل اكثرهم على ذلك الشيخ ويهنونه ويتبركون
به ويكون له مجال في ذلك المجلس والله تعالى يجازي كل احد بينه وهو
الطلع على ما في طويته ولكل امرء ما نوى . ولتختم هذا الختم بحديث
الختم الذي جاء عن سيد البشر ونطق به وما ينطق عن الهوى وهو قوله
صلى الله عليه وسلم كلتان حبيبتان الى الرحان خفيقتان على اللسان ثقيلتان
في اليزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . اللهم يا قابل الدعوات
ويا مقيل العثرات اسالك بحبيبك وصفيك محمد صلى الله عليه وسلم افضل
ولد عدنان والاحاديث التي وردت في هذه الليلة المباركة واخبرت بانك
تقسم فيها الارزاق وتجييب فيها الدعاء والاستغفار ولها شان بين الليالي
واي شان اسالك الاجابة وان تغفر ذنبي وتشر عيبي وترحم شبي وان لا
تياخذني بسا فرطت ولا بما رقعت وجمعت وان تعاملني بحلمك ورحمتك

في الدنيا والاخرة انك اهل التقوى واهل المغفرة وكما فنشئت لسانى بكلمته
التوحيد في الابداء اجعل ختامى بها عند الختام يا رب العالمين .
وكان الفراغ من هذا التعليق ليلة النصف من شعبان المبارك سنة اثنتين
وتسعين وثلث من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وعلى
عالمه واصحابه اذكى التحية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *



فهرس الكتاب



صحيحة

- ٠٠٦ الباب الاول في التعريف بنونس
٠١٥ الباب الثاني في التعريف بافريقيته
٠٢٢ الباب الثالث في فتح جيوش المسلمين افريقيته
٠٥١ الباب الرابع في الدولة العبيديت
٠٧١ الباب الخامس في الاسماء الصنهاجية
٠٩٥ الباب السادس في الدولة الخنصية
٠٩٥ الفصل الاول منه في ذكر سن تولى من الخلفاء في المغرب ممن بلغ
درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة النخ
٠٩٦ بنو امية
٠٩٩ الادارسة
١٠٢ المرابطون
١٠٧ المرحدون
١٠٩ وفاة المهدي

- ١٢٢ الفصل الثاني في سن تولى من بني أبي حفص
١٢٧ بنو مرين
١٤٢ صاحب كتاب تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب
١٥٤ خير الدين بانا
١٦٩ الباب السابع في الدولة العثمانية
١٩١ عثمان داي اول الدايات
١٩٢ مجمع اهل الاندلس الى افريقية
٢١٥ البايات محمد باي
٢٢٧ مراد باي ابن محمد
٢٢٤ محمد باي وعلي باي ولدا مراد
٢٣٥ محمد الخنصي
٢٦٨ بناء القنطرة
٢٧٢ الخاتمة الفصل الاول منها
٢٨٢ الفصل الثاني في حوادث ظهرت في الديار التونسية الخ
٢٨٧ الفصل الثالث في ما تميزت به الديار التونسية الخ
٣٠٠ الفصل الرابع في تعظيم اهل الحضرة لخم البخاري



تم الكتساب

بعون الملك الوهاب



لما لكم السعادة والسلامة وطول العمر ما هملت غمامة
وما طلعت نجوم بنات نعش وما فاحت على غصن يمامة



۲۲۳۵۸	۱۰
۲۲۳۵۹	۱۱
۲۲۳۶۰	۱۲

الحمد لله وحده

ببستان ما يوجد الآن في المطبعة من
الكتب للبيع



كتاب الوطأ للامام مالك رضي الله عنه
كتاب واسطه السالك في سلسله الملوك
كتاب سلوان الطاع في ادواى الانساع
كتاب لونه السلكي وذمعه الماكي
كتاب مناقب الائمة الاربعه رضي الله عنهم
كتاب تعلم المتعلم طريق التعلم للامام الرضوي
وهما قريب ان شاء الله تعالى نخرج من طبع
تاريخ الزركسني وعمدة ابن رطب وهما نسبه
الصبا على عصام الخ الخ

